

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة
روائع الأدب العالمى

الإنسان والسوبرمان

مسرحية

چورچ برنارد شو

ترجمة: محمد فكرى أنور

مكتبة الأسرة ١٠ سنوات

مسرحية

الإنسان والسوبرمان

مسرحية

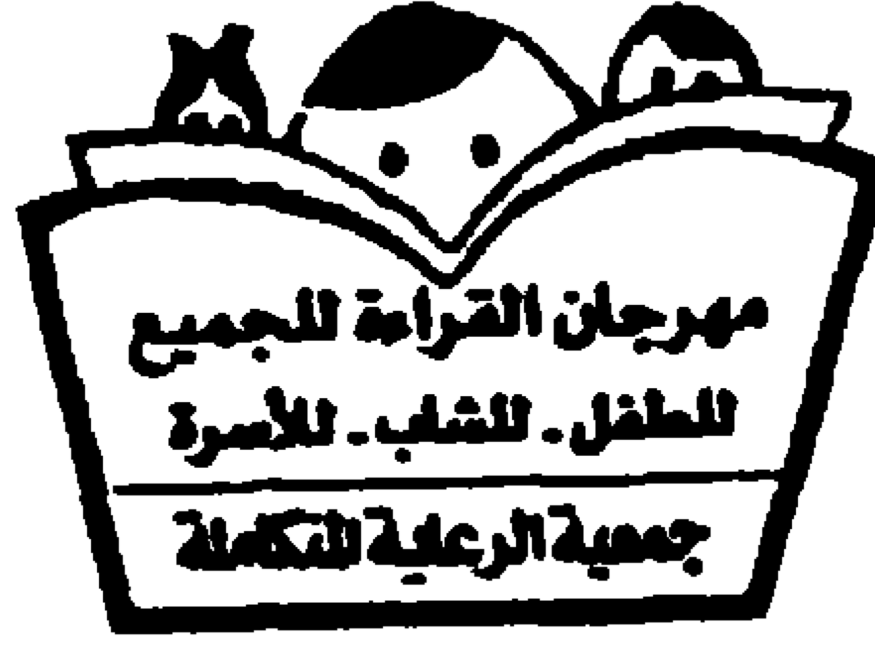
الإنســـان والسوبرمــان

تأليف

چورچ برنارد شو

ترجمة

محمد فكرى أنور



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤
مكتبة الأسـرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة روائع الأدب العالمى)

إشراف د. سهير المصادفة

مسرحية (الإنسان والسوبرمان)

تأليف : چورچ برنارد شو

ترجمة : محمد فكرى أنور

الغلاف والإشراف الفنى :

للفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:

محمود عبدالمجيد

المشرف العام :

د . سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «**مكتبة الأسرة**» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح،.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعميه**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**» وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

الانسان والسوبرمان

قدمتها « جماعة المسرح » على « مسرح البلاط الملكى » بلندن للمرة الأولى يوم ٢١ مايو عام ١٩٠٥ .

وقام بتمثيل الأدوار :

ــ تشارلز جودهارت	فى دور روبك ريمسدن
ــ ليويس كيسون	فى دور اوكتافيوس روبنسون
ــ جرانفيل باركر	فى دور جون تانر
ــ ادموند جيوين	فى دور هنرى ستريكر
ــ روبرت هاربن	فى دور هكتور مالون
ــ ج.د. بيفريدج	فى دور مستر مالون
ــ ليلى مكارثى	فى دور آن واتيفيلد
ــ فلورانس هايدون	فى دور مسز واتيفيلد
ــ اينز توماس	فى دور مسز ريمسدن
ــ سارا بروك	فى دور فيوليت روبنسون
ــ هيزيل طومسون	فى دور مدبرة البيت

الفصل الأول

المنظر :

« رويبك ريمسدن » فى غرفة مكتبه ، يتفحص خطابات تلقاها صباح اليوم • أثاث الغرفة يعكس جوا من الفخامة والوقار بما يليق برجل افكار مثل « ريمسدن » قطع الاثاث نظيفة لا تعلوها ذرة من غبار • ولا غرو ، فالمعروف أن بالبيت خادمتين وثالثة تختص بالدور الارضى ، الى جانب مديرة البيت وتختص بالدور العلوى ، فلا تترك لباقى الخدم أية فرصة للتراخى فى العمل • حتى رأس «رويبك» ذاته ، تبدو ملساء لامعة هى الأخرى • ففى يوم مشمس كهذا ، يبدو « رويبك » وكأنه يصدر أوامره الى المعسكرات النائية ـ لا عن طريق الهليوغراف ـ ولكن بمجرد ايماءة من رأسه • وفى غير ذلك لا يبدو عليه شىء يلمح الى طبع عسكرى ينعكس على سلوكياته ، بل هو ذلك النمط من الحياة المدنية النشطة •• تلك التى يحياها والتى أضفت عليه مسحة عريضة من الشعور بالأهمية والاحساس الخفى بالاذعان للغير • اما فمه فهو خلو من الاسنان ويعف عن فاحش القول ، وهو ما يتضح للوهلة الأولى عندما ينسحب من المعارضة ويذعن للدّوة ويخلد الى الراحة •

انه امرؤ يفوق كونه مجرد انسان محترم • انه يبدو وكأنه رئيس ارجال غاية فى الاحترام هو رئيس مجلس الادارة بين غيره من المديرين •• وهو العضو البارز بالبرلمان بين رجال البلاط ، وهو العمدة بين اعضاء البرلمان •• فوق أذنيه ، وعلى امتداد ركنى فكيه العريضين ، تمتد اربع خصلات من الشعر الرمادى الذى يصير الى المشيب بسرعة ملحوظة فتبدو وكأنها فى بياض غراء السمك ، ولكن مع الفارق •

اما ملابسه ، فهو يرتدى « فراك » اسود ، وصديرى أبيض (الجو الآن ربيعى مشمس) ، بنطلون لا هو أزرق اللون ولا هو بالاسود ، بل واحد من تلك الألوان التى ينتجها الخياطون كى تلائم مزاج امثاله من هواة الوقار والحشمة • وهو لم يبرح بيته

اليوم ، ولذلك نراه يرتدى « الشبشب » . اما حذاؤه النظيف فيقبع فوق سجادة المدفأة منتظرا اياه . ومع افتراض انه لا يقتنى خادما خاصا به ، ويعتقد انه ليس بحاجة الى سكرتيرة تجيد الاختزال وكاتب للآلة الكاتبة ، فان المرء يستطيع الحكم بالقدر الضئيل من الازعاج والذى تتعرض له مثل هذه الشخصية العظيمة فى بيتها من جراء « التقاليع » و « الموادات » الحديثة ، او من مشروع السكك الحديدية وشركات الفنادق التى تبيع الحياة فيما بين يومى السبت والاثنين بالدرجة الأولى فى فندق مثل « فولكستون » مقابل جنيهين ، وكأنك « جنتلمان » حقيقى .

والسؤال هو : كم يبلغ « روبيك » من العمر ؟

ان للسؤال اهميته البالغة ونحن على اعتاب « دراما الفكرة » هذه . ذلك ان كل شئ ــ فى ظروف كهذه ــ يعتمد على ما اذا كانت مرحلة مراهقته تمتد الى الستينات أو الثمانينات . فالواقع انه ولد فى عام ١٨٣٩ ، وكان ــ فى صباه ــ وحدويا ، مؤمنا بالتجارة الحرة . ومع ظهور كتاب « النشوء والارتقاء » اقتنع بما جاء به من افكار . وفى النهاية كان يقيم نفسه بانه مفكر تقدمى ومصلح شجاع لا يشق له غبار .

يجلس « روبيك » الى مكتبه . عن يمينه نافذتين يشاهد من خلالهما منظر « بورتلاندبليس » . وقد يستطيع المشاهد القوى الملاحظة أن يرى ــ من خلال هاتين النافذتين ــ صورته الجانبية واضحة بقدر ما تسمح به ستائر النافذتين . أما عن يساره ، فيظهر الجدار الداخلى وامامه مكتبة فاخرة . واما الباب فلا يقع فى منتصف المسرح بالضبط بل هو بعيد عن مجلسه الى حد ما . وامام الحائط المقابل يقف تمثالان نصفيان على عامودين : أحدهما ــ على يساره ــ تمثال « جون برايت » والآخر ــ عن يمينه لـ : « مستر هوبرت سبنسر » ، وبينهما تتدلى على الجدار صورة محفورة لـ : « ريتشارد كوبدين » ، وصورة مكبرة لكل من : « مارتينوه » ، هكسلى » ، « جورج اليوت » .. ولوحات ذاتية مشتراه من المعارض لكل من : « مستر ج.اف ، واطس » (لأن روبيك يحترم الفنون الجميلة بكل التقدير الذى يبديه رجل لا يفهم فيها شيئا) وصورة لحفر « دوبوه » لمعرض « ديلاروس للفنون الجميلة » تمثل الرجال العظام فى جميع العصور . اما على الحائط وراءه ، وفوق المدفأة ، فتتدلى صورة عائلية يغلف عليها غموضا لا مثيل له .

وبالقرب من المكتب يقع كرسى لراحة زوار العمل . اما الجدار الواقع بين التمثالين فيقف امامه كرسيان آخران .

تدخل مديرة البيت ، ومعهـا بطاقة تعلن عن وصـول ضيف لزيارة المستر رويبك • يتناول منها البطاقة ويومىء برأسه موافقا ومرحبا بزيارة صاحب البطاقة •

ريمسدن : لا مانع ، أدخليه •

(تخرج السيدة وتعود بصحبة الزائر)

السيدة : مستر روبنسون •

(مستر روبنسون : رجل ليس جميل الشكل ، رغم أن الناظر اليه يعتقد أنه « جان برمير » يرتدى حلة تعكس معايشته لحداد لم تمض عليه فترة طويلة • أما ملامحه ، فهو صـغير الرأس ، منتظم الملامح ، ذو شارب دقيق أنيق ، وعينين صريحتين ، وشعر مجعد ولكنه جيد التصفيف ، وأهداب طويلة ، وجبهة مسـتقيمة ، وذقن دقيق • مظهره يعلن عموما عن رجل على أعتاب قصة حب سيعانى منها الكثير فيما بعد) • وفى اللحظة التى يدخل فيها روبنسون الى المسرح ، يتهلل وجه ريمسدن بترحاب أبوى صادق ، وهو أقل ما يمكن أن يلقى به رجلا لا يزال فى الحداد ـ زيا ومشاعر ـ ولكن ريمسدن يبدو وكأنه يعرف طبيعة شـعور اليتامى عند لقائهم • ومع خطو الزائر تجاه المكتب ، ينهض العجوز ويشد على يديه عبر المكتب دون أن يتفوه بكلمة واحدة •• تمضى اللحظات يشد خلالها على يد الضيف بحب وترحاب •• الأمر الذى يجسد قصة من الحزن والأسى عاشا أحداثها معا منذ فترة قصيرة •

ريمسدن : حسن ، حسن ، هذا هو مصير البشر جميعا يا «اوكتافيوس» ، وسنواجهه بدورنا فى يوم من الأيام • تفضل بالجلوس •

(يجلس اوكتافيوس على الكرسى المجاور للمكتب ، ويجلس ريمسدن على كرسى مكتبه)

اوكتافيوس : صحيح •• سوف نواجهه يا مستر « ريمسدن » • لكننى أدين للمرحوم بالكثير • لقد فعل من أجلى الكثير مما لم يكن أبى ليقدمه لى لو كان على قيد الحياة •

ريمسدن : نعم • انت تعلم انه لم ينجب أولادا •

اوكتافيوس : أنجب بنتين ، ورغم ذلك كان عطوفا باختى بقدر عطفه على • كانت وفاته مفاجأة كبيرة ! •• كنت أنوى دائما الاعراب له عن امتنانى •• أن أجعله يدرك أننى لم أعتبر رعايته لى كتحصـيل

حاصل ، كما يظن بعض الأبناء برعاية آبائهم لهم · كنت أتحين الفرص ·· لكنه مات ·· سقط دون انذار سابق ، ولم يعرف بما أكن له من أحاسيس ·

(يخرج منديله من جيبه ويبكى دون انفعال) ·

ريمسدن : كيف عرفت ذلك يا اوكتافيوس » ؟ ربما يكون قد عرف به ·· لا ندرى · تعال ·· لا تبك (يسيطر اوكتافيوس على نفسه ويضع منديله فى جيبه) هذا صحيح · والآن ، دعنى أحكى لك شيئا أخفف به عما بك · لقد رأيته لآخر مرة هذا الصباح وقال لى : « تيفى » ولد كريم ، وهو روح الشرف ، وعندما أشاهد ضآلة الاحترام الذى يلقاه الآباء من أبنائهم فاننى أدرك كم كان « اوكتافيوس » بالنسبة لى أكثر من مجرد ابن ·· هه ·· ألا يريحك قوله هذا ؟

اوكتافيوس : لقد اعتاد ، يا « مستر ريمسدن » ، أن يقول لى أن الرجل الوحيد فى العالم والذى يعتبره روح الشرف فعلا هو « روبك ريمسدن » ·· أنت يا سيدى ·

ريمسدن : أوه ·· لست محتاجا لذلك · ستوافق عليك يا ولدى ، رغم سنوات طويلة كما تعرف · لكن ثمة شيئا محددا كان يقوله عنك دائما ، ولست أدرى ان كان يجب على مصارحتك به أم لا ·

اوكتافيوس : (بتلهف) عن « آن » ·· أوه ·· ارجوك · ما هو يا « مستر ريمسدن » ؟

ريمسدن : حسن · قال انه سعيد بأنك لست ابنه ، لأنه يعتقد أن « آن » وأنت لابد انكما فى يوم ما ·· (تحمر وجنتا اوكتافيوس خجلا) حسن ·· كان الأفضل الا اخبرك بذلك · لكنه كان جادا فى ما قال ·

اوكتافيوس : أوه ·· ليتنى سنحت لى الفرصة ! ·· أنت تعلم يا « مستر ريمسدن » اننى لا اكترث بالمال أو بما يسميه الناس « المركز الاجتماعى » · ولذلك لا أستطيع اقحام نفسى فى الاهتمام بما يتكالبون هم عليه من هذه الأشياء ·· حسن · ان « آن » تتمتع بشخصية جذابة ، لكنها اعتادت أن تكبل نفسها بأغلال ذلك الشيء الذى يجعلها تعتقد بأن شخصية الانسان لن تتكامل الا اذا كان طموحا · وهى تدرك انها اذا تزوجت منى فيجب أن تدرب

نفسها على عدم الضيق بى لأننى لم أحقق فى حياتى نجاحا كبيرا فى أى شىء ٠

ريمسدن : هراء يا ولدى ٠٠ كلام فارغ ٠٠ انت متواضع جدا ٠ فهى ، وفى سنها هذه ، ماذا تعرف عن القيمة الحقيقية للرجال ؟ (بجدية أكثر) بالاضافة الى ذلك ، فهى فتاة تعرف واجبها جيدا ٠ ان رغبات أبيها شىء مقدس عندها ٠ هل تعرف انها منذ كبرت ووصلت الى سن الرشد فهى لم تجعل رغبتها الخاصة دافعا لفعل أى شىء أو العدول عنه ؟ ٠ دائما تقول : « والدى يريدنى أن أفعل كذا » أو « أمى لا ترضى بذلك » ٠٠ ذلك عيب فعلى فيها ، ولقد نصحتها كثيرا بأن تفكر بنفسها ولنفسها ٠

اوكتافيوس : ولهذا السبب لم أستطع طلب يدها للزواج لمجرد أن أبوها يريد ذلك يا « مستر ريمسدن » ٠

ريمسدن : حسن ٠٠ ربما ٠٠ لا ٠٠ فعلا ٠٠ لا ٠٠ أظن ذلك ٠ لا ٠٠ لن تستطيع فعلا ٠ لكنك اذا استطعت اقناعها بمميزاتك الشخصية فستكون مصدر سعادة غامرة لها ، لأنها بزواجها منك ستنفذ رغبة والدها ورغبتها هى فى الوقت نفسه ٠ اليس كذلك ؟ ٠٠ تعال ٠٠ ستطلب يدها ٠ أليس كذلك ؟

اوكتافيوس : (بسـعادة وتحفظ) على أية حال أعدك بأننى لن أطلب الزواج من أى فتاة غيرها ٠

ريمسدن : أوه ٠٠ لست محتاجا لذلك ٠ ستوافق عليك يا ولدى ، رغم أن (بجدية شديدة) فيك عيب خطير ٠

اوكتافيوس : (باضطراب) أى عيب يا « مستر ريمسدن » ؟ أو قل ، بالأحرى ، أى من عيوبى الكثيرة ؟

ريمسدن : اذن ، اخبرك يا « اوكتافيوس » (يتناول كتابا مربوطا بشريط أحمر من فوق المكتب) عندى نسـخة من واحد من أكثر الكتب وضاعة ، أكثرها خزيا ، أكثرها ضررا ، وأكثرها انتكاسا الى الوراء ٠٠ كتاب لا أدرى كيف أفلتت نسخة من الحريق بيد رجال القانون ٠٠ أنا لم أقرأه بعد ، ولن أرهق ذهنى بمثل هذه القذارة ، لكننى قرأت تعليقات الصحف والمجلات عنه ٠٠ يكفينى عنوانه ومؤلفه (يقرأ) : « كتاب الجيب للثوريين» بقلم « جون تانر M.I.R.C« ومعناها « عضو الطبقة الأرستقراطية العاطلة بالوراثة » ٠

اوكتافيوس : (يبتسم) ولكن « جاك » ..

ريمسدن : (بضيق) اذا كان لى عندك خاطر لا تنطق باسم « جاك » هذا فى بيتى (يرمى الكتاب على المكتب بشدة ثم يحدث اوكتافيوس بحزن عميق) « اوكتافيوس » .. أنا أعلم أن صديقى المتوفى كان على حق عندما قال انك ولد كريم .. وأنا أعلم ان هذا الرجل « جاك » ، كان رفيقك فى الدراسة ، وانت لا تستطيع التخلى عنه بسبب الصداقة الطفولية التى كانت بينكما فى سنوات الدراسة .. كل ما أرجوه منك هو التفكير فى الظروف الجديدة المتغيرة .. لقد عوملت فى بيت صديقى كواحد من أبنائه ، وعشت هناك ، ومن ثم لم يكن ممكنا طرد أحد أصدقائك من باب البيت .. ولقد استطاع هذا الرجل ـ « جاك » ـ أن يدخل البيت ويخرج منه منذ طفولته ، ولأجل خاطرك انت .. انه ينادى « آنى » باسمها الأول ، وبكل حرية ، كما تفعل أنت . حسن .. كل هذا كان ممكنا عندما كان أبوها حيا .. هو حر .. أما أنا فلا .. هذا الرجل ـ «تانر» ـ كان بالنسبة له مجرد طفل صغير ، وكانت آراؤه شيئا مثيرا للضحك ، بالضبط كما تضع قبعة رجل كبير فوق رأس طفل رضيع .. أما الآن ، فقد أصبح تانر رجلا بالغا وأصبحت « آنى » امرأة ناضجة ، وأبوها مات ، ولكنه ناقش هذه المسألة كثيرا معى ، وأنا لا أشك أبدا ـ كيقينى بانك جالس على هذا الكرسى ، فى اختيار الوصية لى كفيلا ووصيا على « آنى » .. (بحدة) والآن أخبرك ـ ولآخر مرة ـ اننى لن أستطيع ولن أسمح بأن تجد «آنى» نفسها فى موقف يتحتم عليها فيه ، وبصرف النظر عنك انت ، أن تكابد المودة مع هذا الرفيق « تانر » .. هذا ظلم ، وغلط ، وقسوة .. وانت ، ما رأيك فى ذلك ؟

اوكتافيوس : لكن « آن » نفسها قالت لى : « جاك » بأنه مهما كانت آراؤه فهى سترحب به دائما ، لا لشىء الا لأنه كان يعرف والدها .

ريمسدن : (نافذ الصبر) هـــذه البنت مجنونه بواجبها تجاه والديها (يدور فى الغرفة كالثور الهائج ، ثم يتجه الى « چون برايت » الذى لا تجسد صورته أى احساس بالتعاطف مع حالته ، وفى أثناء كلامه يتجه بنظره الى « هربرت سبنسر » الذى يتلقى نظراته ببرود أكثر) . معذرة « اوكتافيوس » .. ان هناك حدودا للتسامح الدينى فى المجتمع .. انت تعرف اننى لست رجلا متحيزا أو متعصبا .. وتعلم اننى أنا « روبيك ريمسدن » ، الرجل الواضح .. ففى حين استطاع غيرى من الرجال ـ الذين لم يفعلوا شيئا

بالمقارنة بى ـ اضافة الكثير من الشهرة الى أسمائهم ، فقد استطعت أنا الصمود دفاعا عن المساواة والحرية الفكرية ، فى الوقت الذى كانوا هم يتملقون الكنيسة والأرستقراطية · اننا ـ « واتيفيلد » وأنا ـ قد أهدرنا الفرصة بعد الفرصة لا لشىء الا انتصارا لآرائنا التقدمية · أما بالنسبة لى أنا ، فقد وضعت النقط فوق الحروف فيما يتعلق بفلسفة الفوضـوية والحرية الجنســية وغير ذلك من القضايا · واذا كنت سأعين وصيا على « آنى » ، فيجب عليها أن تعلم ان عليها لى واجبا ، قد لا أطالبها بأدائه ، مؤكد لن أفعل ذلك ، لكنها يجب أن تمنع « جون تانر » من دخول البيت ، وهو نفس الشىء الذى سأفعله أنا ·

(تدخل الخادمة)

اوكتافيوس : ولكن ··

ريمسدن : اش ·· (للسيدة) نعم ··

السيدة : « مستر تانر » يريد مقابلتك يا سيدى ·

ريمسدن : « مستر تانر » !

اوكتافيوس : « جاك » !

ريمسدن : كيف يجرؤ المستر تانر على زيارتى ! ·· أخبريه اننى أعتذر عن مقابلته ·

اوكتافيوس : (بألم) يؤسفنى أن تطرد صديقى من بابك بهذه الطريقة ·

السيدة : (بهدوء) انه ليس بالباب يا سيدى ·· لقد صعد الى الصالون فى الدور العلوى مع « مسز ريمسدن » ، ومعه جاءت « مســز وايتفيلد » و « مس آن » و « مسز روبنسون » يا سيدى ·

(« مستر ريمسدن » تخونه قدرة التعبير عن الموقف)

اوكتافيوس : هذا هو « جاك » يا مستر ريمسدن » · يجب أن تقابله ، حتى ولو لمجرد طرده من البيت ·

ريمسدن : (بغضب شديد) اصعدى الى الدور العلوى ، واسألى « مستر تانر » أن يتكرم ويتعطف ويهبط الينا هنا ·

(تخرج السيدة ، ويعود « ريمســدن » الى مكانه بجوار المدفأة ، كما لو كان يتحصن فى مكان منيع) يجب أن أقول ، انه اذا كانت

أخلاق الفوضويين بمثل هذا القدر ، الذى لا يطاق ، من الوقاحة ، فأرجو أن تستطيع أنت تتبادل الود معهم ·· ومعه « آنى » ؟ ·· « آنى » !! آ ·· (يسكت)

اوكتافيوس : أجل ·· ذلك ما يدهشنى ·· انه يخاف من « آن » جدا ·· لابد أن هناك شىء ما ··

(يفتح « مستر جون تانر » الباب فجأة ويدخل : وهو شاب صغير فعلا بالنسبة لما يوصف به كرجل كبير ذى لحية وشـارب ·· انه فى مرحلة ما بين الشباب المبكر والرجولة ، ومع ذلك فلا يزال متمتعا بشىء من طيش الشباب الذى لا يعتبره هدف حياته · اما المعطف الذى يرتديه فيناسب مركز رئيس وزراء ، كتفاه بارزان فى جراة ، ورأسه شامخ فى تسام ، وشكله يبدو وكأنه الآلة « اوليمب » ·· يتدلى شعره على حاجبيه فى خصلة كبيرة مصـبوغة بلون البندق فيبدو قريب الشبه من الآلة « جوبيتر » أكثر من تشـبيهه بالآلة « اوليمب » · وهو أيضا لبق الحديث ، قلقا ، سهل الاســتثارة (مما تدل عليه أنفه الناتئة وعينيه الزرقاوتين القلقتين · يمكن القول بانه مجنون صـغير · وهو متانق فى ملبســه ، ليس عن استجابة لنزوة البهرجة ، ولكن انطلاقا عن احســاس باهمية كل ما يصدر عنه من تصرفات ·· كل هذا يجعله يبدو وكأنه ذاهب لخطبة عروس أو لارساء حجر الأساس لمشروع كبير · وهو رجل حساس ، كثير الشك ، مبالغ ، وقور ، مصاب بجنون العظمة لكنه لا يخلو من مسحة مرح وخفة ظل ·· بيد أن مسحة المرح فيه معطلة فى الوقت الحاضر ·· وصفه بانه كثير الانفعال ليس غريبا ، لأن كل الأمزجة التى يتصف بها تعتبر جوانب متعددة لعنصر الاستثارة فى شخصه · انه يعيش الآن موقفا مثيرا ودقيقا · يتجه من فوره الى « ريمسدن » كما لو كان ينوى اطلاق الرصاص على قلبه مباشرة ، لكنه لا يخرج من جيب صديريه مسدسا بل وثيقة يلقيها تحت أنف « ريمسدن » التى تعكس كل معانى التافف منه دون أن يستطيع اخفاء انزعاجه مما يحدث) ·

تانر : « ريمسدن » ! أتعرف ما هذه ؟

ريمسدن : (باحترام) لا يا سيدى ·

تانر : نسخة من وصية « وايتفيلد » ، أحضرتها أن هذا الصباح ·

ريمسدن : عندما تقول « آن » فأعتقد انك تقصد « مس وايتفيلد » ·

تانر : أقصد « آن » فتاتى أنا ، و « آن » فتاتك انت ، و « آن » فتاة « تيفى » . والآن ، الصبر يارب ، فتاتى « آن » .

اوكتافيوس : (ينهض شاحبا جدا) . ماذا تقصد بقولك هذا ؟

تانر : أقصد ؟ (يتناول الوصيه) أتعرف من تختاره الوصية وصيا على « آن » ؟

ريمسدن : (ببرود) أعتقد أن هذا الشخص هو أنا .

تانر : أنت ؟ .. أنت وأنا يا رجل . أنا !! أنا !! أنا !! قل كلانا (يلقى الوصية بشدة على المكتب) .

ريمسدن : أنت ؟ مستحيل .

تانر : بل الحقيقة البشعة لا أكثر (يجلس على كرسى اوكتافيوس) . « ريمسدن » .. أبعدنى عن هذا الموضوع بأية وسيلة ان استطعت انت لا تعرف « آن » كما أعرفها .. سترتكب كل جريمة لاتستطيع أى امرأة محترمة ارتكابها ، ثم تبرر كل جريمة منها على أنهــا استجابة لرغبة أحد الوصيين عليها . ستلقى على كواهلنا كل شىء ، وعندئذ لن تزيد سيطرتنا عليها بأكثر من سيطرة فأرين على قط .

اوكتافيوس : « جاك » .. لا تتكلم عن « آن » بهذه الطريقة ، أرجوك .

تانر : هذا الأبله يحبها ، وهذه مشكلة أخرى . حسن .. اما أن تنبذ حبه قائلة أننى لا أوافق عليه ، واما أن تتزوجه وتقول انك أمرتها بذلك . دعنى أصارحك بأن هذه الوصاية هى أكبر ضربة قاضية تصيب رجلا فى مثل سنى ومزاجى .

ريمسدن : أرنى هذه الوصية يا سيدى (يذهب هو الى المكتب ويتناولها) .. أكاد لا أصدق أبدا أن يبدى صديقى القديم « وايتفيلد » مثل هذه الثقة بشخصى ، ثم يشرك معى (يســكت كى يتفرغ لقراءة الوصية) .

تانر : كلها من صنع يدى أنا ، وهــذا هــو عنصر الســخرية المرة فى الموضوع . لقد أخبرنى أنه كان مقررا أن تكون أنت الوصى على « آن » .. وكنت من الحماقة بمكان بحيث أدرت معه حوارا مؤداه أنه من السخف اختيار رجل عجوز ذى أفكار عقيمة مثلك وصيا على شابة صغيرة مثل « آن » .

ريمسدن : (يصدم) أنا آرائى عقيمة !!

تانر : فى كل شيء · لقد انتهيت لتوى من كتابة مقال بعنوان « تسقط حكومة العواجيز » ، وزودته بالكثير من المناقشات والصور ، ووصلت فيه الى القول بأن المنطق يفرض علينا المزج بين تجربة العواجيز والتجربة النابضة للشباب ·· وأنا أراهنك ·· اشنقنى اذا لم يكن قد أخذ برأيي فغير وصيته واختارنى وصيا متضامنا معك ، هذا مع ملاحظة أن تاريخ الوصية لا يزيد عن أسبوعين منذ كانت بيننا هذه المناقشة ·

ريمسدن : (بتصميم) اذن ·· أنا أرفض القيام بدورى فى هذه الوصية ·

تانر : وما فائدة ذلك أنا رفضته طول الوقت مع « ريتشموند » ، لكن «آن» كانت تردد دائما أنها مجرد انسانه يتيمه ، وأنها لن تستطيع رؤية اولئك الذين كانوا يترددون على البيت أثناء حياة أبيها وهم يتخلون عن رعايتها بعد وفاته ·· هذه آخر ورقة تلعب بها الآن ·· يتيمة !! أرأيت ؟ شيء كسماع قائد بارجة حربية يتحدث عن وقوعه تحت رحمة الرياح والأمواج المتلاطمة :

اوكتافيوس : « جاك » ·· ليس بهذه الحدة · انها بالفعل يتيمة ، ومن حقها الوقوف بجانبها ·

تانر : آه ·· الوقوف بجانبها ! ·· أى خطر تواجه ؟ القانون بجانبها ، والعواطف النبيلة الرحيمة بجانبها ، ومعها مال وفير ، ولكن بدون ضمير · ان ما تريده منى هو أن أحمل عنها جميع تبعاتها الاخلاقية ، وأن أفعل كل ما تريده على حساب شخصى أنا ، وأنا لا أستطيع السيطرة عليها · اما هى فتستطيع أن تتحكم فى كما تشتهى ، وليس بعيدا ان أصبح زوجا لها فى يوم من الأيام ·

ريمسدن : تستطيع رفض هذه الوصاية · أما أنا فسأرفض ، بكل اصرار ، القيام بهذه المهمة اذا ارتبطت بالتضامن معك ·

تانر : لا بأس · وماذا سيكون رأيها فى ذلك ؟ ما هو رأيها فعلا ؟ ستقول ان رغبات والدها أوامر مقدسة عندها ، وأنها ستعتبرنى دائما الوصى عليها سواء حرصت أنا على مواجهة هذه المسئولية أم لا ·· ترفض ؟ اذا كان الأمر بهذه السهولة ، فمن السهلولة أيضا ان ترفض قبول الاختناق من الحية الرقطاء بعد أن تكون قد التفت بجسمها حول عنقك وانتهى الأمر ·

اوكتافيوس : ليس من الانصاف أن أسمع منك كلاما كهذا يا « جاك »

تانر : (ينهض ، ويتوجه الى « اوكتافيوس » لتهدئة انفعاله ، ولكنه لا يزال يبكى) : اذا كان المرحوم يريد وصيا شابا فلماذا لم يختر « تيفى » ؟

ريمسدن : صحيح ‥ لماذا فعلا ؟

اوكتافيوس : سأعترف لكما ‥ لقد ناقشنى فى هذه المسألة ، لكننى رفضتها لأننى أحبها ، ومن ثم فلا حق لى فى فرض نفسى عليها وصيا على شئونها من قبل والدها ٠ ثم ناقشتها هى فى الأمر فأقرت وجهة نظرى ٠ أنت تعرف يا « مستر ريمسدن » ، وأنت أيضا يا « جاك » ، أننى أحبها ٠ ولو أن « جاك » أحب امرأة فلن اسمح لنفسى بوصفها ، فى حضوره ، بأنها حية رقطاء ، مهما بلغت درجة كراهيتى لها (. يجلس بين التمثالين ويدير وجهه الى الحائط) ٠

ريمسدن : أنا لا أصدق أن « وايتفيلد » كان بكامل قواه العقلية عندما كتب هذه الوصية ٠ انت تعترف بأنه كتبها تحت تأثير منك ٠

تانر : أنت أيضا لا تملك غير أن تقع تحت تأثيرى ٠ لقد ترك لك ألفين وخمسمائة جنيه مقابل ما تتحمله من أعباء فى هذه المهمة ، وترك خمسة آلاف جنيه « لتيفى » وبائنه لاخته ٠

اوكتافيوس : (تغلبه دموعه) أوه ‥ لا أستطيع قبول هذه الهبة منه ‥ كان طيبا معنا جميعا ٠

تانر : وانت لن تحصل على هذه الهبة يا ولدى اذا ما رفض « ريمسدن » الوصاية ٠

ريمسدن : آه ‥ فهمت ‥ لقد أوقعتنى فى موقف حرج ٠

تانر : لماذا ؟ وهو لم يترك لى غير الرعاية الأخلاقية لـ : « آن » ، وحجته فى ذلك ان لدى من المال ما يزيد عن حاجتى والحمد لله ٠ هذا معناه أنه كان فى كامل قواه العقليه ‥ اليس كذلك ؟

ريمسدن : (بكآبة) معك فى ذلك ٠

اوكتافيوس : (ينهض ويعود الى ملاذه بجوار الجدار) « مستر ريمسدن » ‥ أعتقد انك متحامل على « جاك » ‥ صحيح أنه ليس شريفا ، ولكنه لن يسيىء استغلالى ٠

تانر : (مقاطعا) لا تكمل يا « تيقى » ‥ انت تثير اشمئزازى ‥ أنا لست رجلا شريفا ! أنا رجل صرعته يد رجل ميت ٠ « تيفى » :

أهم شيء الآن هو أن تتزوجها وتبعدها عنى ·· أما من ناحيتى فقد قررت أن أحميك منها ·

اوكتافيوس : أوه ·· « جاك » ·· تتحدث عن حمايتى من أعظم سعادة أحلم بها !

تانر : ولم لا ؟ · سعادة العمر كله لو كنت أضمن لك سعادة النصف ساعة الأولى فقط لاشتريتها لك بآخر قرش فى جيبى ·· لكن أن تقول سعادة العمر كله ! فأمر لا يحتمله كائن حى ·· جهنم على الأرض ·

ريمسدن : (بانفعال شديد) اسكت يا سـيدى ·· قل كلاما معقولا ، أو – على الأقل – اذهب وضيع وقت انسان غيرى · ان لدى أشياء أود سماعها وليست ، بالتأكيد ، خرافاتك هذه (يخطو بانفعال شـديد فيـدب على الأرض فى طريقه الى مكتبه ، ثم يجلس على كرسيه) ·

تانر : سمعت يا « تيفى » ! هذا الرجل لم يعد عقله يحتمل أى آراء بعد بلوغه الثامنة والسبعين ·· فعلا ·· نحن لا نستطيع ترك « آن » فى رعاية وصى غيره ·

ريمسدن : احتقارك لشخصى وأفكارى ، شرف أعتز به يا سـيدى : اما آراؤك أنت فاعتقد أنها مدونة فى هذا الكتاب ·

تانر : (يذهب الى المكتب فى لهفة) ماذا ! حصلت على نسخة من كتابى ! ما رأيك فيه ؟

ريمسدن : أتعتقد اننى أقرأ كتابا كهذا يا سيدى ؟

تانر : فلماذا اشتريته اذن ؟

ريمسدن : لم أشتره يا سيدى · ارسلته لى سيدة حمقاء يبدو أنها معجبة بآرائك ، وكنت على وشك القائه فى سلة المهملات لولا أن منعنى « اوكتافيوس » من ذلك ، ولكننى سأفعل الآن ، بعد اذنك (يلقى الكتاب فى سلة المهملات بشدة تجعل « تانر » ينتفض وكأن الكتاب قد ألقى على رأسه) ·

تانر : ان ما تتذرع به من أخلاقيات لا يزيد أبدا عما اتسـلح به أنا ، وهذا هو سر المودة بيننا · (يجلس مرة ثانية) والآن ·· كيف تتصرف فى موضوع الوصية ؟

اوكتافيوس : أتسمحا لى باقتراح ؟

ريمسدن : طبعا يا « اوكتافيوس » ·

اوكتافيوس : ألستما معى أننا قد تجاهلنا رأى « آن » فى هذا الموضوع الذى يخصها هى بالدرجة الأولى ؟

ريمسدن : أنا مصمم تماما على احترام رغبات « آنى » بكل وسيلة ممكنة · لكنها لا تزيد عن مجرد امرأة ، وامرأة صغيرة وليس لها خبرة بهذه المسائل ·

تانر : « ريمسدن » ·· أنا بدأت أشفق عليك ·

ريمسدن : (بعنف) لا يهمنى شعورك تجاهى يا « مستر تانر » ·

تانر : « آن » ستفعل ما تريده هى فقط ، وأكثر من ذلك فهى ستجبرنا على نصحها بفعل ما تريده هى ، ثم تعود بالقاء اللائمة علينا اذا ما تمخض فعلها هذا عن نتائج غير محمودة ·· وهكذا ، فما دام « تيفى » مشتاق لرؤيتها ··

اوكتافيوس : (يقاطعه بحياء) لا ·· لست أريد يا « جاك » ·

تانر : كذاب ·· انت تريد يا «تيفى » · ولذلك دعونا نستدعيها من غرفة الاستقبال ونسألها ماذا تريدنا أن نفعل · اخرج يا « تيفى » واستدعها (يتحرك للخروج) لا تتأخر أرجوك ، لان العلاقات المتوترة بينى وبين « مستر ريمسدن » ستجعل فترة انتظارنا معا عذابا لا يطاق ·

(يضغط « ريمسدن » على شفتيه دون أن ينطق بشىء)

اوكتافيوس : لا عليك منه يا « مستر ريمسدن » ، فهو ليس جادا (يخرج)

ريمسدن : (بجدية شديدة) « مستر تانر » ·· أنت أحط انسان سافل قابلته فى حياتى ·

تانر : (بجدية) أعرف يا « مستر ريمسدن » ، لدرجة اننى أخجل من ذلك ·· اننا نعيش فى مناخ مفحم بالخجل ·· الخجل من كل شىء حقيقى من حولنا ·· الخجل من أنفسنا ، واقربائنا ، ومواردنا المالية ، وأصواتنا ، وآرائنا وتجاربنا ·· بالضبط كما نخجل من أجسادنا العارية ·· يا الهى ·· اننا ـ يا « مستر ريمسدن » ـ نخجل من السير على أقدامنا ، نخجل من ركوب الامنيبوس ، نخجل من استئجار عربة بعجلتين بدلا من ركوب عربة كبيرة ، نخجل من امتلاك حصان واحد لا اثنين ، ومن استخدام بستانى بدلا من أن

يكون الأجير سائقا وخادما فى نفس الوقت ·· وكلما ازدادت الأشياء التى يخجل منها الانسان كلما ازداد احتراما فى عيون الناس · لماذا تشعر بالخجل من شراء كتابى ، وتخجل من قراءته ، فى حين أن الشىء الوحيد الذى لا تخجل منه هو أن تحكم على شخصى بسببه وقبل أن تقرأه ، وهذا أيضا معناه انك تخجل من اعلان آرائك الهرطقية ·· انظر الى ما أحس به من أثر ما سببته لى تلك السيدة التى قامت بتعميدى بالكنيسة عندما كنت طفلا ، اذ جردتنى من موهبة الخجل هذه · اننى أستمتع بكل فضيلة يستطيع الانسان التحلى بها ما عدا ··

ريمسدن : (مقاطعا) تسرنى آراؤك هذه فى نفسك ·

تانر : كل ما تقصده بكلامك هذا هو أن أستحى من التحدث عن فضائلى · انت لا تقصد اننى لا أتمتع بشىء منها ، لكنك توقن تماما أننى مواطن واع وأمين مثلك تماما ، وصادق من الناحية الشخصية ومن الناحيتين السياسية والأخلاقية أيضا ·

ريمسدن : (بتأثر بالغ) أنا أرفض ذلك · أنا لا أسمح لك ولا لغيرك بمعاملتى كمجرد فرد من الشعب البريطانى ·· اننى أنبذ تعصبات هذا الشعب ، وازدرى ضيق أفقه ، وأطالب بحقى فى التفكير كما أشتهى وأريد ·· أما أنت فتقف أمامى بصفتك رجلا تقدميا · اسمح لى بالقول بأننى رجل تقدمى من قبل أن تولد انت ·

تانر : أعرف ذلك منذ وقت طويل ·

ريمسدن : ولا ازال للآن تقدميا كما كنت دائما · أتحداك أن تثبت اننى قد نكست رايتى يوما من الأيام اننى الآن تقدمى أكثر من أى وقت آخر ، بل وازداد تقدميه مع كل يوم جديد ·

تانر : بل تتقدم فى العمر أكثر من ذلك يا « بولونيوس » ·

ريمسدن : « بولونيوس » !! اذن فانت « هاملت » ·

تانر : لا ·· أنا لا أزيد عن كونى أحط سافل قابلته فى حياتك · هذه هى فكرتك عن شخصية سيئة تماما ·· وعندما تريد أن تقدم لى شيئا من أفكارك ، فاسأل نفسك ــ كرجل محايد ومعتدل ــ عن أسوأ ما يمكن أن تقوله عنى ·· لص ، كاذب ، مزور ، مراهق ، منافق ، شره ، سكير ؟ ·· ليس من بين هذه الأسماء كلها ما يناسبنى ، ومن ثم تضطر الى النكوص حيث عيوبى وانت خاجل

٠٠ حسن ٠٠ دعنى أعترف لك به ٠٠ اننى اهنىء نفسى ، لأننى اذا شعرت بالخجل من حقيقة نفسى ٠ يجب أن أكون من الغباء بحيث أحدد لنفسى اسما مشهورا كأى فرد منكم ـ ازرع فى نفسك قليلا من السفالة ، يا « مستر ريمسدن » ، وستصبح رجلا مشهورا لا شك ٠

ريمسدن : أنا لا ٠٠

تانر : (مقاطعا) أنت لا تحبذ هذا النوع من الشهر أو قل التشهير ان شئت ٠٠ هنيئا لك ٠ لقد أدركت أن هذا سيكون جوابك بالضبط ، كما أعرف أن علبة الكبريت تخرج من الآلة الاوتوماتيكية عندما نضع قرشا فى فتحة الماكينة ٠ اعتقد انك تخجل الآن من التعليق على ذلك ولو بكلمة واحدة ٠

(يدخل آن ٠٠ اوكتافيوس ٠٠ مسز وايتفيلد) ٠

ريمسدن : « آنى » ٠٠ معذرة اذا اضطررت الى عرض بعض الأعمال عليك وأنت فى حدادك لا تزالين ٠٠ لكن وصية والدك العزيز طرحت علينا سؤالا بالغ الأهمية ٠٠ لقد قرأت الوصية ، أليس كذلك ؟ (تومىء « آن » موافقة ، ويصدر عنها صوت ينبىء بأنها لا تستطيع حبس أنفاسها ، وبأنها لا تستطيع الكلام من فرط التأثر ٠٠ من واجبى القول بأننى دهشت عندما وجدت اسم « المستر تانر » كوصى متضامن معى عليك وعلى « رودا » ٠

(فترة صمت ، يبدو خلالها الاضطراب على الجميع ، ولكن دون التعبير عن ذلك ببنت شفة ٠٠ يستثير « ريمسدن » عدم استجابة أحد الحاضرين لوجهة نظره فيستطرد قائلا) اننى لا أستطيع أبدا الموافقة على بنود كهذه ، أيضا يبدى « مستر تانر » ـ حسب اعتقادى ـ بعض الاعتراضات هو الآخر ، لكننى لا أدعى الاعتراف بفهمها ، وهو سيفسرها لنا بنفسه ٠ غير أن الذى اتفقنا عليه معا هو أننا لن نقرر فعل أى شىء الا بعد معرفة وجهة نظرك ازاءه ٠ اننى أخشى احراجك بطلب اختيارك بين وصايتى عليك أو وصاية « مستر تانر » ٠٠ بصراحة أعتقد أنه من المستحيل أن نباشر معا وصايتنا المتضامنة عليك ٠

آن : (بنبرات موسيقية منخفضة) ماما ـ

مسز وايتفيلد : (مقاطعة) أرجوك يا « آن » ٠٠ لا تقحمينى فى هذا الموضوع ـ أنا لا رأى لى فى هذه المسألة ، وحتى لو كان لى رأى

ما فأعتقد أن أحدا لن يســـتمع اليه · اننى قانعة تماما بأى شيء توافقون عليه أنتم الثلاثة ·

(« تانر » يلتفت بثبات الى « ريمســـدن » الـذى يرفض تبادل النظرات معه)

آن : (بنفس النبرات الرقيقة ، ومتجاهلة الرد الجاف من أمهـا) ماما تعرف انها تملك القوة الكافية لتحمل المســئولية كاملة عنى وعن « رودا » ، دون أن تحتاج لمساعدة أو نصيحة ما · ان « رودا » لها وصى ·· أما أنا ، ورغم اننى أكبرها سنا ، فلا أعتقد أن الفتاة ، فى سن الشباب ، يجب أن تترك لوصايتها الخاصة على نفسها ·· هل أنت معى فى ذلك يا « مجرينى » ؟ .

تانر : (بانزعاج) « جرينى » ! ·· هل تنوين تكنية كفيليك بأســماء مثل « جرينى » هذا ؟

آن : لا تكن أحمقا يا « جاك » · لقد كان « المستر ريمسدن » بالنسبة لى دائما هو « جدو » « رويبك » ، ولقد كنيته بهذا الاسم منذ تعلمت الكلام وأنا بعد طفلة صغيرة ·

ريمسدن : (بسخرية) المهم هو رضاؤك انت يا « مستر تانر » ·· أكملى يا « آن » ، أنا معك تماما ··

آن : حسن ·· مادمت سأكون تحت وصاية شخص ما ، فهل أملك الحق فى تنحية أى انســان يكون والدى الحبيب قد اختاره لى ؟

ريمسدن : (يعض على شفتيه) اذن ، فانت توافقين على اختيار والدك ·

آن : أنا لا أملك حق الموافقة أو الرفض ·· أنا أقبلها ·· لقد كان أبى يحبنى ويعرف مصلحتى تماما ·

ريمسدن : أنا أفهم شعورك يا آن لم تقولى غير ما توقعته منك ،وهذا هو سر ثقتنا فيك · لكن السؤال لم يطرح بالشكل المحدد كما تظنين ·· اسمحى لى أن أوضح لك المســألة · تصورى ، جدلا ، انك اكتشفت أنه كانت لى ســابقة مخلة بالشرف ، أو اننى لســت بالرجل المناسب الذى اختاره والدك المسكين ! هل كنت تصرين ، وقتها ، على اعتقادك بأنه من المنطق أن أكون وصيا على «رودا» ؟ ··

آن : لا أظن أبدا أن تقوم بأى عمل مخل بالشرف يا « جرينى » ·

تانر : (يحدث ريمسدن) وانت فعلا لم ترتكب أى عمل من هذا النوع ، اليس كذلك ؟

ريمسدن : (باحتقار) كلا يا سيدى ٠

مسز واتيفيلد : (بهدوء) حسن ٠٠ اذن ، لماذا نناقش افتراضا كهذا ؟

ريمسدن : (بارتباك شديد) كلاكما مفعمتان بأحاسيس فطرية وعاطفية ازاء كل ما يتعلق بهذه المسائل العائلية ، الى الحد الذى يصعب معه طرح القضية عليكما بحياد وموضوعية ٠

تانر : هذا اذا قلنا بأنك ، يا صديقى العزيز ، تطرح القضية بحيـــاد وموضوعية ٠

ريمسدن : (بانفعال) اذن فلتطرح انت الموضوع ٠٠ تفضل ٠

تانر : وهو كذلك ٠٠ «آن» : «ريمسدن» يعتقد اننى لا أصلح للوصاية عليك ، وأنا أوافقه تماما ٠٠ انه يعتقد أن والدك لو كان قد قرأ كتابى قبل وفاته ، لما اختارنى وصيا عليك ٠٠ هــذا الكتاب هو العمل الشائن الذى يتحدث عنه ٠ ولذلك يعتقد انه من واجبك ، ولو من أجل « رودا » ، يحتم عليك أن تطلبى اليه ، وحده ، القيام بالوصاية عليكما ٠٠ قوليها ، وأنا مستعد ٠

آن : لكننى لم أقرأ كتابك يا « جاك » !

تانر : (يتجه الى ســـلة المهملات ، ويلتقط الكتاب منهــا ، ويقدمه الى « آن ») اذن ٠٠ اقرئه فورا ، ثم قررى ٠٠

ريمسدن : (بانفعال شديد) اذا كنت ســـأقبل الوصاية عليك ، فأنا أمنعك ، وبكل اصرار ، من قراءة هــــذا الكتــاب يا « آنى » ٠٠ (يصفع الكتاب بقبضة يده وينهض) ٠

آن : اذا كنت لا تريد فلن أفعل (تضع الكتاب على المكتب) ٠

تانر : اذا منعك أحد كفيليك من قراءة كتاب من تأليف الوصى الثانى ، ترى ، كيف تستمر الأمور بيننا على هذا الأساس ؟ تصورى اننى أمرتك بقراءته ، كيف يكون موقفك تجاهى ؟

آن : (برفق) أنا واثقة انك لن توقعنى فى ورطة كهــذه يا « جاك » ٠

ريمسدن : (بضيق) نعم ٠٠ نعم ٠٠ « آنى » ، كل هذا جميل ومقبول ، وكما قلت لك ، أمر طبيعى وحبيب الى النفس ، لكنك يجب أن تختارى ، بطريقة أو بأخرى ، لأننا واقعون فى نفس الورطة التى وقعت انت فيها ٠

آن : أعتقد انني لا أزال صغيرة وعديمة التجربة ، ولذلك لا أستطيع اتخاذ القرار ·· أنا انسانة تقدس رغبات والدها وحسب ·

مسز واتيفيلد : أيها السيدان ·· اذا لم تستطيعا تنفيذ هذه الرغبات ، فلن تستطيعا النهوض بمسئوليات « آن » يهيأ لى أن الناس ، فى هذا العالم ، يلقون بتبعاتهم دائما على الآخرين ·

ريمسدن : يؤسفنى فهمك الموضوع على هذا الأساس ·

آن : (بتأثر) هل ترفض قبول الوصاية على يا « جرينى » ؟

ريمسدن : لا ·· لا ·· لم أقل ذلك أبدا ·· ان ما أرفضه هو الاشتراك مع « مستر تانر » ·· هذا هو كل شىء ·

مسز وايتفيلد : ولماذا ؟ · ·ما هى حكايتك يا « جاك » يا مسكين ؟
تانر : آرائى تقدمية جدا بالنسبة اليه ·

ريمسدن : (باحتقار) لا ، ليس لأنها آراء تقدمية ·· أنا ، أنا أنكرها كلها ·

آن : مستحيل أى هراء هذا !! أنا لا أعرف انســـانا تقدميا أكثر من « جرينى » · أنا واثقة أن « جاك » هو الذى خلق كل هذه المشكلة ·· تعال يا « جاك » ·· ترفق بى فى حزنى ·· انت لا ترفض الوصاية على ·· اليس كذلك ؟

تانر : (باكتئاب) لا ·· أنا أقحم نفسى فى كل هــذا الجدل بســبب وصايتك ، ولذلك سأدبر الأمر جيدا · (يتجه الى المكتبة ، ويقف هناك ، ويطالع عناوين الكتب) ·

آن : (تنهض ، وتتحدث بخجل وسعادة) اذن اتفقنا ، ستنفذان وصية والدى الحبيب · أنتما لا تعرفان أى سعادة تغمرانى وأمى بها اذ تتفقان · (تتجه الى « ريمســدن » وتضــغط على يديه قائلة :) سيكون عزيزى « جرينى » بجانبى ينصحنى ويوجهنى ·· (تتطلع الى « تانر » عبر كتفها) ومعى « جاك » ·· القاتل المارد ·· (تتجه الى أمها و « اوكتافيوس ») والصديق الصدوق « لجاك » : « ريكى تيكى تيفى » ·

(تحمر وجنتا « اوكتافيوس » خجلا ، ويبدو غبيا لا يستطيع التعبير عن ما يعتمل فى نفسه)

مسز واتيفيلد : (تنهض وتنفض ملابس حدادها) والآن ، وقد أصبحت

وصيا على « آن » يا « مستر ريمسدن » ، أرجو أن تحدثها حول عادتها فى تكنية الناس بأسماء التدليل الخاصـــة بهم ، فربمـــا لا يقبلون منها ذلك · (تتجه الى الباب) ·

آن : كيف تقولين ذلك يا أماه · (يلمع فى وجهها حزن دفين) أوه ، أنا مندهشـــة · هل انت على حق فى ذلك ؟ هل أنا قليلة الأدب ؟ (تتجه الى « اوكتافيوس » الذى يجلس منفرج الساقين على كرسيه ، وذراعيه ممدوان على مسند كرسيه ، وتضع يدهـا على جبهته ثم تجذب وجهه اليها فجأة) هل تريد أن أعاملك كرجل بالغ ؟ هل تقبل بأن أناديك باسم « مستر روبنسون » من الآن فصاعدا ؟

اوكتافيوس : (برفق) أوه ·· بل أرجوك ·· نادنى باسم « ريكى تيكى تيفى » ·· أما اذا ناديتنى باسم « مستر روبنسون » فســوف يؤذينى ذلك كثيرا · (تضحك وتلمس وجنته باصبعها ثم تتجه الى « ريمسدن ») هل تتفق معى على أن « جرينى » اسم على جانب كبير من البذاءة ، ومع ذلك فلم يساورنى الشك بانه يؤذيك هكذا ·

ريمســدن : (ببرود ، ويطرق برفق على كتف « اوكتــافيــوس ») من العزيزة « آن » ؟ هراء ؟ بالعكس · أنا أصر على تسميتى : «جرينى» ·· بل ولن أجيب عن أى اسم آخر لى « جرينى » هذا ·· « آنى »·

آن : (بامتنان) هكذا ·· كلكم تمعنون فى افسادى ، ماعدا « جاك » ·

تانر : (من وراء كتفيه وهو لا يزال أمام المكتبة) نادنى باسم « مستر تانر » من فضلك ·

آن : (برفق) لا تقل ذلك يا « جاك » · قولك هذا يشبه تلك الأشــياء التى تقولها عندما تهدف الى مفاجأة الآخرين ·· أما أولئك الذين يعرفونك فلا يأبهون بها ، ساناديك ـ ان شئت ـ باســـم جدك الشهير « دون جوان » ·

ريمسدن : « دون جوان » !

آن : (ببراءة) هل فى ذلك أى غضــاضــة ؟ أنا لا أعرف · ثم أننى لا أقصد بالفعل مناداتك بهذا الاسم · وحتى أفكر لك فى اســم آخر ، هل تسمح لى بمناداتك باسم « جاك » ؟

تانر : أوه ·· استحلفك بالله ألا تحاولى ابتكار شىء أسوأ من ذلك · أنا استسلم ، أوافق على « جاك » ، أرحب به ، ولتنتهى أول محاولاتى وآخرها لتاكيد حقى فى هذه المسألة ·

آن : أرأيت يا ماما ؟ كلهم يحبون أسماء التدليل .

مسز واتيفيلد : لا بأس ، ولكن أغفليهـا من فضـلك حتى تنتهى فترة الحداد .

آن : (بازدراء ، وقد صدمت بعنف) أوه .. لماذا ذكرتنى بذلك يا أماه ؟

(تسارع الى مغادرة الغرفة فى محاولة للسيطرة على عواطفها) .

مسز واتيفيلد : طبعا .. أنا المخطئة دائما (تلحق بها) .

تانر : (يتحرك من عند المكتبة) « ريمسـدن » .. لقد لطمنا ، صفعنا سحقنا .. بالضبط كما فعلت بأمها .

ريمسدن : اسكت ياسيدى (يغادر الغرفة وراء « مسز واتيفيلد ») .

تانر : (وحيدا فى الغرفة مع « اوكتافيوس » .. يحملق فيه بوحشية) « تيفى » .. هل تبغى الاهتمام بشىء ما فى هذا العالم ؟

اوكتافيوس : أريد الانشغال بشىء ما أكون فيه شاعرا .. أحلم بكتابة مسرحية عظيمة .

تانر : وبطلتها « آن » ؟

اوكتافيوس : نعم ، أمل ذلك .

تانر : احترس يا « تيفى » .. أن تكـون « آن » هى بطلة المسرحيـة ، لا مانع . ولكن اذا لم تكن حريصا جدا فانها ، والله ، ستتزوجك .

اوكتافيوس : (يتأوه) عندئذ أكون سعيد الحظ يا « جاك » .

تانر : لماذا تضع رأسك فى فم الأسد يا رجل ؟ لقد ابتلع الأسد نصفك الآن على ثلاث قضمات . القضمة الأولى : « ريكى » ، والقضمة الثانية : « تيكى » ، والثالثة : « تيفى » .. بعد ذلك تضيع تماما .

اوكتافيوس : نفس الشىء تفعله مع الجميع يا « جاك » .. انت تعرف أساليبها جيدا .

تانر : فعلا .. تقصم ظهر الجميع بضربة من مخلبها . ولكن السـؤال هو : أينا تلتهم أولا ؟ .. رأيى الخاص انها تنوى التهامك أنت .

اوكتافيوس : (ينهض ، وبغضـب) شىء فظيع أن تتحدث عنها بهـذه الطريقة وهى فى الدور العلوى تبكى أبيها . على أى حال أنا أفضل

تمامها لى عن احتمال وحشيتك هذه ٠٠ انها ـ على الأقل ـ تحملنى أحيى على الأمل ٠٠

تانر : « تيفى » ٠٠ هذا هو الجانب الشيطانى فى سحر المرأة ٠٠ تجعلك تتمنى دمار نفسك على يديها ٠

اوكتافيوس : ولكن هذا ليس تدميرا ٠٠ انه تحقيق للذات ٠

تانر : نعم ٠٠ تحقيق لهدفها هى ٠ وهذا الهدف لا يبغى سعادتها هى ولا سعادتك انت ، ولكنه يحقق هدف الطبيعة ٠٠ ان الحيوية فى المرأة ما هى الا الرغبة العمياء فى الوجود ٠ انها تضحى بنفسها على مذبح هذه الرغبة ، فهل تظن أنها ستردد فى التضحية بك انت الآخر ؟

اوكتافيوس : لماذا ؟ اذا كانت ستضحى بنفسها ، فلن تضحى بأحبائها ٠

تانر : هذا واحد من أفدح الأخطاء يا « تيفى » ٠ ان السيدات اللاتى يضحين بأنفسهن هن اللاتى يضحين بالآخرين ، وبأكثر الأساليب تدميرا ٠ واذا نوين التضحية فانهن يصبحن عطوفات ، ولكن فى الأمور البسيطة ٠ أما اذا كان لديهن هدف ما فهو ليس الهدف الذى يسعين من أجله ، ولكنه يعتبر هدف الكون كله ، ومن ثم يصبح الرجل فى نظرهن لا شيء غير أداة لتحقيق ذلك الهدف ٠

اوكتافيوس : لا تكن لئيما يا « جاك » ٠٠ بل يبذلن لنا كل رعاية واهتمام

تانر : فعلا ٠ كما يهتم الجندى بمسدسه أو الموسيقى بقيثارته ٠ ولكن هل يسمحن لنا بتحقيق أى هدف خاص بنا أو التصرف بحريتنا الشخصية ؟ هل يستطيع أقوى الرجال الافلات منهن سعيا الى تحقيق ذاته ؟ انهن يرتجفن عندما تحيق بنا الأخطار ، وينتحبن عندما يتوفانا الله ٠٠ لكن دموعهن لا تنسكب من مآقيهن حسرة علينا ، بل تنسكب عن عيونهن اذ يتذكرن أبا لهن قد مات ، أو ولدا فشلن فى تربيته ، ومن ثم يبكين مصيرا مظلما يتوقعونه له ٠ وفوق كل ذلك فهن يتهمننا بأننا نعاملهن كمجرد أوعية نفرغ فيها متعتنا ولذتنا ٠ ولكن أنى لمثل هذه الرغبة الأنانية الرعناء تستطيع استعباد أى امرأة كهدف مطلق للطبيعة والتى تتجسد فعلا فى استعباد المرأة للرجل ؟

اوكتافيوس : وماذا يهم ، ما دمنا نحقق السعادة بفضل هذا الاستعباد ؟

تانر : لا أهمية بالمرة ٠ ولكن عندما تكون رجلا بلا هدف يسعى من أجله ،

وعندما تكون ـ كمعظم الرجال ـ رجلا لا هم له غير السعى وراء رغيف الخبز · أما بالنسبة لك انت يا « تيفى » ، فأنت فنان · وهذا معناه أن تحلم بتحقيق ههدف لا يمكن امتصاصه أو التشكيك فيه ·· بالضبط كهدف المرأة ·

اوكتافيوس : لا ·· لا يمكن التشكيك فيه ·

تانر : بل هو يقين لا ينفذ اليه الشك · ان الفنان الحقيقى يحتمل أن تموت زوجته جوعا ، وأن يمشى أطفاله حفاة الأقدام ، وأن تتسول أمه رزقها بعد تجاوزها السبعين من عمرها ·· يستطيع احتمال كل ذلك دون أن يشغله شيء منه عن العمل من أجل فنه · أما بالنسبة للنساء فهو انسان نصفه سفاح ونصفه الآخر مصاص دماء ان الفنان يدخل فى علاقات حميمة مع النساء ، لا لشيء سوى دراسة نفسياتهن ، وأن يخلع عن وجوههن قناع التقاليد الزائفة ويسبر أسرارهن الدفينة ، ويدرك أن لديهن القوة على اثارة أعمق الطاقات المبدعة فى نفسه ، وأن يخلصنه من بلادة فكره ويجعلنه يبصر الرؤى ويحلم الأحلام ويوحين اليه بكل ما تهفو اليه نفسه من رؤى وأحلام وابداع · انه يستطيع اقناع النساء بأنهن انما يقدمن اليه كل هذا العون لا لشيء سوى تحقيق أهدافهن هن الذاتية ، فى الوقت الذى يقصد هو فيه الى تحريكهن لتحقيق أهدافه هو · انه يسلب الأم لبن صدرها ويسوده ليصنع منه حبرا يستخدمه فى السخرية منها وتمجيد العظيمات من بينهن · انه يتظاهر باعفائها من آلام حمل الطفل ساعيا بذلك الى ضمان عطفها على الطفل وحدبها عليه · فاذا بدأ الزواج فان الفنان العظيم يوصف فورا بأنه زوج سيىء ، بل وبما هو أسوأ من ذلك ·· انه يصبح سارق أطفال ، مصاص دماء ، منافق ، غشاش ·· انه لا يتورع عن افناء هذا الجنس عن آخره والتضحية بألف امرأة اذا كانت التضحية بهن جميعا لا تزيد عن مجرد مساعدته على تمثيل شخصية هاملت بطريقة أفضل أو رسم لوحة أجمل أو كتابة قصيدة أكثر عمقا أو مسرحية عظيمة أو فلسفة عميقة ! · وانت يا « تيفى » مثلا ·· خذ ملاحظة من الفكرة القائلة بأن مهمة الفنان هى تبصيرنا بذاتنا كما هى فى الواقع · ان عقولنا تعتبر لا شيء بالمرة لو أن فهمنا لها قد افتقد فكرته وآراءه من حولها · ان الذى يضيف ولو مثقال ذرة الى هذه المعرفة بالنفس البشرية انما يساعد على خلق فكر جديد ·· بالضبط كما تخرج المرأة من أحشائها رجالا جددا · وفى مجال هذا الخلق يصبح الرجل متحجر القلب ، كالمرأة ، وخطرا عليها

كما هي خطر عليه ، وساحرا خطير السحر مثلها تماما · واذا استعرضنا كل كفاحات الانسان فلن نجدها أكثر طغيانا وايلاما من ذلك الكفاح المحتدم بين الفنان الرجل والمرأة الأم ·· أيهما يستنزف الآخر لصالحه ؟ تلك هي قضية الصراع بينهما دائما ، وهي دائما قضية دونها الموت لأنهما ـ كما في حالتك الخاصة يا « تيفي » ـ يحب أحدهما الآخر ·

اوكتافيوس : حتى ولو كان الأمر بهذه الصورة ـ وهو ما لا أستطيع الاقتناع به ـ فان استحواذنا على أكثر الشخصيات نبلا وسموا يعتبر أمرا بعيدا كل البعد عن الصراعات القاتلة ·

تانر : تذكر يا « تيفي » أنك اذا صادفت الدب الأرقط أو النمر البنغالى للمرة الثانية ··

اوكتافيوس : أقصد حيث يوجد الحب يا « جاك » ·

تانر : أوه ·· هب أن النمر سيحبك ·· ليس هناك حبا أقوى من حب الطعام · أنا أعتقد أن « آن » تحبك بهذه الطريقة · وعندما ربتت على خدك فكأنها كانت تربت على قطعة من اللحم تنوى التهامها ·

اوكتافيوس : تأكد ، يا « جاك » ، انني سأهرب من وجهك ان لم أستطع اقناع نفسي ـ كقاعدة ثابتة ـ بأن لا أصدق كل ما تقول · انك تخرج علينا ببعض الأفكار البالغة الثورية بين الحين والآخر ·
(يدخل « ريمسدن » وبعده « آن » ·· يدخلان مسرعين وعلى حالهما السابق من الصمت والأسى ، وقد تحولا الى احساس بالاهتمام العبقرى الذى يبديه « ريمسدن » بشيء من الضيق ، ويقف بين الرجلين ، ويهم بقول شيء ما « لاوكتافيوس » ،ولكنه يفاجأ بوجود « تانر » فيصمت) ·

ريمسدن : لم أتوقع أن تظل هنا حتى الآن يا « مستر تانر » ·

تانر : لماذا ؟ أكان من الأفضل أن أنتظر في الشارع ؟ ·· عمت صباحا يا رفيق الوصاية (يتجه الى الباب) ·

آن : قف يا جاك · جريني ·· يجب أن يعرف كل شيء ، ان عاجلا وان آجلا ·

ريمسدن : « اوكتافيوس » · لدى خبرا بالغ الخطورة أود اخبارك به ، وهو خاص جدا وحساس جدا ومؤلم جدا جدا في نفس الوقت

ويؤسفني ابلاغك به · هل توافق على ابلاغك به فى حضور « مستر تانر » ؟

اوكتافيوس : (بوجه شاحب) أنا لا أكتم سرا عن « جاك » ·

ريمسدن : اسمح لى ـ قبل أن يستقر رأيك على ذلك ـ أن أقول لك ان هذا الخبر يتعلق باختك ، وهو خبر خطير جدا ·

اوكتافيوس : « فيوليت » ؟ ماذا حدث لها ؟ هل ·· ماتت ؟

ريمسدن : لا · لكن ما حدث لا يقل خطورة عن الموت ·

اوكتافيوس : هل أصابها مكروه ؟ هل أصيبت فى حادث ؟

ريمسدن : لا ·· لا شىء من ذلك ·

تانر : « آن » ·· الديك من الانسانية ما يجعلك تحكين لنا ما حدث ؟

آن : (تكاد تهمس) لا أستطيع ·· « فيوليت » فعلت أمرا خطيرا ، ويجب أن نخرج بها من هذا الموقف بأية وسيلة (تتجه الى المكتب وتجلس على كرسى « ريمسدن » ، تاركة الرجال الثلاثة لمناقشة الأمر فيما بينهم) ·

اوكتافيوس : (بشىء من الهياج) هل الموضوع كما قالت « آن » يا « مستر ريمسدن » ؟

ريمسدن : نعم (يتهاوى على الكرسى محطما) أخشى أن تكون « فيوليت » قد ذهبت الى « ايست بورن » منذ ثلاثة أسابيع ، فى الوقت الذى كنا نظنها فيه عند آل « بارى واتيفيلد » · فقد زارت بالأمس طبيبا غريبا لا أعرفه ، وكان فى اصبعها خاتم زواج ، ولقد قابلتها « مسز بارى واتيفيلد » هناك صدفة ، ومن ثم عرفت الموضوع كله ·

اوكتافيوس : (ينهض وقد شد على قبضة يده) من هو هذا المجرم ؟

آن : (ترفض الكلام) ·

اوكتافيوس : (يسقط على الكرسى مرة أخرى) : شىء فظيع ·· فظيع ·

تانر : (بسخرية غاضبة) فظيع ·· رهيب ·· أفظع من الموت كما يقول « مستر ريمسدن » (يتجه الى اوكتافيوس) ما هو الشىء الذى لم تفعله بحيث تحول الأمر كله وكأن قطارا قد حطم عظامها كلها أو أى شىء آخر مما يستحق الاحترام ويثير الاشفاق ؟ ·

اوكتافيوس : لا تكن فظا هكذا يا « جاك » .

تانر : فظ ! يا الهى .. على أى شىء تبكى أيها الرجل ؟ ها هى امرأة كانت فكرتنا عنها أنها مجرد فتاة ترسم اسكتشات رديئة بالألوان المائية ، وتتدرب على تقليد « جريج » و « برامز » ، وتتردد على الحفلات الموسيقية وتضيع عمرها ونقودها سدى .. ثم ها نحن نعلم فجأة أنها تتحول عن هذه السخافات الى تحقيق جاد لأسمى أهدافها وأعظم وظائفها كامرأة .. انها تزيد .. تتكاثر .. تضاعف عدد الناس على وجه الأرض . وبدلا من ابداء اعجابنا بشجاعتها واعلان سرورنا بنضجها العاطفى .. بدلا من أن نتوج تلك الأنوثة المتكاملة ونرفع صوتنا تشجيعا لهذه البادرة الظافرة قائلين : « لقد ولد لنا طفل .. أصبح لنا الآن ابنا » ، اذا بى أراك الآن ـ وانت فى حالك هذه وحتى فى وقت حدادنا على فقيدنا « واتيفيلد » ـ تقطب الوجه وتلطخ نفسك بالعار والفضيحة ، وكأن البنت قد ارتكبت أشد الجرائم شرا وأذى ؟

ريمسدن : (يزمجر غاضبا) : هذه الألفاظ الداعرة لن أسمح بسماعها فى بيتى (يصفع المكتب بيده) .

تانر : اسمع . اذا وجهت لى اهانة أخرى فلن أغفرها لك ، وأغادر بيتك فورا .. « آن » ، أين « فيوليت » الآن ؟

آن : لماذا ؟ .. أتذهب اليها ؟

تانر : طبعا اذهب اليها . انهـا بحاجة للمســاعدة ، بحاجة الى النقود والاحترام والتهنئة ، بحاجة الى كل فرصة متاحة للمحافظة على طفلها يبـدو أنها لن تنال شيئا من ذلك منـك ، بل ستناله منى أنا . أين هى ؟ .

آن : لا تكن عنيدا يا « جاك » . هى بالدور العلوى .

تانر : ماذا تقولين ؟ .. تحت السقف المقدس لبيت «ريمسدن » ؟ اذهب وأد واجبك المشئوم يا « ريمسدن » . ارمها فى الشارع . نظف بيتك من دنسها . أثبت طهارة بيتك الانجليزى . أنا ذاهب لاحضار عربة لها .

آن : (بانزعاج) اوه . « جرينى » ، لا تفعل ذلك .

اوكتافيوس : (ينهض محطم القلب) . سأخرج بها يا «مستر ريمسدن» . لن اسمح لها بدخول بيتك بعد ذلك .

ريمسدن : (بازدراء) ولكننى مشوق الى مساعدتها . (يتجه الى تانر) كيف تجرؤ يا سيدى على وصمى بهذه النوايا السيئة ؟ أنا أرفضها جميعا . أنا مستعد للتضحية بآخر بنس فى جيبى لانقاذها من الانزلاق فى حمايتك .

تانر : (يوافقه) لا مانع . موافق . أترون ؟ ها هو لا يتصرف حسب مبادئه المعروفة عنه . اذن فنحن متفقون على الوقوف بجانب « فيوليت » .

اوكتافيوس : لكن .. ما اسم الرجل الذى ارتكب هذه الفعلة ؟ يجب أن يصلح الأمر بالزواج منها . سيفعل ، والا أجبرته على دفع ثمن جرمه ذاك .

ريمسدن : سيفعل يا «اوكتافيوس » . انت الآن تتكلم كالرجال .

تانر : المهم أن لا تحكم عليه بأنه سافل .

اوكتافيوس : لا . ليس سافلا وحسب .. بل سافل وعديم الاحساس .

ريمسدن : سافل ملعون . معذرة يا «آنى» .. ولكننى لا أستطيع وصفه بأقل من ذلك .

تانر : اذن فنحن نزوج أختك من سافل ملعون كى نصلح من أمرها . أقسم لكم بأنكم جميعا مجانين .

آن : لا تسخر منا «يا جاك» . الحق معك يا «تيفى» . لكننا لا نعرف من هو ، و «فيوليت» لن تصرح لنا بذلك .

تانر : بالله ، بماذا يهمكم اسمه ؟ لقد أدى دوره وانتهى ، وبقى أن تؤدى « فيوليت » دورها .

ريمسدن : (مخاطبا نفسه) خبل ! جنون ! اننا أمام شخص سافل .. فاسق .. شرير .. افظع من القتلة ، ثم نطالب بألا نعرف اسمه ! نعم ! نشد على يديه ونحن جاهلون باسمه ، ونستضيفه فى بيوتنا ، ونثق فى معيشة ابنتنا معه و .. و ..

آن : (بطلف) «جرينى» . لا تصرخ هكذا . صحيح انها صدمة كبرى . يجب أن نعترف بذلك . ولكن اذا لم تخبرنا « فيوليت » ، فماذا نفعل ؟ لا شىء . لا شىء بالمرة .

ريمسدن : اوف . لا أعتقد ذلك . ولكن اذا وجدنا من يحسن معاملة « فيوليت » ، فسنعرف ذلك بسهولة . واذا كان بيننا شخص يعتنق هذه المبادىء الهابطة المنحلة .

تانر : احم ..

ريمسدن : (يرفع صوته) نعم يا سيدى . وأقولها مرة أخرى .. اذا كان بيننا شخص يعتنق هذه المبادىء الهابطة المنحلة .

تانر : أو شخص ينحدر الى حد عدم السيطرة على نفسه .

ريمسدن : (مذعورا) أتجرؤ على وصفى بما تقول ؟

تانر : عزيزى « ريمسدن » .. هذه الصفة تنطبق على جميع النـاس ، وهى ناتجة عن مواجهة أهداف الطبيعة فى ذواتنا . والشك الذى تبديه فى شخص ما ينطبق علينا جميعا . انه يشبه الوحل عندما يلطخ روب القاضى أو قلنسوة الكاردنيال ، بنفس الطريقة والسرعة التى يلطخ بها أسـمال الشحاذين . تعال ، « تيفى » ، تعال . لا تتزعج الى هذا الحد . هون عليك ، فقد يكون ذلك السـافل المزعوم هو أنا ، وربما يكون هو « مستر ريمسدن » .. بالضبط كما يحتمل أن يكون هو أى شخص آخر . واذا كان الأمر كذلك ، فماذا بوسعنا أن نفعل غير أن نكذب على أنفسنا ونعارض ونشجب .. بنفس الطريقة التى يعارض بها «ريمسدن» ويشجب ويرفض .

ريمسدن : (يكابد القدرة على الكلام) أنا . أنا . أنا ..

تانر : الرذيلة نفسـها لا يمكن أن تتلعثم بأكثر مما تفعل انت الآن . والغريب انك تعرف تماما أنه برىء يا « تيفى » .

ريمسدن : (بضيق) يسرنى اعترافك هذا يا سيدى . ومن جانبى فأنا أعترف بأن هناك قدر من الحقيقة فى ما تقول ، وبنفس القدر الذى تحاول تشويه الحقيقة بسـخريتك البذيئة هذه . اننى أمـل ، يا «تيفى» ، ألا يكون الشك قد تسرب الى نفسك حول شخصى أنا .

أوكتافيوس : فيك أنت ؟ لا .. ولا للحظة واحدة .

تانر : (بجفاف) أحس أنه يشك قليلا فى أنا .

اوكتافيوس : جاك . انت لا تستطيع ذلك ، ولن تفعله .

تانر : ولم لا ؟

اوكتافيوس : (بانزعاج) لم لا ؟!

تانر : اوه .. حسن .. أقول لك لم لا . لأنك سـتضطر الى التعارك معى ، وثانيا : لأن « فيوليت » لا تحبنى ، وثالثا : لأننى اذا كنت

سأنال شرف ابوة طفل « فيوليت » فأنا مضطر ، ســـاعتها ، الى التفاخر بذلك بدلا من انكاره • والآن ، هون عليك •• لن تتعرض صداقتنا لأية عواصف •

اوكتافيوس : ربما استطعت استبعاد ذلك الشك المروع . فقط لو كان تفكيرك في هذه المسألة احساسك بها طبيعيا • معذرة يا « جاك » •

تانر : تعتذر لى ؟ كلام فارغ ! • دعونا الآن نجلس معا على هيئة اجتماع عائلى (يجلس ، فيقتدى به الآخرون سواء عن اقتناع أو اكراه) ان « فيوليت » ستؤدى خدمة كبيرة للبلاد ، ولذلك لا يجب طردها خارج البلاد ، كما يجرى مع المجرمين ، وذلك الى أن تنتهى من أداء مهمتها • ماذا يحدث في الدور العلوى الآن ؟

آن : « فيوليت » في حجرة مديرة البيت ، لوحدها طبعا •

تانر : ولماذا لم تجلس فى الصالون ؟

آن : لا تسخر يا « جاك » •• لأن « مسز ريمسدن » جالسة مع أمى فى الصالون تفكران فى الموضوع •

تانر : أوه • الآن فهمت • غرفة الخادمة هى زنزانة السجن ، والسجين هناك ينتظر المثول أمام القضاة •• القطط العجاز •

آن : أوه يا « جاك » !

ريمسدن : أنت الآن ضيف فى بيت واحـــد من هـــذه القطط العجاز يا سيدى ، واختى هى سيدة هذا البيت •

تانر : وتستطيع حبسى فى غرفة الخدم ان استطاعت يا « ريمسدن » • على أية حال ، ســأســحب كلمة القطط ، لأن القطط أكثر عطفا ورحمة • « آن » ، بصفتى وصيا عليك ، أمرك بالتوجه فورا الى « فيوليت » ، وبأن تعامليها برفق وعطف •

آن : رأيتها يا « جاك » ، ويؤسفنى القول بأننى أخشى أن تصبح أكثر عنادا فيما يتعلق بخروجها من البلاد • ولذلك أعتقد أنه من الأفضل أن يحدثها « تيفى » فى هذا الموضوع •

اوكتافيوس : يا الهى •• كيف أستطيع محادثتها فى هذا الموضوع (ينهار باكيا) •

آن : كفاك انهيارا يا « تيفى » • حاول احتمال الموضوع ولو من أجلنا نحن •

ريمسدن : الحياة ليست كلها مسرحيات وقصائد شعر يا « اوكتافيوس » ‥ قم ! · واجه الموضوع · انت رجل ·

تانر : (يغضب مرة أخرى) أخي العزيز المسكين ! أصدقاء الأسرة المساكين الأعزاء · أيتها القطط الشرسة والقطط العجاز المساكين ! · أيها المساكين الأعزاء ، كلكم بائسون ، ماعدا تلك المرأة التى تضحى بحياتها من أجل خلق حياة جديدة ! وانت يا « تيفى » ، لا تكن جحشا أنانيا · اخرج وأحضر « فيوليت » هنا ‥ أحضرها هنا ، اذا كانت تسمح بالحضور الى هنا (ينهض اوكتافيوس) أخبرها أننا سنقف جميعا بجانبها ·

ريمسدن : (ينهض) لا يا سيدى ‥

تانر : (ناهضا ومقاطعا اياه) اوه ‥ نعرف ذلك · هذا أمر ضد مبادئك ولكنك ستفعل ما نريده نحن ·

اوكتافيوس : اؤكد لكم ، صادقا ، أننى لم أقصد أبدا أن أكون أنانيا · صعب على الانسان أن يحدد ما يريد فعله خصوصا اذا كان يأمل فى سلوك التصرف الصحيح ·

تانر : ان عادتك الانجليزية الورعة فى النظر الى العالم وكأنه «جيمنازيوم» أخلاقى أقيم خصيصا كى تكون شخصيتك بين أرجائه ‥ انما يقودك ـ دون وعى منك ـ الى الانغلاق داخل مبادئك الذاتية المبهمة ، فى الوقت الذى يجب فيه أن تشغل بالك باحتياجات الآخرين · أما الحاجة التى يجب التفكير فيها فى التو واللحظة فهى توفير الظروف المناسبة كى تصبح هذه السيدة أما قريرة العين ، وتلد طفلا صحيح الجسم · ركز طاقاتك كلها فى ذلك ، وعندئذ ترى الطريق أمامك واضحا لا يكتنفه الضباب · (يخرج اوكتافيوس مضطربا) ·

ريمسدن : (لتانر ، وبشىء من التعاطف) والأخلاق يا سيدى · ما هو نصيبها من ذلك كله ؟

تانر : تقصد بكاء مريم المجدلية وطفل برىء لطخه عارها · شكرا لك على تصورك هذا الذى لا يدخل فى دائرة اهتمامنا ، ولتذهب الأخلاق الى أبيها الشيطان ·

ريمسدن : أظن ذلك يا سيدى · تذهب الأخلاق الى الشيطان كى يسعد الداعرون من بيننا رجالا ونساء · وهكذا يكون مستقبل انجلترا · أليس كذلك ؟

تانر : اوه .. كان انجلترا لن تخلد الا بما تبديه أنت من رفض وشجب. ومع ذلك فأنا أعتقد أنك تتفق معى على الأقل فى هذا الموقف العملى الذى نتخذه الآن .

ريمسدن : ليس بمنطقك انت يا سيدى . وليس اعتقادا منى فى مبادئك

تانر : وجهة نظر تستطيع الاعلان عنها اذا طلب أحد منك الجهر بها .
(يدور ويقف أمام التمثال هربرت سبنسر ويحملق فيه بكآبة) .

آن : (تنهض وتتجه الى ريمسـدن) « جرينى » . ألا يجدر بك الصعود الى الصالون واخبارهم بما تنوى عمله ؟

ريمسدن : (ينظر بثبات الى تانر) يشق على أن أتركك وحدك مع هذا السيد . هلا حضرت معى ؟

آن : ربما لا تود « مسز ريمسدن » مناقشة هذا الموضوع فى حضورى يا « جرينى » . يجب ألا أكون موجودة .

ريمسدن : صحيح .. كان يجب أن أفكر فى ذلك .. أنت فتاة طيبة يا « آنى » .

(يربت على كتفها ، وتتطلع هى اليه بعينين ناعستين ، ثم يخرج . تنظر الى تانر الذى يوليها ظهره فتصدر نهنهة تشعره بوجودها ، ثم تتجه اليه وتحدثه بصوت خافت يكاد أن يكون همسا) .

آن : « جاك » (يتحول اليها مفاجأ بها) هل انت راض بالوصاية على ؟ آمل الا تكون مهموما بمسئوليتك عنى .

تانر : آه .. اضافة أخيرة تتقمصين بها شخصية كبش الفداء .. هه ؟

آن : اوه ! نكتة سخيفة .. اسحبها لو سمحت . لماذا تقول أشياء انت تعلم انها تؤلمنى ؟ اننى أبذل كل جهدى لاسـعادك يا « جاك » . أعتقد انه يجب على تذكيرك بانك الآن وصى على ، وستصيبنى بخيبة أمل شديدة اذا انت رفضت صداقتى .

تانر : (متطلعا اليها بنفس القدر من الكآبة التى كان ينظر بها الى التمثال) لست بحاجة لأن تستدرين عطفى عليك . يالزيف أحكامنا الأخلاقية ! . انت تبدين لى وكأنك عديمة الضمير بالمرة . نفاق صارخ . والمصيبة انك لا تعلمين الفرق بين هذا وذاك . ورغم كل ذلك ، فيك شيء من السحر . سأكون دائم الاهتمام بك بشكل أو بآخر ، وسأفتقدك ان غبت عنى .

آن : (تتسلل يدها برفق لتمسح على يده ويسيران معا خطوات) لكن ، أليس هذا شيء طبيعى يا « جاك » ؟ . نحن نعرف أحدنا الآخر منذ كنا أطفالا .. هل تذكر .

تانر : (مقاطعا) قف .. اتذكر كل شيء .

آن : اوه .. كنا سخيفين جدا .. لكن .

تانر : « آن » .. لو أننى عشت عمرا مديدا فلن أزيد عن ذلك الطالب الذى ترينه الآن ، والذى سيظل على حاله هذه حتى يبلغ التسعين من عمره . كل شيء راح وانقضى . ساعدينى على نسيانه .

آن : ألم يكن وقتا سعيدا ؟ (تحاول الإمساك بيديه مرة أخرى)

تانر : اجلسى وتصرفى بحكمة (يجلسها على الكرسى المجاور للمكتب). لا شك انه كان وقتا سعيدا بالنسبة لك انت .. كنت فتاة صغيرة ولم تحاولى وزن تصرفاتك أبدا . ولقد آن الأوان كى تتركى الطفل الشرير الذى كان يتلقى منك الصفعات دائما ، كى يحاول الحياة بطريقة أفضل . أنا أعرف كيف كنت تنجحين فى خداع الفتيات الأخريات .. تعرضين فضيلتك عليهن . لكن ، اجيبى هذا السؤال .. ألم تتعرفى أبدا على شاب طيب ؟

آن : حدث طبعا . جميع الفتيان سيتصرفون بغباء أحيانا . لكن « تيفى » كان دائما ولدا طيبا .

تانر : (يصدمه تصريحها هذا) . فعلا . انت على حق . ولسبب ما فانت لم تحاولى اغراء « تيفى » أبدا .

آن : اغراء ؟ .. « جاك » !! .

تانر : نعم يا عزيزتى « مفيستوفيليس » .. اغراء . لقد كنت متحرقة دائما الى معرفة ما يستطيع الشاب أن يفعل وكنت شيطانية الذكاء فى أن تصبحى وصية عليه ، ثم تنبشين أدق أسرار حياته .

آن : هراء كل ذلك لأنك تعودت أن تحكى لى قصصا طويلة عن أشياء شريرة فعلتها .. مقالب شيطانية شريرة ! .. تسميها أدق الأسرار .. ان أسرار الأولاد تشبه أسرار الرجال بالضبط ، وانت تعلم ما يفعله الأولاد .

تانر : (بعناد) لا .. لا أعلم . استحلفك بالله قولى لى .. ما هى ؟

آن : يا الهى .. الأشياء التى يحكونها لبعضهم البعض طبعا .

تانر : أقسم لك الآن اننى قلت لك أشياء لم أقلها لأحد سواك ، لكنك خدعتنى .. كانت العلاقة بيننا تفرض علينا ألا يخبىء أحدنا سرا عن الآخر . المفروض أن كلينا كان يخبر رفيقه بكل شيء ، لكنك لم تخبرينى بأى شيء .

آن : لانك كنت لا تحب التحدث عنى يا « جاك » . كنت دائما تحب التحدث عن نفسك .

تانر : آه .. حقا .. حقيقة مفجعة . كم كنت طفلة شيطانة تعرفين هذا الضعف فى ، ثم تلعبين عليه لارضاء شهوتك الى حب الاستطلاع ! . كنت أريد أن أصرخ لك بما يعتمل فى نفسى .. أن أجعل نفسى مهما .. لكننى وجدتنى ارتكب كثيرا من الحماقات ، وببساطة شديدة ، لا لشيء الا لكى أجد ما أحكيه لك .. تشاجرت مع أولاد لم أكن أبغضهم ، وكذبت فى أشياء كان يجب الصدق فيها ، وسرقت أشياء لا أحتاجها ، وقبلت بنات صغيرات لا أكن لهن أى عاطفة .. كل هذا فعلته من أجل سماع كلمة « برافو » منك .. وكلها أفعال لم تصدر عن أية عاطفة ، ولذلك كانت زائفة .

آن : لكننى لم أتكلم عنك أبدا يا « جاك » .

تانر : صحيح .. لأنك لو كنت تريدين منى أن أكف عن ذلك لكنت تحدثت عنى . كنت تريدين أن استمر ، واستمر فى الكلام .

آن : (بغضب) اوه .. ليس هذا صحيحا .. غير صحيح يا « جاك » . أنا لم أرض لك أبدا أن تفعل كل هذه الأشياء الغبية المدمرة الوحشية الغوغائية . كنت آمل دائما أن تفعل أشياء بطولية حقا . (تستعيد هدوءها) معذرة يا « جاك » .. لأن الأشياء التى فعلتها لم تكن أبدا على المستوى الذى كنت أتمنى أن يصدر عنك . كانت تسبب لى دائما شيئا من عدم الارتياح . لكننى ما كنت أستطيع مصارحتك بذلك كى لا أسبب لك أية متاعب . كنت لا تزال صبيا ، وكنت أعلم انك ستكبر وتتجاوز حماقاتك تلك ، وقد أكون مخطئة فى ظنى ذاك .

تانر : (بتهكم) لا تفتحى للأحزان بابا الى قلبك يا «آن» . تسعة أعشار الحماقات التى حكيتها لك كانت أكاذيب ، لأننى عرفت وقتها انك لا تحبين القصص الصادقة .

آن : طبعا . كنت أعرف أن بعض هذه الأشياء لا يمكن أن يحدث . لكن

تانر : آه ·· ها انت تحاولين اقناعى بأن بعض هذه الحماقات يمكن أن يحدث ·

آن : (ترد على انفعاله بشيء من التودد) لم أرد اقناعك بأى شيء · فقط كنت أعرف بعض الأشـــخاص الذين حدثت معهم تلك الحماقات وسمعتها منهم ·

تانر : نعم · لكن حتى القصص الصـــادقة كنت أحكيها لك لا لشيء الا لأخبرك بها · أما شعور الولد الحساس بالمهانة فقد يكون تســلية طريفة للكبار ذوى القلوب المتحجرة · أما الولد نفسه فقد تكون هذه التصرفات ـ بالنسبة له ـ شيئا مؤلما ومخزيا جدا لدرجة أنه لا يستطيع الاعتراف بها · وربما لهذا السبب أكون قد تخيلت تلك الأكاذيب لأننى فى المرة الوحيدة التى اخبرتك فيها بالحقيقة أنذرتنى بالوشاية بى ·

آن : اوه ·· لم يحدث ذلك أبدا ، ولو لمرة واحدة ·

تانر : بل حدث · هل تذكرين ألبنت ذات العينين السوداوتين : «راشيل روزيتى» ؟ ·· مارست معها الحب ، والتقينا ذات ليلة فى احدى الحدائق ، وسرنا هناك ويدانا متشابكتان حول خصر أحدنا الآخر ، وبدون أى احســـاس بالارتياح ، وتعانقنا عنـــد الرحيل ، وكنـــا رومانسيين جدا · ولو أن هذا الحب استمر فيما بيننا لقادنى الى الهلاك ، لكنه لم يستمر ، لأن الذى حدث أن « راشيل » قاطعتنى لأنها اكتشفت اننى حكيت لك عنها · كيف عرفت ذلك ؟ منك انت · ذهبت اليها وألقيت بالسر الأثيم فوق رأسها ، فمارســـت نوعا من الحياة المفعمة بالرعب الذليل والاحساس بالمهانة بســـبب تهديدك لها بافشاء سرها ·

آن : هذا جميل اسديته اليها هى الأخرى · كان من واجبى أن أوقف سلوكها الطائش ذاك ، وهى الآن تقدر لى هذا الجميل ·

تانر : هى ؟

آن: واجب على كل حال ·

تانر : أعتقد ان ايقاف أعمالى الطائشة ليس من واجباتك ·

آن : أوقفت طيشك بمنعها عن طريقك ·

تانر : أمتأكدة أنت من ذلك ؟ الذى استطعت الحيلولة دونه هو امكان اخبارى اياك بمغامراتى · ولكن كيف تعرفين أنك أوقفت المغامرات ·

آن : أتقصد القول بأنك سلكت نفس الطريق مع فتيات أخريات ؟

تانر : لا ·· يكفيني ما مارست من طيش مع « راشيل »

آن : (لا تفهم) اذن لماذا فقدت ثقتك في وأصبحت غريبا عني ؟

تانر : (بغموض) الـذي حـــدث هــو أنني آثرت الاحتفاظ لنفسي بكل اسراري ، دون الحاجة الى مشاركتك معي ·

آن : أنا متأكدة انني لو سألتك عن أي شيء من ذلك لبادرت الى الثرثرة أمامي بكل أسرارك ·

تانر : المسألة ليست علبة حلوى يا « آن » · انها شيء لم تحاولي أبدا مناقشته كشيء ذاتي خاص بي ·

آن : (بعدم فهم) ماذا ؟

تانر : روحي ·

آن : أوه · كن عاقلا يا « جاك » · ليتك تعرف انك تثرثر بكلام فارغ

تانر : بل انني أكثر ما أكون الآن رزانة ويقظة يا «آن» · انت لم تدركي ، في ذلك الوقت ، انك كنت تعبثين بروحي أيضا · لكن هــذا هو ما فعلته · أما احســاســك المفاجيء بواجبــك الأخلاقي لاعتراض « راشيل » واصلاحها ، فلم يكن ناشئا من فراغ · كنت حتى ذلك الوقت تشفقين على نفسك كي تظهري بمظهر الطفلة البريئة · والواقع انك لم تقدمي لأحد أبدا أي احساس بالواجب · لا أنت ولا أنا · كنت آنذاك ألعب دور الولد المغامر الذي لا يزيد ضميره براءة عن ضمير الثعلب اذ يقتحم عش الدجاج · أما الآن فقد بدأت أشــعر بالشك ، بالضوابط ، باكتشاف أن الصدق والأمانة لم يكونا أبدا من التعبيرات البراقة التي تلوكها أفواه الكبار وحسب ، بل كانا مبدأ ملزما عندي في أعماقي ·

آن : (بهدوء) صحيح · أعتقد أنك على حق · كنت وقتهــا على أعتاب الرجولة ، وكنت أنا على أعتاب الانوثة ·

تانر : أواثقة أنت أننا لم نكن على أعتاب شيء أكبر من ذلك ؟ ما معنى أعتاب سن الرجولة والانوثة في أفواه معظم الناس ؟ انت تعرفين · يعني بداية سن الحب · لكن الحب ، بالنسبة لي ، بدأ قبل ذلك بكثير · الحب لعب دوره في الأحلام والحماقات والخيالات المبكرة كمــا أذكر · بل انني أســـتطيع القول : في الأحــلام والحماقات والخيالات المبكرة التي نستطيع ـ كلانا ـ تذكرها ، رغم أننا لم نفهم

ذلك وقتها . لا ، لا .. ان التغيير الذى أصابنى هو ميلاد الغريزة الأخلاقية فى داخل نفسى ، وأنا أعلن هنا أن الغريزة الأخلاقية عندى هى الغريزة الحقيقية الوحيدة .

آن : كل الغرائز يجب أن تكون أخلاقية .

تانر : يجب ! هل تعتقدين أن وضع عدة ألفاظ من كلمة « يجب » أمام أى غريزة يجعلها قوية ما لم تكن هذه الغريزة قوية من ذات نفسها ؟

آن : ان غريزتنا الأخلاقية توجه انفعالاتنا يا « جاك » . لا تكن غبيا .

تانر : غريزتنا الأخلاقية !! أليس هذا انفعال ؟ هل من الشر أن نمتلك كل الانفعالات وكل الأحاسيس الطيبة فى نفس الوقت ؟ واذا لم تكن هذه الغريزة قوية ، بل أقوى من جميع الغرائز على الاطلاق فان كافة الغرائز الأخرى تستطيع العصف بها كما أوراق الشجر أمام الاعصار . ان ميلاد هذه الغريزة هو الذى يحول الطفل فيصبح رجلا .

آن : هناك غرائز أخرى يا « جاك » . وغرائز قوية جدا .

تانر : كلها كانت فى اعماقى قبل ذلك ، لكنها كانت خاملة وبلا هدف يحدد مسارها . من ذلك : الجشع الطفيلى ، القسوة ، حب الاستطلاع ، الخيالات ، العادات ، الانحرافات ، المبالغة ، والسخرية من سن البلوغ العقلى . وعندما بدأت هذه المشاعر فى الظهور كشعلة وشيكة الاضاءة لم تكن لها اشعاعاتها الخاصة بها ، ولكن بزوغ فجر الغريزة الأخلاقية هو الذى أضاءها .. أحاطها بهالة من الوقار .. أكسبها الوعى والقصد .. وجدها كغابة من الشهوات والنزوات فنظمها فى خضم من الأهداف والمبادىء . لقد بعثت روحى عن هذه الغريزة .

آن : أحس الآن أنك أصبحت أكثر تعقلا . كنت ولدا مدمرا مخيفا قبل ذلك .

تانر : مدمر ؟ . أسكتى .. كنت مخطئا وحسب .

آن : أوه .. بل كنت مدمرا جدا يا « جاك » . دمرت جميع شجيرات التنوب واجتذذت جذورها بسيف خشبى .. حطمت مزارع القثاء بالمنجنيق .. أشعلت النار فى مكان عام فالقى البوليس القبض على « تيفى » لأنه ولى هاربا عندما فشل فى منعك عن ذلك .. أنت .

تانر : تتعاملين معي بجدية · أنا الوصي عليك ، ومن واجبي أن أنهض رأسنا من أيدي الهنود الحمر · وبهذه المناسبة أنت لا تملكين أي قدرة على الخيال يا « آن » · انني الآن أكثر تدميرا من الماضي بعشرة أضعاف · ان الغريزة الأخلاقية قد تناولت غريزتي التدميرية ووجهتها الى أهداف أخلاقية ، فأصبحت الآن مصلحا ، وأصبحت – كغيري من المصلحين – محطما للأوثان ، للمعتقدات القديمة · لن أحطم مزارع القثاء ، ولن أحرق شجيرات التنوب بعد ذلك ، بل سأدمر المعتقدات ، سأحطم الأوثان ·

آن : (بخوف) أنا خائفة · أنا أنثى ، ولا أحتمل تجربة أي احساس بالتدمير · التدمير لا يفعل غير أن يدمر ·

تانر : فعلا · وهذا هو سر فائدته · ان البناء يرهق الأرض بالقوانين التي يسنها الفضوليون ، أما التدمير فينظفها منهم ويهبها الهواء الطليق ·· الحرية ·

آن : لا فائدة يا « جاك » · لن تحتمل امرأة أفكارك هذه ·

تانر : لانك تسيئين فهم البناء والتدمير كما لو كانا هما الخلق والقتل انهما يختلفان تماما · أنا أعشق الخلق وأنبذ القتل · نعم ، أعشقه في الشجر والزهر ، في الطير والوحش ، حتى فيك أنت (تبدو على وجهها مسحة من الاهتمام والرضا التي تغمر احساس الضيق والارتباك فتمحوهما عن وجهها) · ان الغريزة الأخلاقية الخلاقة هي التي دفعتني الى الارتباط بك بروابط تركت آثارها على نفسي حتى يومنا هذا · نعم يا « آن » ·· ان العلاقة الطفولية القديمة بيننا كانت رباطا لا شعوريا من الحب ··

آن : « جاك » !

تانر : أوه ·· لا تنزعجي هكذا ··

آن : لست منزعجة ·

تانر : (بشهوة) اذن انزعجي ·· أين مبادئك ؟

آن : « جاك » ·· هل تعني ما تقول أم لا ؟

تانر : تقصدين الغريزة الأخلاقية ؟

آن : لا · لا · الثانية ·· (بارتباك) أوه · انت سخيف · ان الانسان لا يعرف كيف يتعامل معك ·

تانر : تتعاملين معي بجدية . أنا الوصي عليك ، ومن واجبي أن أنهض بتفكيرك .

آن : اذن ، انتهت رابطة الحب ، أليس كذلك ؟ هل ضقت بي ؟

تانر : لا . إنما الغريزة الأخلاقية هي التي جعلت حبنا الطفولي مستحيلا . لقد ولد في نفسي احساس جديد وغيور بالذات .

آن : مسكين ! بل أنت تكره أن تعامل كطفل صغير .

تانر : نعم ، لأن معاملتي كطفل صـــغير تعني أنني لا أزال على الدرب القديم . لقد أصبحت شخصا جديدا . أما الذين يعرفون الشخص القديم فهم يسخرون مني . وأما الشـــخص الوحيد الذي يعاملني بتعقل وفهم فهو الخياط الذي أحيك ملابسي عنده . نعم . لقد ظل يأخذ مقاسات جسمي من جديد في كل مرة يراني فيها ، في حين كان الباقون يحتفظون بمقاساتي القديمة معهم ويظنون أنها لا تزال مناسبة لي .

آن : أصبحت خجولا بشكل رهيب .

تانر : عندما تصعدين الى السماء ــ يا « آن » ــ ستصبحين خجولة جدا من جناحيك خلال السنة الأولى أو هكذا . وعندما تقابلين أقاربك هناك ، ويصرون على معاملتك كما لو كنت لا تزالين من المخلوقات المعرضة للفناء ، فلن تستطيعين احتمالهم . ستحاولين الدخول الى دائرة لا يتوقع أحد دخولك اليها بعد أن أصبحت ملاكا .

آن : اذن ، فهو غرورك الذي دفعك الى الهروب مني .

تانر : بالضبط . غروري كما تقولين .

آن : اطمئن . لست بحاجة الى الابتعاد عني .

تانر : الابتعاد عنك قبل الآخرين جميعا . كنت دئما تناضلين ، أكثر من الجميع ، للحيلولة دون تحرري من تلك القيود التي كبلت روحي .

آن : (بجدية) أوه . كم أنت مخطيء ! . كنت أريـــد فعل أي شيء من أجلك .

تانر : أي شيء غير أن تدعيني أفلت منـــك . حتى في ذلـــك الوقت كنت تستخدمين ــ وبالغريزة ــ تلك الخدعة اللعينة التي تمارسها المرأة مع الرجل باثقال كاهله بالواجبات ، بأن تضع نفســها بكل القوة والاستسلام ــ اذا لزم الأمر ــ تحت رحمته ، حتى لا يستطيع ــ

فى النهاية ـ اتخاذ خطوة واحدة دون أن يهرع اليها مستأذنا ٠٠ أعرف رجلا مسكينا كل أمله فى الحياة هو أن يهرب من زوجته ٠ انها تمنعه ـ بالتهديد ـ من القائها تحت عجلات القطار الذى يحلم بتركها فيه ٠٠ هكذا تفعل النســاء جميعا ٠ اذا حاولنا ـ نحن الرجال ـ الذهاب الى مكان لا يردن ذهابنا اليه ، فليس هناك قانون يمكننا من ذلك ٠ ولكن اذا حاولنا اتخاذ الخطوة الأولى فاننا نفاجأ بصدوركن ملقاة تحت أقدامنا ، وأجسادكن تحت عجلات عرباتنا ٠ أما أنا فلن تستعبدنى امرأة بهذه الطريقة ٠

آن : لكنك لا تستطيع الحياة بين الناس ـ يا « جاك » ـ دون أن تنال احترام الآخرين ٠

تانر : آه ٠٠ أى نوع من الناس الآخرين ؟ هل هذا الاحترام للآخرين ـ أو قولى : هذا التفكير الرعديد فيهم والذى تسميه الاحترام هو الذى يجعل منا عبيدا للعاطفة كما نحن الآن ؟ احترامك ـ كما تسمينه ـ معناه أن استبدل ارادتى بارادتك انت ٠ فكيف يتم ذلك اذا كانت ارادتك أكثر انحطاطا من ارادتى ؟ هل النساء متعلمات أكثر من الرجال أم أسوأ منهم ؟ بالطبع ، أســوأ ، وفى جميع الحالات ٠ وعلى هــذا الأســاس ، ما هو نوع العالم الذى تحلمين بتحقيقه ، والعامة فيه رجال يفكرون فى جماهير الناخبين ، والخاصة من رجاله يفكرون فى زوجاتهم ؟ ٠ ما معنى الكنيسة والدولة فى هذه الأيام ؟ ٠٠ معناهما : المرأة وممول الضرائب ٠

آن : (بهدوء) يسرنى أن تفهم فى السياسة يا « جاك » ٠ سيفيدك ذلك كثيرا عندما تنتخب عضوا فى البرلمان ٠ (ينهار تانر كما تتحطم بالونة ثقبها دبوس) ٠ لكن يؤسفنى اعتقادك بأن تأثيرى عليك كان سيئا ٠

تانر : لم أقل كان سيئا ٠ ولكن سواء أكان التأثير محمودا أم مذموما فأنا لم أختر أبدا أن أكون رهن اشارتك ، ولن يحدث ذلك أبدا ٠

آن : لم يطلب أحد منك ذلك يا « جاك » ٠ أؤكد لك ـ وأنا صادقة فى كلامى ـ أننى لم أفكر فى آرائك السخيفة هذه ولو لحظة واحدة ٠ أنت تعلم أننا نشأنا جميعا كى نعتنق آراء تقدمية ، فلماذا تصر على اعتبارى فتاة ضيقة الأفق ؟

تانر : هذا هو مكمن الخطورة فى الموضــوع ٠ أنا أعلــم أنك لا تفكرين لأنك اكتشفت أن المســألة لا تســتأهل منك التفكير ٠ ان الأفعى

الرقطاء اذا أحكمت لف جســـدها حول ذكر الأيل ، فما هي قيمة آرائه بعد ذلك ؟

آن : (تنهض مع احساس ضئيل بالاستنارة) أووووه ٠٠ الآن فهمت لماذا تخيف « تيفي » مني بوصفي أنني حية رقطاء ٠ هو أخبرني بذلك ٠ (تضحك وتلقي وشاحها حول رقبته) ٠٠ ناعم وجميل ٠ أليس كذلك يا « جاك » ٠

تانر : (بازدراء) انت امرأة فاضـــحة ٠ هل ترمين بكل شيء ، حتى نفاقك ؟

آن : لم أكن منافقة أبدا ، خصوصا معك يا « جاك » ٠ هل غضبت ؟ (تسحب الوشاح من حول رقبته وترميه على الكرسي) ربما أخطأت في ذلك ٠

تانر : (باحتقار) أف ٠ منتهى الاحتشام ٠ ولماذا لا تفعلين ما يحلو لك اذا كان يرضيك ؟

آن : بحيـــاء) حســـن ٠ لأنني ٠٠ لأنني أفهم ما تعنيـــه بقولك الأفعى الرقطاء ٠ (تلف رقبته بذراعيها) ٠

تانر : (يحملق فيها) وقاحة مدهشة ! (تضحك وتربت على خديه) فكري الآن ٠ لو أنني حكيت تصرفاتك هذه فلن يصدقني أحد الا اولئك الذين يريدون منعي أنا من البوح بها ، في حين أنه لو حكيتها أنت فلن يصدقني أحد اذا حاولت أنا انكارها ٠

آن : (تبعد يديها عنه باحترام تام) أنت لا تخطيء يا « جاك » ٠ لكن لا تسخر من عاطفة أحدنا تجاه الآخر ٠ لن يسيء أحد فهمها ، وأمل ألا تسيء فهمها أنت ٠

تانر : قلبي يقول لي ذلك يا « آن » ٠ ولكن ماذا عن « ريكي تيكي تيفي » المسكين ؟

آن : (تنظر اليه مبهورة كما لو سلط عليها ضوء مفاجيء) أرجو ألا تبالغ فتغار من « تيفي » ٠

تانر : أغار ! لماذا ؟ ٠٠ أنا لا يدهشني استحواذك عليه ، بل أحس أن القيود تحيط بكياني كله رغم أنك انما تلعبين معي ٠

آن : هل تعتقد أن عندي بعض الخطط مع « تيفي » ؟

تانر : طبعا ٠

آن : (بوقار) حذار يا « جاك » ! قد تسبب لـ : « تيفى » الكثير من التعاسة اذا حاولت التأثير عليه من جهتى ٠

تانر : لا تخافى ٠٠ لن يفلت منك ٠

آن : أنا مندهشة ٠ هل أنت ذكى فعلا ؟

تانر : ولماذا هذا التشويه المفاجيء للموضوع ؟

آن : لأنك تبدو وكأنك تفهم كل ما لا أفهمه أنا ٠ أما فى الأشـياء التى أفهمها أنا فانت لا تزال بالنسبة لى طفلا ٠

تانر : أعرف مشاعر « تيفى » تجاهك يا « آن » ٠ وبوسعك الارتياح الى ذلك ٠

آن : وتعتقد أنك تفهم مشاعرى تجاه « تيفى » ٠٠ أليس كذلك ؟

تانر : بل أعرف جيدا ما سيحدث له ، المسكين ٠

آن : لو لم يكن والدى متوفيا لضحكت من كلامك هذا يا « جاك » ٠ فكر فى الأمر جيدا ٠ هل سيكون « تيفى » تعيسا حقا ؟

تانر : طبعا ٠٠ لكن المسـكين لا يريد أن يفهم ذلك ٠ انه أحسـن منك ألف مرة ، ولهذا السبب فهو مقدم على ارتكاب أكبر خطأ فى حياته بارتباطه بك ٠

آن : أعتقد أن الرجال اذا كانوا أذكياء فهم يرتكبون من الأخطاء أكثر مما يقعون فيه لو كانوا طيبين ٠ (تجلس ، وبداخلهـا ازدراء عميق لجنس الرجال كله) ٠

تانر : أنا أعرف انك لا تهتمين كثيرا بـ : « تيفى » ٠ لكن يبقى هناك دائما شخص يقدم القبلة وآخر يسمح بقبولها ٠ و « تيفى » هو الذى سيقبل دائما ، وانت لن تفعلى غير أن تتركى له خدك ، ولا مانع من الاستغناء عنه اذا عرف شخص آخر كيف يدير خدك بطريقة أفضل مما كان يفعل « تيفى » ٠

آن : (تشعر بالاهانة) « جاك » ٠ لاحق لك فى قول مثل هذه الأشـياء عنى ٠ تلك أقوال غير صحيحة ، بل غير مهذبة ٠ فاذا اخترت انت و « تيفى » أن تتصرفا بغباء معى ، فما ذنبى فى ذلك ؟

تانر : (بحزن عميق) اغفرى لى حماقاتى يا « أن » ، فهى تناسب هذا العالم الشرير ولا تناسبك أنت (تتطلع اليه مسرورة وغافرة له ،

ثم يفيق الى نفسه فجأة) كل شيء سـواء · أرجو أن يعـود «ريمسدن» · لن أشعر معك بالأمان · ان فيك سحرا شـيطانيا··
لا ·· ليس سحرا ، بل اهتمام شديد (تضحك) هكذا · تقابلين الاهتمام بك بالاحساس بالانتصار ·· الانتصار الفاضح المخزى ·

آن : يا لك من مغازل معذب يا « جاك » ·

تانر : مغازل ! ·· أنا ؟

آن : نعم ·· مغازل ·· تسب الناس وتفسدهم ، ولكن دون السماح لهم بالافلات من قبضتك ·

يعود الى المسرح : «ريمسدن» ، و «اوكتافيوس» ، ومعهما «مسز ريمسدن»: وهى سيدة عجوز عنيدة ، ترتدى فستانا حريريا لونه بنى فاتح ، مع كثير من الخواتم والسلاسل ودبابيس الصدر ، وكأنها تقصد باختيارها اللون الفاتح للفستان أن يكون بمثابة اعلان عن التمسك بالمبادىء وليس بالحداد الذى تعيشه الأسرة منذ توفى « مستر واتيفيلد » · تدخل الى الغرفة بثبات واع ، ومن خلفهـا الرجلين مذعنين مضطربين · تنهض « آن » وتتجه اليها وتستقبلها بشوق · أما « تانر » فينسحب باتجاه الجدار الواقع بين التمثالين ويتظاهر بمطالعة الصور · ويتجه « ريمسدن » الى مكتبه كالعادة ، بينما يتجه « اوكتافيوس » الى « تانر » ·

مسز ريمسدن : (تسحب «آن» معها ، وتتجه الى كرسى «مسز واتيفيلد» وتجلس بثبات) أنا نفضت يدى من الموضوع كله ·

اوكتافيوس : (بمسكنة) أعرف أنك تريدين أن أطرد «فوليت» من البيت · سأفعل (يتجه الى الباب) ·

ريمسدن : لا · لا ·

مسز ريمسدن : « روبيك » · ما فائدة كلامك هذا ؟ · « اوكتافيوس » يعلم جيدا أننى لن أطرد أى امرأة نادمة وتائبة عند بابك ، ولكن عندما لا تكون المرأة شريرة فحسب بل وتصر على الاستمرار فى غيها ·· عندئذ لا يمكن أن تربطنى بها أى علاقة ·

آن : « مسز ريمسدن » · ماذا تقصدين ؟ ماذا قالت « فيوليت » ؟

ريمسدن : « فيوليت » عنيدة جدا · لن ترضى بمغادرة لندن · أنا لا أفهم ماذا تريد ·

مسز ريمسدن : لكننى فهمت · الأمر واضـح كوضوح أنفك فى وجهك

يا « رويبك » . هي لا تريد أن ترحل لكي لا تبتعد عن ذلك الرجل مهما كان اسمه .

آن : اوه . طبعا طبعا . « اوكتافيوس » ، هل تكلمت معها ؟

اوكتافيوس : لم تقل شيئا . لكنها تصر على عدم التصرف في أي شيء قبل أن تستشير شخصا ما . ولن يكون هذا الشخص الا ذلك السافل الذي خدعها .

تانر : (محدثا اوكتافيوس) حسن . دعها تشاوره . وسيرضيه جدا خروجها من البلاد . أي مشكلة في ذلك ؟

مسز ريمسدن : (تسبق اوكتافيوس الى الاجابة) الصعوبة ، يا « مستر تانر » ، هي أنني عندما عرضت عليها المساعدة لم أعرض الاشتراك معها في شرورها . فهي اما أن تقسم ألا تقابل هذا الرجل مرة أخرى واما أن تبحث لنفسها عن أصدقاء غيرنا .

(تظهر الخادمة عند الباب . تعود « آن » الى كرسيها مسرعة وتبدو غير مهتمة بشيء . «اوكتافيوس » يقلدها دون وعي) .

الخادمة : مدام . العربة عند الباب .

ريمسدن : عربة لمن ؟

الخادمة : ل : « مسز روبنسون » .

مسز ريمسدن : أوه (تستعيد أنفاسها) لا بأس (تخرج الخادمة) أرسلت في طلب عربة يا « اوكتافيوس » .. أترى !

تانر : كنت سارسل أنا في طلب عربة منذ نصف ساعة .

مسز ريمسدن : يسرني أنها تفهم الموقف الذي وضعت نفسها فيه .

ريمسدن : أنا لا أوافق على خروجها بهذه الطريقة يا «سوزان» . الأفضل أن نتجنب العنف معها .

اوكتافيوس : لا .. أشكرك . أشكرك . أشكرك .. « مسز ريمسدن » على حق ، و « فيوليت » ليس من حقها البقاء هنا .

آن : ألن تذهب معها يا « تيفي » ؟

اوكتافيوس : لا تريدني معها .

مسز ريمسدن : طبعا لا تريد ، لأنها ذاهبة اليه فورا .

تانر : نتيجة طبيعية للاستقبال الفاضل الذى لقيته هنا ٠

ريمسدن : (بانزعاج شديد) هيا ، « سوزان » ٠ سمعت ؟ قد يكون على حق ٠ أرجو أن تهدئى خاطرها بشىء من مبادئك ، وأن تتذرعى بالصبر مع هذه الفتاة المسكينة ٠ انها لا تزال صغيرة ، والوقت كاف لاصلاح كل شىء ٠

مسز ريمسدن : اوه ٠ ستنال كل ما تحتاجه من عطف من الرجال ٠ انت تدهشنى يا « روبيك » ٠

تانر : وأنا أيضا يا « ريمسدن » ٠

(تظهر « فيولت » عند الباب ٠٠ فتاة فى عمر الشباب ، واثقة من نفسها ، لا يبدو عليها احســاس بالندم ، وكأنهــا تريد أن تبدو على أفضل أحوال انوثتها ٠ لها رأس صغير ، وفم دقيق ، وذقن مدبب ، ونضارة متغطرسة عند الكلام ، وشجاعة جسورة ، مظهرها العام لا أثر للخوف فيه ٠ يتكون زيها من قبعة أنيقة يعلوها طائر محنط ٠ ولنا أن نتخيل مثل هذه السيدة القوية الشخصية ، والتى على هذا القدر من الجمال ، لكنها لا تشبه «آن» الخاضعة ، بل تستحوذ على اعجاب الآخرين دون استجدائه أو حتى ابداء أى اهتمام به من جانبها ٠٠ الى جانب انه فى شخصية « آن » شىء من المرح ٠ أما فى هذه المرأة فلا شىء من ذلك ، وربما لا شىء من الرحمة أيضا ٠ واذا كان هناك ما يعيبها فهو الذكاء والاعتداد بالنفس ولكن بلا عاطفة ٠ صوتها كصوت المدرسة عندما توبخ التلميذات على خطأ ارتكبته ٠ تتقدم بخطى ثابته ، وبشىء من الاشمئزاز ، لقول ما جاءت للتصريح به)

فيوليت : جئت لأخبر « مسز ريمسدن » أنها ستجد هديتها فى عيد ميلادى ـ السوار المثقب ـ فى غرفة الخادمة ٠

تانر : « فيوليت » ٠ ادخلى وحديثنا بهدوء ٠

فيوليت : شكرا تكفينى المناقشات العائلية التى شهدتها هذا الصباح ٠ هذا ما قالته أمك يا « آن » ٠ على كل حال يكفينى أننى اكتشفت قيمة هؤلاء الذين يدعون أنهم أصدقائى ٠٠ وداعا ٠

تانر : لا ٠ لا ٠ لحظة واحدة ٠ لدى شىء أرجوك ســماعة ٠ (تنظر اليه بدون أدنى رغبــة فى حب الاســـتطلاع ولكنها تقف ـ بشىء من التحدى ـ لاستكمال ارتداء قفازها ، وتستمع له ولكن بما لا يزيد عن اهتمامها بما تفعل) ٠ أنا أوافقك تماما على هـــذا الموضوع ٠ اهنئك بكل احترام لأن لديك الشجاعة لفعل ما تريدين ٠ انت على

حق تماما ، والعائلة مخطئة على طول الخط • (يتوتر الجو •• تنهض «آن» و «مسز ريمسدن» وتتجهان اليها • تنسى «فيوليت» ـ في دهشتها بما يحدث ـ أن تكمل ارتـداء قفازهـا ، وتتجه الى وسط الغرفة • اما السيدتان فهما منزعجتان مرتبكتان • الوحيد الذى لم يتحرك من مكانه ، ولم يرفع رأسه هو « اوكتافيوس » ، لأن الخجل يعتصره تماما) •

آن : (معتذرة لتانر) « جاك » !

مسز ريمسدن : (غاضبة) حسن •• أريد أن أقول !

فيوليت : (بحدة لتانر) من أخبرك بالموضوع ؟

تانر : ماذا ؟ « ريمسدن » و « تيفى » • ولم لا ؟

فيوليت : لأنهما لا يعرفان •

تانر : لا يعرفان ماذا ؟

فيوليت : أقصد ، لا يعرفان أننى على صواب •

تانر : اوه •• يعرفان ذلك فى أعماقهما ، بل ويعرفان أنهما مضطرين لالقاء اللوم عليك ، انطلاقا من خزعبلاتهم عن الأخلاق والصلاح وما شابه ذلك • لكننى أعرف • والعالم كله يعرف • ومع ذلك لا يجرؤ أحـــد على الجهر بأنك كنت على حق فى اســـتجابتك لغريزتك ، وبأن الحيوية والشجاعة هما أعظم ما يمكن أن تتصف به امرأة ، وكما أن للأمومة مبادراتها الواعية فى الأنوثة فإن الحقيقة القائلة بأن زواجك غير شرعى لا تعنى أحدا •• اللهم الا شخصك أنت وحرصنا الصادق عليك •

فيوليت : (تحمر خجلا) أوه •• تظننى امرأة سيئة كغيرى من النساء • انت تعلم اننى ما كنت شريرة أبدا الا فى قبولى لأفكارك الشائنة هذه • « مسز ريمسدن » • لقد احتملت كلماتك القاسية لأننى أعلم أنك ستندمين عليها عندما تعلمين الحقيقة ، لكننى لا أحتمل أبدا هـذه الاهانة الرهيبة فى موافقة « جاك » على فعلتى هذه ، وكأننى واحدة من الشريرات اللاتى يوافق هو على أفعالهن الشائنة • لقد احتفظت بخبر زواجى سرا من أجل خاطر زوجى •• والآن أعلن أمامكم أننى ـ كامرأة متزوجة ـ لن أقبل اهانة من أحد •

اوكتافيوس : (يرفع رأسه بشىء من الاحساس بالخلاص لا يمكن وصفه بالكلمات) متزوجة ؟

فيوليت : نعم . كنت أرجو أن تفهم ذلك . كيف فات عليكم جميعا انه لاحق لى فى لبس خاتم الزواج دون أن أكون متزوجة بالفعل . لم يسألنى واحدا منكم . ولن أغفر لكم ذلك .

تانر : (محطما) لقد سحقت تماما .. كنت حسن النية فى ما أقول . آسف . آسف بشدة .

فيوليت : أرجو ـ فى المستقبل ـ أن تكون أكثر حذرا فى ما يصدر عنك من أقوال . مما لا شك فيه أن الانسان لا يناقش أقوالك بشىء من الجدية لأنها سخيفة ومرفوضة .

تانر : (ينحنى للعاصفة) ليس عندى دفاع . أحسن شىء أتعلمه للمستقبل هو أن لا أدافع عن أى امرأة . لقد احرجنا أنفسنا جميعا فى حضورك ماعدا « آن » .. فقد تعاطفت معك فى محنتك . ولذلك ، ومن أجل « آن » .. سامحينا .

فيوليت : لا مانع . « آن » كانت رقيقة معى .. ولكنها عرفت كل شىء بعد ذلك .

تانر : (بحركة يا ئسة) اوه !!! . خداع غريب .. خيانة !

مسز ريمسدن : (بجفاء) ومن هو ذلك الرجل الذى لا تريد زوجته الاعلان عن اسمه ؟

فيوليت : (بحزم) « مسز ريمسدن » . هذا يخصنى أنا .. ولا شأن لك به .. لدى أسبابى الخاصة لعدم اعلان زواجى فى الوقت الحاضر .

ريمسدن : كل ما أستطيع قوله هو أننا آسفون جدايا « فيوليت » . تؤسفنى الطريقة التى عاملناك بها .

اوكتافيوس : (بجبن) معذرة يا « فيوليت » . لا أقول أكثر من ذلك .

مسز ريمسدن : (رافضة الخضوع للموقف) ان كلامكم هذا يزيد الموقف تعقيدا . لا بأس . أنا أحتفظ برأيى لنفسى ..

فيوليت : (تقاطعها) انت مدينة لى بالاعتذار يا « مسز ريمسدن » . أنتما مدينان لى بالاعتذار . ولو انك كنت امرأة متزوجة لكرهت الجلوس فى غرفة الخادمة وأن تعاملى كطفل مشاغب تعاقبه فتيات صغار وسيدات كبار بدون أى احساس بالواجبات والمسئوليات الجادة .

تانر : الضرب فى الميت حرام يا « فيوليت » · واذا كنا قد وضعنا أنفسنا فى موقف حرج فالواقع انك انت التى وضعتنا فيه ·

فيوليت : على أية حال هذا الموضوع لا يهمك بالمرة يا « جاك » ·

تانر : لا يهمنى ·· كيف ، وقد شرفنى « ريمســدن » فاتهمنى بأننى أنا الرجل الذى نبحث عنه ·

(تند عن «ريمسدن» آهه تدل على الضــيق الشــديد · لكن الهدوء الواعى الغاضب من «فيوليت» يغطى عليها) ·

فيوليت : أنت ؟ اوه ·· ياللعار ! يالها من اهانة · كم كنتم مبالغين ومجرمين فى الحكم على · لو عرف زوجى بما حدث فلن يسمح لى بمخاطبة أى واحد منكم · (تخاطب ريمسدن) اما انت فاعتقد انك كنت تستطيع ــ على الأقل ــ اعفائى من هذا الموقف ·

ريمسدن : اؤكد لك اننى لن ·· الموضوع ·· أقل ما يوصف به هو أنه تشويه خطير لشىء ما ·· وأنا قلت انه ··

مسز ريمسدن : لا تعتذر يا « ريمسدن » ·· هى التى جلبت على نفسها كل ذلك ، والواجب عليها هو الاعتذار لنا عن تضليلها ايانا ·

فيوليت : قد أغفر لك يا « مسز ريمسدن » ، لأنك لا تعرفين مشــــاعرى تجاه هذا الموضوع ·· لكننى كنت أتوقع شيئا من اللباقة والتعقل من اناس لهم تجاربكم العريضة فى الحياة · على كل حال أنا أشعر انكم وضعتم أنفسكم فى موقف مؤلم جدا ·· اما أول شىء يجب على عمله الآن فهو الخروج من هنا ، وفورا ·· عمتم صباحا ·

(تخرج تاركة اياهم يحملقون فى ذهول)

مسز ريمسدن : حسن ·· أستطيع القول بأنه ··

ريمسدن : (بكآبة) لا أعتقد أنها أنصفت فى حكمها علينا ·

تانر : « ريمســدن » يجب أن تنحنى احتراما لخاتم الزواج كمــا نفعل جميعا ·· لقد طفح العار من كأسنا ·

الفصل الثانى

المنظـر :

موقف عربات عند بيت ريفى قرب ريتشموند • توجد عربة صيفية مكسورة تقف أمامأكمة من الأشجار التى تحيط بالموقف وتمتد حتى تصل الى البيت الذى يكاد يختفى بين الأشجار •

يقف « تانر » فى موقف العربات وظهره للجمهور ، ويكاد لا يرى الركن الغربى من البيت ، وهو مشغول فى مراقبة اثنين من العمال يستلقيان على ظهريهما تحت السيارة فى تراخ ويرتديان « اوفرول » من القطن ، وهو يراقبهما بانتباه ، وقد اسند كفيه الى ركبتيه ، ومظهره يدل على انه مسافر توقف فى الطريق لعطب اصاب سيارته •

العامل : آها •• أخيرا أصلحته •

تانر : كله تمام ؟

العامل : تمام •

(ينحنى « تانر » ويسحب العامل من كعبى قدميه كما يسحب عجلة قطع الحشائش بالحديقة فيخرجه من تحت السيارة زاحفا على يديه وفى فمه مطرقة • وهو شاب جيد الهندام يرتدى صديريا أزرقا • وهو حليق الذقن ، أسود العينين ، سمين الأصابع ، ذو شعر اسود مصفف ، وجفنان مرتعشان يوحيان بالشك والتوجس • اما عندما كان يقوم باصلاح السيارة فقد كانت حركاته سريعة وفورية ولكنها واعية ومدربة • وأما مع « تانر » وأشباهه فلا اختلاف فى سلوكه معهم ، فهو بارد ، متحفظ فى الكلام ، يبعدهم عنه الى المسافة التى لا تسمح لهم بالشكاية اليه ، ومع ذلك فعينه تراقبهم بحرص وبمزيد

من السخرية وكأنه رجل يعرف العــالم جيدا من زاويته المظلمة ، وهو يتكلم ببطء ، وفي لهجته مسحة من التهكم ، لا يقلد الجنتلمان في حديثه أبدا · وقد تجدر الاشارة الى أن تأنقه بمظهره انما يصدر عن احترامه لنفسه ووظيفته أكثر من احترامه لاولئك الذين يعمل عندهم · يدخل في السيارة لتصفيف أدواته وهندامه · أما « تانر » فيخلع « الاوفرول » الجلدى الذى كان يرتديه ويدسه في السيارة مع آهة بالخلاص ورضا بالتخلص منها · ومع ملاحظة الســـائق لذلك يهــز رأســه بازدراء ويمطــر صاحب العمل بنظرات ملؤها السخرية) ·

السائق : ألست بحاجة اليه الآن ؟

تانر : أود لو ذهبت الى البيت كى أمدد ســــاقاى وأريح أعصابى قليلا (ينظر الى ساعته) ربما تعرف أننا جئنا من « هايد بارك كورنر » الى « ريتشموند » فى واحد وعشرين دقيقة ·

السائق : أســتطيع قطع هــذه المسـافة فى خمس عشرة دقيقة اذا كان الطريق خاليا أثناء السفر ·

تانر : ولماذا ؟ حب فى الرياضة أم للتسلية بارهاب سيدك التعس الحظ ؟

السائق : مم تخاف ؟

تانر : من البوليس ، ومن كسر رقبتى ·

السائق : حسن · اذا أردت السفر بسهولة وأمان فاركب الاتوبيس ، فهو أرخص كما تعلم · لكنك تدفع لى مرتبا لتوفير وقتك ولمنحك ذلك المركز الاجتماعى الذى من أجله اشتريت السيارة ·
(يجلس هادئا) ·

تانر : أنا عبد للســـيارة ولك أيضا ·· حلم لعين يطاردنى فى صحوى ونومى ·

السائق : سيتم كل شىء على ما يرام · اذا كنت صاعدا الى البيت فهل لى أن أسألك كم من الوقت تمكث هناك ؟ لأنك اذا كنت تنوى قضاء الصباح كله هناك تثرثر مع السيدات ، فسأدخل السيارة الى الجراج وأسعد نفسى بالتجول فى المناطق القريبة من هنا الى أن يحين وقت الغداء · واذا كان الأمر غير ذلك ، فسأترك الســيارة هنا جاهزة للرحيل حتى تحضر ·

تانر : انتظر هنا أفضل · لن تتأخر كثيرا ·· فهناك شاب أمريكى يدعى

« مستر مالون » ، سائق « مستر روبنسون » ، ومعه سيارته الأمريكية الجديدة ٠

السائق : (يقفز خارجا من السيارة متجها الى تانر) سيارة بخارية أمريكية جديدة ؟ ماذا ! التى سبقتنا ونحن فى طريق لندن ؟

تانر : ربما يكونوا قد وصلوا منذ فترة قصيرة ٠

السائق : آه لو عرفتها ٠ (باحتقار شديد) لماذا لم تخبرنى بذلك يا « مستر تانر » ؟

تانر : لأننى عرفت ان هذه السيارة تجرى بسرعة أربعة وثمانين ميلا فى الساعة ، وأنا أعرف ما تفعله عندما تجد سيارة منافسة لك على الطريق ٠ لا يا « هنرى » ٠ هناك أشياء يجدر بك ألا تعرفها ، وهذا واحد منها ٠ على أية حال ، أبشر ، فسوف تقضى يوما حسب مزاجك ٠ الأمريكى سيصحب معه « مستر روبنسون » واخته و « مس واتيفيلد » ، وسنأخذ نحن معنا « رودا » ٠

السائق : (يبتهج ويحول الحديث الى موضوع آخر) ٠ أخت « مس واتيفيلد » ٠ أليس كذلك ؟

تانر : نعم ٠

السائق : وستذهب « مس واتيفيلد » فى السيارة الأخرى ، ليس معك ؟

تانر : ولماذا تحضر معنا بحق الشيطان ؟ « مستر روبنسون » سيركب السيارة الأخرى ٠ (ينظر السائق الى تانر بتكذيب بارد ، ثم يتحول الى السيارة ويسلى نفسه بتصفير لحن شعبى ٠ أما « تانر » ، الذى يضيق به قليلا ، فيوشك على اكمال الحديث معه لولا سماعه لوقع أقدام « اوكتافيوس » على الحصى الذى يفترش ممر الحديقة ٠ يخرج « اوكتافيوس » من البيت وقد ارتدى ملابس السفر ولكن بدون معطف) ٠٠ خسرنا السباق والحمد لله ٠ ها هو «مستر روبنسون»٠ حسن ٠ هل أثبتت السيارة الاوتوماتيكية وجودها يا « تيفى » ؟

اوكتافيوس : أعتقد ذلك ٠ فقد جئنا من « هايد بارك كورنر » الى هنا فى سبعة عشر دقيقة (يغضب السائق فيرفس السيارة ويصدر عنه أنين ينم عن الضيق) ٠ كم استغرقت رحلتكم ؟

تانر : أوه ٠ حوالى ثلاثة أرباع الساعة ٠

السائق : (باحتجاج) الآن ٠ الآن ٠ تعال الآن يا «مستر تانر» ، وسنقطع هذه المسافة فى أقل من خمسة عشر دقيقة ٠

تانر : على فكرة ، دعنى أعرفكما بأحدكما الآخر · « مستر اوكتافيوس روبنسون » ، « مستر انرى ستريكر » ·

ستريكر : مرحبا بك يا سيدى · « مستر تانر » يعرفك على باسم « انرى ستريكر » كما سمعت ، وأنت تنطقه « هنرى » ، لكن لا يهم

تانر : أظنك تعتقد ببساطة يا «تيفى» أن من سوء التصرف أن أمزح معه · لكنك تخطىء ، لأن اهتمام هذا الرجل باسقاط نطق حرف الهاء يعتبر أكثر من الاهتمام الذى بذله والده في تعليمه النطق به ، وذلك دليل انغلاق عنده · ان لم أقابل شخصا يكاد ينفجر تفاخرا بطبقته الاجتماعية من « انرى » هذا ·

ستريكر : بسيطة ، بسيطة · قليل من الإعتدال يا « مستر تانر » ·

تانر : قليل من الاعتدال ، كما تسمع يا « تيفى » · ربما أمرتنى بقليل من الاعتدال معه انت الآخر · ولكن هذا الغلام متعلم ؛ بل انه يعرف أننا لم ننل قسطا وافيا من التعليم مثله · ما هى المدرسة الداخلية التى كنت فيها يا « ستريكر » ؟

ستريكر : « شيربروك رود » ·

تانر : « شيربروك رود » ! هل يستطيع أى منا الجهر باسم مدرسة « رجبى » أو « هارو » أو « ايتون » بهذه الطريقة من التفاخر الثقافى ؟ ان « شيربوك رود » مكان يتعلم فيه الأولاد شيئا ينفعهم · أما « ايتون » فهى مزرعة أطفال ، نذهب اليها لأننا مجرد أطفال مزعجين لأهلنا فى البيت ، ولكى نستطيع ، فى المستقبل ، التفاخر ادعاءا ـ عند سماعنا لاسم دوق معروف ـ بأنه كان زميلا قديما لنا فى أيام الدراسة ·

ستريكر : أنت لا تعرف شيئا عنها يا « مستر تانر » · ان ما يساعدنا فى تعليمنا ليس المدرسة الداخلية ولكن الفنون التطبيقية ·

تانر : الجامعة التى كان يدرس بها يا «اوكتافيوس» ليست «اوكسفورد» أو « كامبردج » أو « دورهام » أو « دبلن » أو « جلاسجو » ، ولا هى مخابىء المنشقين على الكنيسة فى « ويلز » · لا يا « تيفى » ، بل هى « ريجنت ستريت » ! ، « تشلسى » ، « بورو » ·· أنا لا أعرف نصف أسمائها ·· تلك هى الجامعات التى تخرج فيها ·· لم يتخرج فى محلات بيع التقاليد الطبقية التى تخرجنا نحن فيها · انت تحتقر جامعة « اوكسفورد » يا « انرى » ، أليس كذلك ؟

ستريكر : لا · لا · « اوكسفورد » مكان جميل جدا لأولئك الذين يحبون مثل هذه الأمكنة · هناك يعلمونك كيف تصبح جنتلمان · أما فى الفنون التطبيقية فهم يعلمونك كيف تصبح مهندسا أو ما شابه ذلك فهمت ؟

تانر : تهكم يا « تيفى » ·· تهكم ! أوه ! لو أنك استطعت النفاذ الى أعماق « انرى » ، فستعرف كوامن احتقاره للجنتلمان ، ومدى غطرسـته وكبريائـه ·· لمجرد أنه مهندس · انه يتمنى أن تتعطل السيارة ، حتى تسقط عنى صفة الجنتلمان العاجزة وتتفوق مهارته العاملة ونبوغه ·

ستريكر : لا عليك منه يا « مستر روبنسون » · انه يحب كثرة الكلام ، وكلانا يعرفه تماما · أليس كذلك ؟

اوكتافيوس : (بوقار) لكن آراءه تتضمن حقائق كبرى · أما أنا فأحترم قيمة العمل ·

ستريكر : (دون تأثر بكلام اوكتافيوس) لأنك لم تؤد أى عمل يا « مستر روبنسون » · أما أنا فكل اهتمامى هو القيام بكافة الأعمال · انت تستطيع الاستفادة منى ومعى ماكينة واحدة أكثر من استفادتك من عشرين عاملا معا ·

تانر : أستحلفك با لله يا « تيفى » ، لا تناقشه في الاقتصاد السياسى فهو يعرف كل شىء فيه · وهو ما لا نعرفه نحن · انت شاعر اشتراكى يا « تيفى » ، وهو انسان علمى ·

ستريكر : (بعدم اكتراث) نعم ·· حسن ، هذه مناقشـــة مفيدة جدا ، لكننى مضـــطر الى رعايــة الســـيارة وانتما تريدان التحدث عن فتاتيكما ، أنا أعرف ذلك (يتظاهر باصلاح السيارة ، ثم يتباعد عنهما ويشعل سيجارة) ·

تانر : هذه ظاهرة اجتماعية بالغة الخطورة ·

اوكتافيوس : ما هى ؟

تانر : « ستريكر » · ان الكثيرين من الشخصيات الأدبية والثقافية قد شغلوا أنفسهم ، ولسنوات عديدة ، بالمناداة بما يسمونه « المرأة الجديدة » كلما صادفوا امرأة من الطراز القديم ، دون أن يلاحظوا وجود « الرجل الجديد » · و « ستريكر » « الرجل الجديد » ·

اوكتافيوس : أنا لا الاحظ فيه أى شىء جديد ، اللهم الا طريقتك فى المزاح

معه · لكننى ما جئت الآن للتحدث عنه ، أريد أن أحدثك عن «آن» ·

تانر : حتى «آن» ، عرفها «ستريكر» · ربما يكون قد تعلمها فى الفنون التطبيقية · حسن · ماذا عن « آن » ؟ هل خطبتها ؟

اوكتافيوس : (بازدراء لنفسه) بمنتهى الوحشية ، فعلت ذلك أمس ·

تانر : منتهى الوحشية ! ماذا تقصد ؟

اوكتافيوس : (بحماس وشاعرية) « جاك » · نحن معشر الرجال كلنا فظاظ القلب قساة · لا نفهم أبدا كم هى رقيقة مشاعر المرأة · كيف أفعل شيئا كهذا ؟

تانر : فعلت ماذا ، أيها الأبله المأفون ؟

اوكتافيوس : فعلا أنا أبله · « جاك » · آه لو سمعت صوتها ورأيت دموعها ! لم أنم ·· طول الليل وأنا أفكر فيها · لو أنها أهانتنى لقابلت اهانتها بطريقة أفضل مما فعلت معها ·

تانر : دموع ؟ هذا أمر خطير · ماذا قالت ؟

اوكتافيوس : قالت ، كيف تستطيع الآن التفكير فى أى شىء بعد والدها . ثم راحت فى البكاء (يبكى هو الآخر) ·

تانر : (يربت على ظهره) تحمل ·· انت رجل ، حتى ولو كنت تعالج الموضوع كجحش صغير · « تيفى » · انها اللعبة القديمة . ويبدو أنها لم تتعب من اللعب بك حتى الآن ·

اوكتافيوس : (نافذ الصبر) اوه · لا تكن أحمق يا « جاك » · هل تعتقد أن هذه السخرية الأبدية الضحلة التى تبديها الآن قد يكون لها أثرها على انسانة فى مثل طبيعة « آن » ؟ ·

تانر : هيه ·· ماذا قالت غير هذا ؟

اوكتافيوس : قالت ·· هذا هو سبب تعرضنا ، أنا وهى ، لسخريتك مادمنا نخبرك بما تم بيننا ·

تانر : (بحزن) لا يا عزيزى « تيفى » ·· أقسم بشرفى أنها ليست سخرية · على أى حال لا يهم · أكمل ·

اوكتافيوس : احساسها بالواجب مخلص ومتكامل و ··

تانر : أجل · أعرف ذلك · اكمل ·

اوكتافيوس : تعلم أنك انت و « مستر ريمسدن » وصيان عليها ، وهى تعتقد ان كل واجباتها تجاه والدها يجب أن تنتقل اليكما الآن . قالت اننى يجب أن آخذ رأيكما أولا . لا شك انها على حق .. لكن الأمر يبدو مضحكا .. كيف أمثل بين يديكما واسألكما أن ترتبا لى استقبالا رسميا بصفتى « عريس » جاء لخطبة الفتاة التى ترعيانها .

تانر : أنا سعيد لأن الحب لم يغير حاسة المرح فيك يا « تيفى » .

اوكتافيوس : لن ترضى بهذه الاجابة .

تانر : اجابتى الرسمية هى : موافق .. مبروك يا أولادى .. أتمنى لكما السعادة !

اوكتافيوس : أرجو أن تقلع عن تمثيل دور الأبله فى هذا الموضوع .. واذا لم يكن الموضوع مهما بالنسبة لك فهو كذلك بالنسبة لى ولها .

تانر : أنت تعلم جيدا أن لها الحرية المطلقة فى اختيارك .

اوكتافيوس : لكنها لا تصدق ذلك .

تانر : أوه . صحيح ؟ .. تمام ! . على أى حال قل لى .. ماذا تريدنى أن أفعل ؟

اوكتافيوس : اريدك أن تخبرها باخلاص وجدية عن رأيك فى .. اريدك أن تقول لها انك تضمننى عندها .. هذا اذا استطعت .

تانر : أستطيع ضمانها عندك دون شك . اما ما يزعجنى فهو التفكير فى ضمانك أنت عندها . هل قرأت كتاب « ميترلنك » عن النحل ؟

اوكتافيوس : (يكبت غضبه) أنا لا أناقش الأدب الآن .

تانر : اصبر قليلا . وأنا لا أتحدث فى الأدب . كتاب النحل فى التاريخ الطبيعى ، وهو درس عظيم للجنس البشرى . فانت تعتقد انك قد خطبت « آن » ، وانك الصياد وهى الفريسة ، وأن مهمتك هى أن تطارد وترضى وتستود وتنتصر . مغفل ! لأنك انت الذى سيطارد .. انت الضحية التى ستسقط .. الفريسة المقصودة . لست بحاجة الى الجلوس والنظر بشوق وحنين الى الخفاش من وراء أسلاك المصيدة .. الباب مفتوح الآن وسيظل على حاله حتى ينغلق من ورائك والى الأبد .

اوكتافيوس : أرجو الاقتناع بآرائك بهذه الطريقة الوضعية التى تتكلم بها .

تانر : لماذا يا رجل ٠٠ ؟ أى هدف آخر يشغلها فى حياتها غير الحصول على زوج ؟ هـدف المرأة هـو أن تتزوج ، وبأسرع طريقة ممكنة ٠ أما هدف الرجل فهو أن يظل أعزبا ، ولأطول مدة ممكنة ٠ ان لديك من القصائد والتراجيديات ما يشغلك ٠٠ أما «آن» فلا يشغلها شيء٠

اوكتافيوس : لا أستطيع الكتابة بدون الهام ٠ ولن يستطيع شخص آخر توفيره لى غير « آن » ٠

تانر : حسن ٠٠ ألا تسـتطيع الحصول عليه وانت بعيد عنها ؟ ٠٠ ان « بترارك » لـم ير « لورا » ، ولا رأى « دانتى » ٠٠ «بتريس» نصف عدد المرات التى رأيت فيها « آن » ، ومع ذلك فقد قالا شعرا من الطراز الأول ٠٠ على الأقل فى رأيى أنا ٠ انهما لم يعرضا حبهما الأعمى لاختبارات العلاقات العائلية ، ومع ذلك فقد استمر معهما حتى دخلا قبريهما ٠ تزوج « آن » ، وبعد أسبوع واحد لن تجد فيها من الالهام أكثر مما تجد فى طبق من الفطائر ٠

اوكتافيوس : أتظن أننى سأمل منها ؟

تانر : مطلقا ٠٠ أنت لا تمل من الفطائر ، ولكنك لا تجد فيها الهاما ، ولن تجده فيها هى الأخرى ، حضورها عندما لا تصبح بالنسبة لك هى حلم الشاعر ، بل تمثال حجرى للزوجة - عندئذ تضطر الى الحلم بأى امرأة أخرى ، وستجد منهن طابورا طويلا ٠

اوكتافيوس : هذا كلام لا يفيد يا « جاك » ٠ انت لا تفهم لانك لا تحب ٠

تانر : أنا ! أنا لم أتوقف عن الحب أبـدا ٠ لماذا ، وأنا أحـب « آن » نفسها ٠ لكننى لست عبدا للحب ولا مجنونا به ٠ اذهب الى النحلة أيها الشاعر ٠٠ فكر فى أساليبها ، وكن عاقلا ٠ والله لو أن النساء استطعن الحياة بدوننا يا « تيفى » ، وقمنا نحن الرجال بأكل طعام أطفـالهن بـدلا من توفيره لهـم ، فانهن يقتلننا كمـا تقتل أنثى العنكبوت ذكرها ، أو كما تصرع النحلة الدبور ٠ اما اذا استطعن اتقان أى شيء غير الحب ، عندئذ يصحبن أحسن حالا ٠

اوكتافيوس : آه لو كنا ، معشر الرجال ، طَيبين بما فيه الكفاية ! ليس هناك شيء كالحب ، ولا شيء غير الحب ٠ بدونه يصبح العالم كابوسا رهيبا مروعا ٠

تانر : هذا ، هذا هو الرجل الذى يطلب المساعدة كى يخطب كفيلتى ! « تيفى » ٠٠ الا ترى أننا قد تغيرنا كثيرا بعد ان كبرنا ! اننى أراك الآن سليلا حقيقيا لـ : « دون جوان » ٠

اوكتافيوس : أتوسل اليك ، لا تقل هذا الكلام ل : « آن » ٠

تانر : لا تخف ، لقد اختارتك لنفسها ، ولن يمنعها شيء عن ذلك ٠ لقد هلكت وانتهى الأمر ٠

(يعود ستريكر ومعه صحيفة يومية) ها هو « الرجل الجديد » ٠٠ يتواضع كعادته فيحمل جريدة ثمنها نصف بنس ٠

ستريكر : هل تصدق يا « مستر روبنسون » أننا عندما كنا في الطريق الى هنا اشترينا جريدتين : « تانر » له ، و « ليدر » أو « ايكو » لى ٠ وهل تصدق لم اقرأ جريدتى ؟ ٠٠ مطلقا ٠٠ هو يتصفح ال : « ليدر » ويتركنى للعذاب مع ال « تايمز » ٠

اوكتافيوس : هل أعلنت ال « تايمز » عن أسماء الفائزين فى المراهنات ؟

تانر : « انرى » لا يهتم بالمراهنات ٠ نقطة الضعف فيه هى نتائج سباق السيارات ٠ ما هو آخر أخبارها ؟

ستريكر : سباق من باريس الى « بيسكرا » بسرعة ٤٠ ميل فى الساعة ، مع عدم اضافة البحر الأبيض المتوسط ٠

تانر : وكم عدد الضحايا ؟

ستريكر : خروفان سخيفان ٠ ما قيمتهما ؟ الخرفان ليست غالية هنا ، وقد سرهم ان يقبضا ثمنهما دون تحمل مشقة الذهاب الى السوق أو بيعهما الى الجزار ٠ هكذا ترى ان الأمور عادية ، ولكن سوف يثير السباق نوعا من المتاعب ، ثم تقرر الحكومة الفرنسية ايقافه ، وترد حكومتنا على ذلك بسحب سفيرها ٠٠ فهمت ؟ أكاد أجن ! الغريب أن «مستر تانر» يستطيع اقامة سباق ممتاز لكنه لا يريد ٠ لماذا ؟ لا أعلم ٠

تانر : « تيفى » ٠ هل تذكر عمى « جيمس » ؟

اوكتافيوس : أجل ٠ لماذا ؟

تانر : كانت عند العم « جيمس » طباخة ممتازة ، ولم يكن يأكل طعاما الا من طبخها هى ٠ حسن ٠ كان المسكين رجلا خجولا ينفر من المجتمعات ، لكن الطباخة كانت مغرورة بمهارتها ، فكانت تجبره دائما على دعوة الأمراء والسفراء الى الغداء ٠ ولكى يتجنب المسكين خروجها من خدمته كان يضطر الى اقامة حفلتى غداء كل شهر ، ومن ثم يعانى ما لا يطيق من آلام واخفاقات من هذه الأجواء الاجتماعية الصاخبة ٠ والآن ، ها أنذا ، وهذا الولد « ستريكر » : « الرجل الجديد » ٠ أنا لا أحب السفر ولكننى أحب « انرى » ٠ وهو لا يهتم بأى شيء سوى بارتداء جاكيت جلد ونظارة شمسية

والانطلاق بالسيارة بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة وقد غطى الغبار جسمه وملابسه ، والمغامرة بحياته وحياتى معا . وفيما عدا ذلك ، فهو يقضى وقت فراغه تحت السيارة يفتش عن أى عطب فيها كى يصلحه . ولذلك فاذا لم أسمح له بقيادة السيارة لمسافة ١٠٠٠ ميل كل اسبوعين فلا شك اننى سأفقده ، يرد لى المفاتيح ويذهب للعمل عند مليونير أمريكى ، وبالطبع أفقد وضعا محترما يجسده عمله عندى سائس خيل وبستانى وسائق سيارة .. يقابلنى وقد أمسك بطرف قبعته احتراما ، ويعرف بالضبط وضعه هنا . الواقع أننى عبد عند « ستريكر » .. بالضبط كما كان العم « جيمس » عبدا عند طباخته .

ستريكر : (بانفعال) اوه .. أتمنى لو أننى أملك سيارة أجرى بها بنفس السرعة التى تتكلم بها يا « مستر تانر » . ما أريد قوله هو أن احتفاظك بالسيارة سيتسبب فى ضياع نقودك ما لم تحاول استثمارها فى أى شىء آخر . واذا كنت تريد التخلص منى ومن السيارة اشتر عربة بعجلتين واستأجر سيدة تدفعك بها وانت راكب .

تانر : (بغضب) لا بأس يا « هنرى » ، لا بأس . دعنا الآن نتنزه نصف ساعة بالسيارة .

ستريكر : (بازدراء) نصف ساعة (يعود الى السيارة ، ويجلس أمام عجلة القيادة ، ويقلب صفحات الجريدة بحثا عن أخبار جديدة) .

اوكتافيوس : اوه .. تذكرت . لك معى رسالة من « رودا » (يعطيها ل : تانر) .

تانر : (يفض الرسالة ويقرأها) أعتقد أن « رود » تنوى الاصطدام ب : « آن » . المتعارف عليه هو أن هناك شخصا واحدا تكرهه الفتاة الانجليزية أكثر من كراهيتها لأختها الكبرى .. تلك هى أمها . لكن الغريب أن « رودا » تحب أمها فعلا أكثر من حبها ل : « آن » . انها (باحتقار) اوه .. أقصد ! ..

اوكتافيوس : ما الحكاية ؟

تانر : كان المفروض أن تقابلنى « رودا » للخروج معى بالسيارة . لكنها تقول ان « آن » منعتها عن الخروج معى .

(يصفر « ستريكر » بلحنه الشعبى المفضل)

اوكتافيوس : هل أبدت أى أسباب ؟

تانر : أسباب ! الاهانة لا تحتاج لتبريرات · « آن » تمنعها من الانفراد بى فى أى ظروف ، وتقول اننى لست الشخص المناسب للاختلاء بفتاة صغيرة مثلها · والآن ما رأيك فى مثلك الأعلى هذه ؟

اوكتافيوس : لا تنس ان عليها مسئولية كبرى الآن بعد وفاة والدها ، بالاضافة الى أن « مسز واتيفيلد » من الضعف بحيث لا تستطيع التحكم فى « رودا » ·

تانر : (يحملق فيه) باختصار ·· هل توافق على تصرفات « آن » ؟

اوكتافيوس : لا · بل أعتقد اننى أفهمها · يجب أن تفهم أن آرائك لا تصلح أبدا بالنسبة لتكوين عقلية وشخصية فتاة صغيرة ·

تانر : لا أدعى شيئا من ذلك · ان ما اؤكده هو أن تكوين عقلية وشخصية الفتاة الصغيرة لا يخلو من حشو رأسها بالأكاذيب · لكننى أرفض تلك الأكذوبة الشائعة حول هوايتى لتدمير ثقة الفتيات فى أنفسهن ·

اوكتافيوس : « آن » لم تقل ذلك يا « جاك » ·

تانر : اذن ، فماذا قالت ؟

ستريكر : (يلمح آن قادمة من البيت) « مسز واتيفيلد » يا سادة (ثم يبتعد عن المكان الى طرف الطريق كما لو كان يشعر بأنه انسان غير مرغوب فى وجوده) ·

آن : (تقف بين اوكتافيوس وتانر) صباح الخير يا « جاك » · جئت أخبرك بأن « رودا » المسكينة قد اصيبت بالصداع ، ولذلك لن تستطيع الخروج معك بالسيارة اليوم ·· سيئة الحظ تلك الطفلة المسكينة ·

تانر : ما رأيك يا « تيفى » ؟

اوكتافيوس : مؤكد أنت لم تفهم يا « جاك » · « آن » تبدى اهتماما عطوفا بك ، ولو على حساب خداعك ·

آن : ماذا تقصد ؟

تانر : هل تحبين أن تشفى « رودا » من الصداع يا « آن » ؟

آن : طبعا ·

تانر : اذن ، اخبريها بما قلته الآن ، وأضيفى اليه انك وصلت بعد وصول رسالتها الى وقراءتها بدقيقتين ·

آن : « رودا » كتبت لك ؟

تانر : خطابا كله خصوصيات ٠

اوكتافيوس : لا عليك منه « يا آن » ٠ انت على حق دائما ٠ « جاك » : « آن » تؤدى واجبها ، وانت تعرف ذلك ٠ بل انها تؤديه بأكبر قدر ممكن من العطف ٠

آن : (تتجه الى اوكتافيوس) كم انت رقيق ومتعاون يا « تيفى » ٠٠ بل وسهل الاقتناع ٠ (اوكتافيوس يسعد بذلك) ٠

تانر : آه ٠٠ الحصار يضيق « تيفى » ٠ انت تحبها ، أليس كذلك ؟

اوكتافيوس : هى تعلم ذلك ٠

آن : اسكت ٠ استح « يا تيفى » !

تانر : أنا أذن لك ٠٠ أنا الوصى عليك ، وسأتركك فى رعاية « تيفى » خلال الساعة القادمة ٠ أما الآن ، فسأذهب فى جولة بالسيارة ٠

آن : لا يا «جاك» ٠ يجب أن أحدثك عن «رودا» ٠ «ريكى» ٠٠ هلا عدت الى البيت لتسلية صديقك الأمريكى ؟ لقد كان فى صحبة ماما منذ الصباح الباكر ، وهى تريد الآن الانتهاء من شئون البيت ٠

اوكتافيوس : فورا يا عزيزتى « آن » (يقبل يدها)

آن : (برقة) « ريكى تيكى تيفى » ! (ينظر اليها بخجل شديد ويخرج مسرعا) ٠

تانر : (بجفاء) والآن ، انظرى الى يا « آن» ٠ لقد استقرت أمورك الآن ٠ واذا لم يكن « تيفى » قد وقع فى الحب معك ــ بصرف النظر عن كل معانى الاخلاص فى علاقتك به ــ فيجب عليه أن يكتشف أى كاذبة أفاقة ٠٠ انت ٠٠

آن : انت تسىء فهمى يا « جاك » ٠ أنا لم أجرؤ على أخبــــار « تيفى » بالحقيقة ٠

تانر : لا ٠ بل ان جرأتك تكون فى الاتجاه المضاد دائما ٠ أى شر تقصدين بأخبارك « رودا » اننى انسان شرير لا يجدر بها مصاحبته ؟ كيف أستطيع أن أقيم معها علاقات انسانية أو أحاسيس رقيقة بعد ذلك ؟ خصوصا بعد ان قمت بتسميم أفكارها بهذه الطريقة الشـــائنة ؟

آن : أنا واثقة انك لن تسىء التصرف معها ٠

تانر : فلماذا أخبرتها اذن ؟

آن : واجبى ٠

تانر : واجبك !

آن : أمي أمرتني بذلك .

تانر : ها ! . كان يجب أن أفهم ذلك . الأم ! دائما الأم !

آن : كتــابك المروع .. انت تعرف قدر ما تعانيه أمي من عــذاب . كل النســاء محافظات دائمــا . ونحن يجب أن نكون محــافظين يا «جاك» ، والا أسيء فهمنا .. حتى انت ، وانت رجل ، لا تستطيع التعبير عن رأيك دون ان يساء فهمك وتلعن .. نعم .. اعترف لك .. اضطررت الى الحط من قدرك أمامها . هل تريد أن يساء فهم « رودا » وتسبب بنفس الطريقة ؟ هل يجدر بأمي أن تتركها تعرض نفسها لمثل هذه المواقف قبل أن تبلغ السن التى تؤهلها للتحكم فى مستقبلها ؟

تانر : باختصار .. الطريقة التي يستطيع بها الناس الافلات من ســوء الظن هي الكذب والافتراء والدس والادعاء بكل فظاعة ممكنة . هذه هى نتيجة طاعتك لأمك .

آن : أنا أحب أمي يا « جاك » .

تانر : (بانفعال) وهل هذا سبب كاف يمنعك من الجهر بأن روحك ملك خاص بك ؟ أوه . أنا انبذ كل هذا الخضوع المهين من الشباب لفارق الســن ! انظرى الى المجتمع الموقر كمــا تعرفينه . ما هى الصورة التى يحاول الظهور بها ؟ رقصة رائعة للجاريات .. ماهى ؟ موكب رهيب من الفتيات البائسات .. كل منهن تسير خاضعة وقد وقعت فى مخالب امرأة عجوز ساخرة ، ماكرة ، جشعة ، مضللة ، عديمة التجربة ، عقيمة التفكير تسمــيها أمهــا ، لا واجب لها الا تخريب عقلها وبيعها لمن يدفع أكثر . لماذا يتزوج هؤلاء الجوارى البائسات من أى شخص مهماكان عجوزا وشريرا ، بل ويفضلنه على عدم الزواج بالمرة ؟ ولأن الزواج هو وسيلتهن الوحيدة للهروب من هذه الأشــباح الواهنــة التى تخفى طموحهن الأنانى وكراهيتهن الغيورة من خصومهن : الفتيات الصغيرات اللاتى يحاولن اقتلاعهن من مسرح الحياة ، فهن يسعين اليه تحت ستار واجب الأم والروابط العائلية . هذه كلها تصرفات شائنة .. ان صورة الطبيعة تبيح للفتيات رعاية الأب وللأبناء الاهتمام بالأم . والقانون المنظم لعلاقة الأب والابن والأم والبنت ليس هو قانون الحب .. بل هو قانون الثورة .. التحرير .. خلافة الصغار القادرين للكبار العاجزين .. اســـمعى .. ان الواجب الأول للرجولة والأنوثــة هو « اعــلان

الاستقلال » . ان الرجل الذى يذعن لسلطان أبيه ليس رجلا .. والمرأة التى تخضع لجبروت أمها لا تصلح أبدا لأن تحمل فى أحشائها مواطنين هم دعائم المجتمع الحر .

آن : (باعجاب) أتنبأ لك بأن تشتغل فى السياسة ذات يوم يا « جاك » .

تانر : (باحباط) هه ؟ ماذا ؟ ما .. ما علاقة ذلك بما أقول ؟

آن : كلامك جميل .

تانر : كلام .. كلام .. اذن فالمسألة لا تعنى أى شىء بالنسبة لك . مجرد كلام ! حسن . عودى الى أمك ، وساعديها على تسميم أفكار « رودا » كما فعلت معك . أفيال أليفة تتسلى بافتراس أفيال برية .

آن : اذن ، حالتى مطمئنة .. بالأمس كنت حية رقطاء ، واليوم أصبحت فيلا .

تانر : بالضبط .. اذن ، ارفعى خرطومك واذهبى . لم يعد عندى ما أقوله لك .

آن : لأنك لست معقولا ، وأفكارك ليست عملية بالمرة . ماذا أفعل ؟

تانر : تفعلين ! .. حطمى أغلالك .. امض فى طريقك حسب ما ينبئك به ضميرك ، وليس انقيادا لأفكار أمك . نظفى عقلك .. نشطيه .. تعلمى الاستمتاع برحلة فى سيارة تنطلق بسرعة الريح بدلا من اختلاق الأسباب للهروب ، والحكم على النزهة بأنها مكيدة فاحشة . تعالى معى الى مرسيليا ، ثم نعبر البحر الى الجزائر . ثم الى بريسكا بسرعة ستين ميلا فى الساعة .. اذهبى الى مضيق طارق ان شئت ، وسيكون هذا هو « اعلان الاستقلال » .. الثأر .. بعد ذلك تستطيعين تأليف كتاب ، ومن ثم ينتهى من حياتك دور أمك ، وتصبحين امرأة بحق .

آن : (بتفكير عميق) ولم لا يا «جاك» .. انت كفيلى .. تقف منى موقف والدى ، وبرغبته .. لن يستطيع أحد التفوه بكلمة واحدة عندما نسافر معا . ستكون رحلة رائعة .. اشكرك ألف مرة يا «جاك» .

تانر : (بدهشة) تحضرين !!

آن : طبعا .

تانر : لكن (يصمت .. ثم يتحدث منخفض) لا .. اسمعى يا « آن » .. اذا لم يكن فى ذلك أى ضرر ، فليس له أى داع فى الوقت نفسه .

آن : كم تبدو مضحكا ! انت لا تريد حل مشكلتى . أليس كذلك ؟

تانر : بالعقل .. هذا هو كل ما أريد .

آن : كلامك كله سفسطة فى سفسطة .. انت تعرف ذلك ، وتعرف انك لن تضايقنى بأى شىء .

تانر : حسن .. اذا كنت لا تريد حل مشكلتك فلا تحضرى .

آن : (بوقار) سأحضر يا « جاك » ، مادامت هذه هى رغبتك . انت كفيلى ، وأنا أعتقد اننا يجب أن نتعايش معا .. ان يتعرف أحدنا على الآخر وبطريقة أفضل . (بامتنان) هذه فكرة رائعة .. عطف كبير منك أن تمنحنى أجازة سعيدة ، خصوصا بعد ما قلته عن « رودا » . فعلا أنت أفضل كثيرا مما نظن .. متى نسافر ؟

تانر : لكن ..

تتوقف المناقشة بوصول « مسز واتيفيلد » قادمة من البيت ، ومعها « الجنتلمان » الأمريكى . ومن خلفهما « ريمسدن » و « اوكتافيوس » .

« هكتور مالون » : أمريكى من الطرف الشرقى لأمريكا ، ومع ذلك فهو لا يبدى أى خجل من الاعلان عن جنسيته ، مما يجعل كبار القوم فى انجلترا يحسنون الظن به . ولم لا ؟ وهو شاب يمتلك من الرجولة قدرا يجعله أهلا للاعتراف جهرا بما يعتقد أنه نقطة ضعف دون ما حاجة الى حجبها أو التهوين من أمرها . انهم يعتقدون أنه يجب ألا يتعرض لأى ضغط يجعله يعانى من خطأ لم ترتكبه يداه ، وبأن الواجب هو ابداء كل التعاطف معه . ان ما يتذرع به من صفات فروسية مع النساء ، ومشاعر اخلاقية ساميه انما تصطدم بهم ، رغم بذله اياها فى غير مواقعها الطبيعية وبطريقة غير مألوفة لديهم . وكأنها تسىء من سوء الطالع . ورغم أنهم اكتشفوا فيه مزاجه المرح المعتدل ـ حتى عندما انخفضت قدرته على اثارة فضولهم (كما حدث فى بداية الأمر) فانهم استطاعوا اقناعه بوجوب التخلى عن سرد الطرائف والنوادر ما لم تكن من قبيل النوادر والطرائف الشخصية .. بل والفاضحة . كذلك أفضوا اليه بأن الخطابة ، هى الأخرى . لا تعدو كونها انجازا ينتمى الى حقبة فجة من مراحل الحضارة أكثر من كونها سمة من سمات تلك الأرض التى نزل بها ابان هجرته من أمريكا .

على أساس هذه النقاط يبدو « هكتور » غير مفهوم .. انه لا يزال على اعتقاده بأن البريطانيين قادرون على استخلاص الحكمة من ركام

حماقاتهم ، وعلى التفاخر بقدراتهم العاجزة وكأنها جوانب مضيئة لتربيتهم الصالحة · ان الحياة الانجليزية تبدو له وكأنها تعاني من نقص في البلاغة المستنيرة (التي يسميها هو : « النغمة الأخلاقية) ، وكذلك السلوك الانجليزى فى معاناته من الحاجة الى احترام الأنثى ، والنطق الانجليزى فى وقوعه · وبوحشية بالغة ، فى الطنطنة ببعض الألفاظ مثل : العالم والفتاة والطائر ·· الخ ، والبوح بمفاتيح المجتمع الانجليزى الى الحد الذى ينتقل به من العفوية الى الفظاظة التى لا تحتمل ، والمخاطبة بالانجليزية التى تحتاج الى شيء من السمو عن طريق الألعاب والقصص وغير ذلك مما يذكى وقت الفراغ ·

لكل هذه الأسباب لم يشعر أنه مدعو للتعامل مع النقائص ، بعد كل ما تحمل من آلام عظيمة فى سبيل زرع نفسه وسط سلوكيات الطبقة الأولى · من قبل أن يغامر بعبور المحيط الأطلنطى وافدا من أمريكا الى بريطانيا · وبالنسبة لهذه الثقافة الجديدة فانه يستكشف الشعب الانجليزى على حالة يكون فيها اما محايدا بالكامل - كما هو بالنسبة للثقافة ككل - أو مراوغا مؤدبا · والواقع ان ثقافة « هكتور » تعتبر لا شيء ولكنها مجرد حالة من التشبع بصادرات الآداب البريطانية على امتداد الثلاثين عاما الماضية ، وهى التى أعيد تصديرها اليه كى يميط عنها اللثام مع أول ملحوظة لاحت منذ الوهلة الأولى ، ومن ثم يندفع بكل قواه الى الآداب والعلوم والفنون الانجليزية · حتى عندما يصادف البعض يثرثرون بلا هدف حول « أناتول فرانس » و « نيتشة » فانه يباغتهم بطرحه لأفكار « ماتيو أرنولد » و « اوتوكراطيه مائدة الافكار » وأيضا (ماكولاى » · وحيث أنه - فى أعماقه - ليس متدينا ورعا ، فانه يقود غيره من المتهوسين ، وعن طريق السخرية الفاضحة ، الى طرح اللاهوت جانبا عند مناقشة الأسئلة الأخلاقية معه ، ومن ثم يبعثرهم بين ضبابات الغموض عندما يطلب اليهم الاختيار بين ما اذا كان الايمان بمبادئه الأخلاقية لم يكن كهدف الله تعالى عندما خلق أفاضل الرجال والطاهرات من النساء ·

ان الحيوية المتدفقة فى شخصه ، والابتذال المروع فى ثقافته يجعلان من الصعوبة بمكان الحكم بما اذا كان هو الشخص الجدير بالتعرف اليه من عدمه · ذلك أنه فى الوقت الذى لا يجد فيه رفاقه مفرا من الشعور بالسرور والحيوية فى حضرته ، فانهم لا يشعرون بأن شيئا فكريا جديدا يخرج من فمه ، خصوصا مع ازدرائه للسياسة وحرصه على أن لا يتحدث عن مشروع تجارى قد يكون معه قادرا على مسايرة أصدقائه من

الرأسماليين الانجليز · انه يجد أسعد أوقاته مع المسيحيين الرومانسيين من أبناء قطاع العشاق ، ومن هنا نشأت صداقته مع « اوكتافيوس » ·

أما فى الشكل العام فان « هكتور » يبدو شــابا حسن القوام . فى الرابعة والعشرين من عمره ، له لحية سوداء قصيرة ومدببة . وعينان صريحتــان جميلتان ، وقدرة على التعبير متدفقة ورائعة · ومن ثم فهو ـ فيما يتعلق بالهندام ـ لا غبار عليه ·

يسير بامتداد الممر ، قادما من البيت ومعه « مسز واتيفيلد » يجتهد فى أن يبدو مقبولا خفيف الظل ولذلك يخلع على ذكائه الوفور ثقلا كبيرا ينوء بحمله · ان الرجل الانجليزى قد يترك هذه الآنسة وحدهــا تعانى من وحدتها واحساسها بالضياع حسب ما تمليه طباع باقى أبناء الشعب · أما السيدة المســكينة فانها تتمنى اما أن تترك لوحدتها واما أن تترك لتثرثر حول القضايا التى تعنيها ·

(يهرول « ريمسدن » متفقدا السيارة · اما « اوكتافيوس » فيسير وراء « هكتور ») ·

آن : (تحتضن أمها فى شوق) اوه ·· ماما · ما رأيك ؟ ســيصحبنى «جاك» فى سيارته الجديدة الى مدينة «نيس» ·· رحلة مدهشة أليس كذلك ؟ ·· أنا أسعد انسانة فى لندن ·

تانر : (يائسا) «مسز واتيفيلد» غير موافقة · أنا متأكد أنها لن توافق · أليس كذلك يا « ريمسدن » ؟

ريمسدن : أعتقد ذلك فعلا ·

آن : لن ترفضى يا أمى ، أليس كذلك ؟

مسز واتيفيلد : أنا أرفض ! · لماذا ؟ انت محتاجه لهذه الرحلة يا « آن » (تخطو تجاه تانر) كنت أنوى أن أطلب منك اصطحاب « رودا » فى رحلة بالسيارة بين حين وآخر ·

تانر : جهنم فوق جهنم ·· جبال كلها خيانة !

آن : (محاولة جذب الانتباه عن هذا الهياج) اوه ·· نســيت ·· انت لم تقابل « مستر مالون » ·· « مستر تانر » ، كفيلى ·· مستر « هكتور مالون » ·

هكتور : يسرنى لقاؤك يا « مستر تانر » · أرجو قبولى عضوا فى رحلتكم الى « نيس » ، اذا كان لى الحق فى ذلك ·

آن : اوه · سنذهب كلنا ·· هذا مفهوم ، أليس كذلك ؟

هكتور : عندى سيارة متواضعة ، وهى تحت أمر « مسز ريمسدن » اذا سمحت لى بشرف مصاحبتها ·

اوكتافيوس : « فيولت » !

(هياج عام) ·

آن : (بخضوع) تعالى يا أمى · يجب أن نتركهم لمناقشة بعض المسائل ·· سارتب أنا معدات السفر ·

(تخرج آن ومسز واتيفيلد)

هكتور : هل من حقى التمادى بطلب مرافقة « مسز روبنســون » لنا ؟

(الهياج مستمر)

اوكتافيوس : أخشى ان نضطر لترك « فيوليت » هنا · ثمة ظروف تحول دون خروجها مع مجموعة كهذه ·

هكتور : لأن الرحلة على الطريقة الأمريكية ، هه ؟ هل يجب أن تستأذن الآنسة من وصيفتها ؟

اوكتافيوس : ليس بالضبط يا « مالون » ·· على الأقل لا نسافر جميعا مرة واحدة ·

هكتور : لا بأس · هل لى أن أسأل ان كان هناك أى اعتراض آخر ؟

تانر : (نافذ الصبر) اوه ·· اخبره ·· اخبره ·· لن نستطيع كتمان السر حتى نفاجأ بأنه قد ذاع أمره بين الناس · « مستر مالون » ·· اذا ذهبت الى « نيس » مع « فيوليت » ، فأعلم أنك ستذهب مع امرأة متزوجة من رجل غيرك · متزوجة !!

هكتور : (مصدوما) انت لم تخبرنى بذلك ·

تانر : أخبرناك ·· صدقنى ·

ريمسدن : (بشىء من الاهتمام) زواجها لم يعلن بعد ، لأنها تصر على عدم اعلانه فى الوقت الحاضر ·

هكتور : سأحترم رغبة السيدة · أليس تطفلا منى أن أســأل عن اسم زوجها ؟ قد تتاح لى فرصة التفاهم معه بخصوص هذه الرحلة ·

تانر : لا نعرف من هو ·

هكتور : فى هذه الحالة لن أقول أكثر من ذلك ٠

اوكتافيوس : شىء غريب !

هكتور : بعض الشىء ٠٠ معذرة لتطفلى ٠٠

ريمسدن : الفتاة تزوجت سرا ٠ وزوجها منعها ــ على ما يبدو ــ من اعلان اسمه ٠ من واجبنا اخبارك بذلك مادمت مهتما بـ ٠٠ الآنســة « فيوليت » !

اوكتافيوس : (بلطف) أرجو الا يسبب لك ذلك أى أحباط ٠

هكتور : لا ٠ لا ٠ يسبب لى صفعة أنا لا أتصور كيف يترك الرجل زوجته فى وضع كهذا ٠٠ وضــع غريب ٠٠ غير رجولى ٠٠ غير محترم !

اوكتافيوس : هذا هو ما نشعر به من أعماقنا ٠

ريمسدن : (بحزن) شاب أحمق ! لا يفهم نتيجة وضع غامض كهذا ٠

هكتور : أرجو ذلك ٠ هو بالتأكيد شاب صغير أحمق ٠ والا ما غفرنا له سلوكه الشائن هذا ٠٠ وجهة نظرك متساهلة جدا يا « مســتر ريمسدن » ٠٠ متسامحة لدرجة يرفضها عقلى ٠ ان الزواج يزيد الانسان نبلا واحتراما ٠

تانر : (بسخرية) ها ٠

هكتور : أفهم من ذلك انك لا تتفق معى فى الرأى يا « مســتر تانر » ؟

تانر : (بتهكم) تزوج وجرب ٠٠ ربما وجدت الزواج نبيلا لفترة من الزمن ٠٠ لكنك لن تجده نبيلا بالتأكيد ٠٠ ليس من الضرورى أن يكون الحكم العام على الرجل والمرأة المتزوجين أحسن من الحكم على الرجل الأعزب ٠

هكتور : حسن ٠ نحن ــ فى أمريكا ــ نعتقد أن اخلاقيات المرأة أكثر نبلا من اخلاقيات الرجل ، وأن الطبيعة الطاهرة للمرأة تسمو بالرجل الى ما هو ارفع وأفضل من اخلاقياته هو ٠ وتجعله فى حالة أفضل منها قبل الزواج ٠

اوكتافيوس : (بفهم) فعلا ٠٠ فعلا ٠

تانر : اذن فلا عجب فى أن تفضل الأمريكيات الحياة فى أوروبا ! ٠٠ هنا تصبح الحياة أكثر راحة بالنسبة لهن ، من أن يضحين بأعمارهن

كلها على مذبح الأمل فى التقديس ·· على أى حال ، الزواج لم يرفع شأن زوج « فيوليت » حتى الآن ·· ولذلك ماذا نفعل ؟

هكتور : (يهز رأسه) لا انكر ان سلوك هذا الرجل يبلغ من النبل حدا يتساوى مع ما تدعيه لنفسك يا « مستر تانر » · لن أقول أكثر من ذلك ·· مهما يكن من أمره ، فهو زوج « مس روبنسون » · ويجب أن يكون حكمى عليه منصفا ·· على الأقل من أجلها هى ·

اوكتافيوس : (بتأثر) معذرة يا « مالون » ·· آسف جدا ·

هكتور : (بامتنان) انت رجل طيب يا « روبنسون » · شكرا

تانر : تحدثوا فى موضوع آخر ·· « فيوليت » قادمة من البيت ·

هكتور : أستطيع أن أقدم لها خدمة ، يا سادة ، لو اتحتم لى فرصة التحدث معها على انفراد لعدة دقائق ·· بعد ذلك سأنفض يدى من اللعبة ·· شىء لطيف أن ··

ريمسدن : (بسرور) لا تقل شيئا ·· كفى · « تانر » · تعال · وانت يا « تيفى » (يخرج معهما)

(تدخل فيوليت وتتجه الى هكتور)

فيوليت : هل يروننا من هناك

هكتور : لا (تقبله فيوليت)

فيوليت : اكنت تكذب من أجلى ؟

هكتور : اكذب ! ·· الكذب أقل كثيرا من وصف ما حدث ·· شىء لا يحتمل ·· كدت أجن ·· « فيوليت » ، اسمحى لى باعلان زواجنا ·

فيوليت : (بسرعة وجدية) لا · لا يا « هكتور » ، انت وعدتنى الا تفعل ذلك ·

هكتور : وسأظل عند وعدى حتى تسمحى لى بالتحرر منه · لكننى إشعر بالوضاعة عندما أكذب على هؤلاء القوم ·· شىء مخجل ·

فيوليت : كنت أتمنى الا يكون والدك غريبا الى هذا الحد ·

هكتور : لا ·· ليس غريبا ·· لكنه على حق من وجهة نظره هو لأنه متعصب ضد الطبقة الوسطى الانجليزية ·

فيوليت : شىء مثير للضحك · انت تعلم كم اكره التفوه بهذه الأشـــياء

أمامك يا « هكتور » ‧‧ لكن اذا اضطررت الى ‧‧ اوه ‧‧ حسن ‧‧ لا يهم ‧

هكتور : أعرف ‧‧ تقصدين القول بأن زواجك من شاب انجليزى يشتغل فى صناعة المكاتب يعتبر ، ولو فى رأى أصدقائك ، زواجا غير متكافىء ‧ ومع ذلك وأن أبى العجوز المخرف ‧‧ صاحب أكبر مصنع لأثاث المكاتب فى العالم ‧‧ يوصد الباب فى وجهى فلا أستطيع الزواج من أكثر فتيات انجلترا جمالا وخلقا ‧‧ لا لشىء الا لأنها لا تحمل اسما عائليا كبيرا ‧‧ شىء مضحك لا شك ‧‧ لكن دعينى اصارحك يا « فيوليت » باننى لا أريد خداعه ـ اننى اشعر اننى اذا فعلت ذلك فكأننى أسرق منه نقوده ‧ لماذا لا تسمحين لى باعلان الزواج ؟

فيوليت : مستحيل ‧‧ فكر فى الحب برومانسية كما تريد يا « هكتور » ‧‧ أما فى المسائل المالية فلا تكن رومانسيا ‧

هكتور : (بحيرة) هذا تفكير انجليزى بحت ‧ (باصرار) « فيوليت » ‧‧ سيرانا أبى فى يوم من الأيام ‧

فيوليت : نعم ‧‧ لكن دعنا الآن من مناقشة هذا الموضوع الذى يستهلك كل لقاء يجمعنا معا ‧ لقد وعدتنى أن ‧‧

هكتور : لا مانع ‧ لا مانع ‧‧ أنا ‧‧

فيوليت : (تقاطعه) الذى يعانى من هذه العلاقة هو أنا ولست انت ‧‧ واذا كنت ساواجه الصراع والفقر وكل هذه الأشياء المزعجة فاننى ، ببساطة ، ارفضها ‧

هكتور : لن تعانى شيئا من ذلك ‧ سأدبر اقتراض المال من والدى حتى أستطيع الاعتماد على نفسى ، وعندئذ أستطيع اعلان زواجنا ودفع ديونى فى نفس الوقت ‧

فيوليت : (بانزعاج واحتقار) تقصد انك ستعمل ! أتريد افساد زواجنا ؟

هكتور : حسن ‧‧ بل أرجو الا أكون أنا سبب فساده ‧ لقد سخر صديقكم « تانر » منى بسبب هذا الموضوع ‧‧ ثم ‧‧

فيوليت : المتوحش ! ‧ أنا أكره « جاك تانر » ‧

هكتور : (بشهامة) اوه ‧‧ لكنه على حق ‧‧ فقط هو بحاجة الى حب امرأة فاضلة كى تسمو بروحه ‧‧ الى جانب ذلك فهو يستعد للقيام برحلة الى « نيس » ، وسآخذك معى ‧

فيوليت : رائع !

هكتور : طبعا ٠٠ لكن كيف ندبر الأمر ؟ هل تعلمين انهم انذرونى بعدم التحدث أو الخروج معك لأنك متزوجة ؟ ٠٠ هكذا هو أكبر قدر من الثقة الساحقة التى أتشرف بالتعامل بها ٠

(يعود تانر مع ستريكر الذى يتجه الى سيارته)

تانر : سـيارتك رائعة يا « مستر مالون » ٠٠ مهندسى يريها لمستر « ريمسدن » ٠

هكتور : (بشوق ٠٠ ناسيا نفسه) هيا بنا يا « فيو » ٠٠

فيوليت : (تقاطعه ٠٠ ببرود) معذرة يا مستر مالون » ٠٠ أنا لم ٠٠

هكتور : (يسترد أنفاسه) « مسز روبنسون » ٠٠ اسمحى لى وشرفينى بأن اريك سيارتى الأمريكية المتواضعة ٠

فيوليت : يسرنى ذلك (يتجهان الى الممر)

تانر : آه من هذه الرحلة يا ستريكر » !

ستريكر : (مشغولا فى ترتيب السيارة) أفندم ؟

تانر : « مسز واتيفيلد » ستحضر معنا ٠

ستريكر : توقعت ذلك ٠

تانر : وكذلك « مسز روبنسون » ٠

ستريكر : أجل ٠

تانر : حسن ٠٠ اذا كنت تنوى الانشغال معى فى الرحلة وتترك « مستر روبنسـون » للانشغال بمسز « واتيفيلد » فلن ينسى لك هـــذا الجميل ٠

ستريكر : واضح ٠

تانر : واضح ! لو كان جدك معنا الآن لغمز بعينيه اســتنكارا لذلك ٠

ستريكر : لا ٠ بل يرفع قبعته عن رأسه احتراما ٠

تانر : اذا كان الأمر كذلك فسأقدم لجدك الطيب المحترم هدية تذكارية ٠

ستريكر : خمسة شلنات أظن ٠٠ (يترك السيارة ويقترب من تانر) ما أخبار الآنسة ؟

تانر : تريد أن تنفرد بالسيد « روبنسون » .. بالضبط كما يريد السيد « روبنسون » الانفراد بها .. (ينظر اليه ستريكر بارتياب ، ثم يعود الى السيارة ويصفر بلحنه المفضل) أوقف هذا الازعاج المثير للأعصاب (يخفض ستريكر من صفير لحنه حتى ينتهي منه . تانر يستمع اليه مرغما في أدب ، ثم يوجه كلامه الى ستريكر ولكن بأسلوب أكثر جدية) .. لقد كنت دائما أدافع عن أهمية نشر الموسيقى بين الناس .. ومع ذلك أرفض انضمامك الى جماعتنا ..

لماذا تصفر كلما سمعت اسم « مسز واتيفيلد »

ستريكر : ليس هذا هو الجرم الفاضح .. امنع « مستر روبنسون » عن ذلك أولا !

تانر : لماذا ؟

ستريكر : يا الله ! .. أنت تعلم لماذا .. ليس هذا شأني .. كما انني لست بحاجة الى السخرية مني أنا أيضا في هذا الموضوع .

تانر : لست أسخر .. ولكنني لا أعرف لماذا ..

ستريكر : حسن جدا .. اتفقنا .. وهذا أيضا لا يهمني .

تانر : (بتأثر) انني أعتقد يا « انرى » ، أن العلاقة بين المهندس وصاحب العمل تفرض علي أن أقف دائما عند مسافة معقولة بعيدا عنك ، والا أقحمتك في مشاكلي الخاصة .. ان علاقات العمل بيننا تخضع هي الأخرى لموافقة الغرفة التجارية التي تتبعها أنت . لكن أرجو ألا تسيء استغلال المميزات التي تتمتع بها .. دعني اذكرك بقول « فولتير » .. لقد قال ان أسخف الكلام هو الكلام الصالح للغناء .

ستريكر : ليس « فولتير » هو الذي قال ذلك .. انه بو .. مار .. شاي ..

تانر : تقصد « بون مارشيه » .. ولهذا السبب تحاول اقناعي بأن أحسن الكلام هو الذي يصلح لصفارة شفتيك . لكن من سوء الحظ أن صفارتك — رغم ما فيها من شجن — لا تعكس أى مهارة تذكر . والآن . هيا بنا .. دعنا نتحدث بصراحة .. الآن لن يسمعنا أحد .. لا أقاربي الظرفاء ولا سكرتارية الاتحاد اللعين الذي تنتسب اليه .. هه .. لماذا تعتقد أن صديقي لن يأخذ فرصته مع «مس وايتفيلد » ؟

ستريكر : لأنها مرتبطة بشخص آخر ·

تانر : اوف ·· من هو ؟

ستريكر : انت ·

تانر : أنا !!

ستريكر : قل انك لا تفهم !! ·· اوه ·· « مستر تانر » ·· تعالى ·

تانر : (بجدية) أمجنون انت ؟ أم تعنى ما تقول ؟

ستريكر : (بانفعال) لست مجنونا كما تظن (ببرود) يا أستاذ ·· الأمر واضح كوضوح أنفك هذا الذى فى وجهك ·· واذا لم تكن قد فهمت ، فانت لا تعرف شيئا عن بنات حواء ·· انت طلبت رأيى بصراحة واخوة ، ولقد أجبتك بصراحة و اخوة ··

تانر : (يتضرع الى السماء) اذن ·· فأنا نحلة ·· عنكبوت ·· الضحية المأمولة ·· الفريسة المقصودة !

ستريكر : أنا لا أعرف شيئا عن النحل والعناكب ·· اما الفريسة المقصودة فهى انت ·· انت بالتأكيد ·· شغلة لطيفة ·· أليس كذلك ؟

تانر : (بجدية) « هنرى ستريكر » ! ·· لقد حانت اللحظة الحاسمة فى حياتك ·

ستريكر : ماذا تعنى ؟

تانر : تحطيم الرقم القياسى فى سباق « بسكرا » ··

ستريكر : (بلهفة) صحيح ؟

تانر : اسرع اليها

ستريكر : هل تقصد ؟ ··

تانر : نعم ·

ستريكر : متى ؟

تانر : فورا ·· هل السيارة جاهزة للانطلاق الآن ؟

ستريكر : (يتلعثم) لكنك لا تستطيع ··

تانر : (يقاطعه بالدخول الى السيارة) سنذهب الآن ·· أولا الى البنك ، ثم الى شقتى لاحضار حاجياتى الخاصة ، ثم الى شقتك لاحضار

حاجياتك الخاصة ، ثم ننطلق لتحطيم الرقم القياسى فى السباق من لندن الى روفر ٠٠ الى فولكستون ٠٠ ثم نعبر المانش ونهرع كالمجانين الى مارسيليا ، فمضيق جبل طارق ٠٠ جنوة ٠٠ ثم الى أى ميناء نستطيع منه الابحار الى أى بلد اسلامى حيث الرجال آمنون من شرور النساء ٠

ستريكر : أف ٠٠ انت تمزح

تانر : (بتصميم) اذن ٠٠ تخلف انت ٠٠ اذا لم تحضر معى فسأقوم بالرحلة وحدى (يبدأ في تشغيل السيارة) ٠

ستريكر : (يجرى خلف السيارة) قف ٠٠ يا سيد ٠٠ يا أخ (يقفز الى السيارة وهى تسير)

الفصل الثالث

المكان :

سييرا نيفادا » .. منطقة جبلية تكثر بها منحدرات تغطيها صخور بنية اللون ، تتناثر بينها اشجار الزيتون ، على غير المألوف في مثل هذه الأماكن التى تكثر بها أشجار التفاح .. بالضبط كما تنمو اشجار التين الشوكى بدلا من نبات « الوزال والسرخس في مناطق البرارى . وفى اعالى المنطقة تبدو القمم والأجراف الجبلية . مما يضفى على المكان مسحة من الجمال المتميز . نعم ، ليس هناك اثر للطبيعة البورية هنا . لقد أضفى هذا الجبل الارستقراطى . الذى أبدعته يد الخالق الفنـان ، على المكان جوا من الجمال لا يبارى . حتى المسطحات الخضراء ، ليست غزيرة هى الأخرى ولو بوصفها منطقة وعرة بين مختلف البقاع الصخرية المنتشرة هنا وهنـاك . وباختصار . الجمال الأسبانى والاقتصاد الأسبانى واضحان فى كل بقعة هنا .

على مســافة غير بعيدة توجـد البقعة التى يتقاطع عندها اعلى الطريق مع احد الانفاق المارة من تحت خط السكة الحديد الممتد من « مالاجا » الى « جرانادا » التى تعتبر واحدة من المدرجات الجبلية الخاصة بمنطقة « سييرا » . فاذا نظرنا الى هذه البقعة من الطرف الفسيح لحدوة الحصان فان المرء يرى ــ الى اليمين قليلا . وفى مواجهة الجرف الجبلى ــ كهفا رومانســيا يعتبر ، بحق ، غريبا ومهجورا . أما عن اليسار ، فهناك تل صــغير يعتبر نقطة ملاحظة للطريق الذى يطوق المدرج الجبلى من جهة اليسار . حيث يسيطر ــ بحكم مستواه المرتفع ــ على جانبى الطريق . وفوق هذا التل يقف ، لمراقبة الطريق ، رجل قد يكون اسبانيا أو اسكتلنديا .. لكن الأرجح انه أسبانى لأنه يرتدى ملابس الرعاة الأسـبان وتبدو اقامته فى « سيرا نيفادا » كواحد من أبنائها . اما أسفل التل ، وعلى المنحدر المؤدى الى كهف هؤلاء الخارجين على القانون . فيقف حوالى اثنى عشر رجلا يبدون وكأنهم مدركون تماما لما يقومون به من

اعمال . وكانهم اوغاد من وجهاء القوم يخلع وجودهم على منطقة سبيرا « مشرفا جديدا . وذلك باستخدام اياها كخلفية تصويرية مؤثرة يعرضون نشاطهم على مسرحهـــا . انهم يقضون الآن فترة راحتهم راقدين على كومة من الأعشاب وأوراق الشجيرات الذابلة . والواقع أنهم لا يمتون للوجاهة بصلة .. بل ان الجبال المحيطة بالمكان تكاد أن تنوء بهم . ولكن كما ينوء الأسد بقملة تسرح على جلد فروته . أما « الشرطى » الانجليزى .. أو « حارس القانون البائس » ــ كما يسمونه ــ فيستطيع التعرف عليهم كعصابة تضم افرادا اقوياء الأجسام يعملون فى قطع الطريق .

على أنه يجب التحفظ بأن خلع هــذه الأوصاف عليهم يجب الا يؤدى الى تحقيرهم والحط من شـــأنهم . ذلك اذا لاحظ المرء نشاط هذه العصابة بعين نافذة . أو قام بزيارة هؤلاء الأفراد الأشداء فى مقر عملهم ، فانه سوف يؤمن بأن المنبوذين من نشاطنا الاجتماعى ليسوا دائما سكيرين ومعلولى الصحة . ان بعضهم أفراد لا يزالون على مستوى الطبقات التى ولدوا فيها . لذلك نستطيع الحكم بأن الصفات التى تجعل « الجنتلمان » المثقف انســـانا فنانا هى ذاتها الصفات التى تخلق من العامل اليدوى الجاهل . قاطع طريق شديد البأس . ان البعض يدفعهم اليأس الى الســقوط فى براثن هــذه العصابات ، لا لشىء غير أنهم لا يصلحون للقيام بعمل ما . ومع ذلك فهم موجودون هناك لأنهم يملكون من نفاذ البصيرة ما يجعلهم ينبذون العرف الاجتماعى (وهو حكم لا ينســحب على الانســان المستهتر الذى لا يسدد الضرائب المستحقة عليه .) .. ذلك العرف الاجتماعى الذى يوفر للانسان نوعا من الحياة بدخل ضئيل فى مقابل الكثير من الكد والكفاح . ولكن . فى الوقت الذى تكون عيناه قد تفتحتا على الحل البديل وهو : السير على درب هذه العصابة .. انه يخطو على هذا الدرب وقد أعلن عن نفسه اعلان الشخص الداعر عن ذاته .. وقد اضطره القـانون قسرا الى دفع تكاليف الغــذاء والكساء والسكن للحراس (رجال الشرطة) الذين لا يقدمون من الجهد ما يستحق حصولهم على تلك النفقات .. بل وبمستوى أفضل كثيرا مما يدفع هو لتكاليف الغذاء والكساء والسكن الخاص به . وعندما يجد الانسان ــ الذى ولد ليكون شاعرا ــ فى نفسه الاستعداد لرفض وظيفة فى مكتب البورصة ، عندما يجد مثل هذا الانسان نفسه ــ فى كفاحه ليكون واحدا من كبار القوم ــ مضطرا الى التطفل على « سيدة مجتمع » فقيرة او على اصدقائه او اقربائه وبشكل أكثر عفوية من سعيه وراء لقمة العيش بعرق جبينه .. أو عندما تجد « سيدة المجتمع » نفسها ــ لا لشىء غير أنها امراة ــ مضطرة لمواجهة اى من اشكال المبالغة فى هذا التواكل المتطفل بدلا من الســعى للحصول على اية وظيفة ولو كانت طباخة أو مدبرة بيت .. امام ظروف كهــذه نجد انفســـنا مضطرين الى تقديم تنازلات كبيرة فى مواجهة اولئك الأفراد . وعند هذه التنازلات يجد الوغد الشــديد

البأس ، أو بديله المتمثل فى عضو العصابة ، الفرصة المواتية لممارسة نشاطه .

هكذا .. اذا كانت الحياة محتملة بالنسبة للانسان المبدع ، فانه ـ عندئذ ـ يجد لديه المزيد من الفراغ الذى يحكى خلاله القصص لنفسه ، ومن ثم يصل الى موقف يسلمه الى نوع من « الديكور » الابداعى . ومن سوء الحظ أن مؤهلات العمال غير المهرة لا تستطيع توفير مثل هذا « الموقف » لهم . اننا نسىء معاملة العمال بشكل فظيع . واذا رفض احد العمال مثل هذه المعاملة السيئة ، فاننا نابى التصريح بأن رفضه هذا يعتبر عملا شريفا .

دعونا نناقش هذه المســـألة بشىء من الصراحة قبل ان نمضى مع مسرحيتنا هذه ، كى يتسنى لنا الاستمتاع بها دون الشعور بشىء من الامتعاض .

فاذا كنا من اولئك الأشخاص المفكرين ، البعيدى النظر ، فان أربعة اخماسنا يجب أن يتوجهوا ، وفورا ، الى اولئك « الأفراد » بهدف الاستمتاع بقدر من الترويح ، ولكى نحطم النظام الاجتماعى بأسره من خلال بلوغنا أكثر النتائج قدرة على الافادة واعادة البناء من جديد . على ان السبب فى عدم اتخاذنا لهذه الخطوة هـو اننا نؤدى اعمالنا ـ كما النحل أو النمل ـ عن طريق الغريزة أو العادة بدون اى تفكير على الاطلاق . ولذلك اذا برز من بيننا شخص يفكر ، أو يستطيع التفكير ، ويقوم بتطبيق اختبار « كانط » على سلوكه ، فان مثل هذا الشخص يستطيع بحق أن يواجهنا قائلا : « اذا فعل أحدكم مثلما فعل فان العالم سيضطر الى اصلاح نفســه صناعيا ، ومن ثم يتحقق القضاء على العبودية والفساد الســـياسى ، وهما الشـيئان اللذان لا يوجدا الا حيث يتصرف الجميع كما تفعلون انتم » . فلنقدر ، اذن ، لهذا الشخص حقه ، ونفكر بجدية فى أن نحذو حذوه .. هنا يصبح هذا الشخص هو قاطع الطريق القادر جسمانيا وعقليا . لكنه اذا كان « جنتلمان » يبذل قصارى جهده للحصـول على معاش أو وظيفة « بطالة مقنعة » بـدلا من الانطلاق لتجاوز مرحـلة تقاطع الطرق فانه لن يجد من يوجـه اليه اللوم لعزمه الخوض فى هذا الاتجاه ، وذلك لأن الحل البديل يكمن بين حياته عالة على نفقة الدولة وبين السماح للدولة بالحياة عالة عليه هو .. عندئذ يصبح الحل المناسب له هو قبول ما يعتبر ـ فى رأيه شخصيا ـ أخف الضررين .

لكل هذه الأســـباب يجب أن نناقش حال قطاع الطرق فى « سييرا » دون تعصب لرأى معين ، بل والاعتراف ، وبشىء من الارتيـاح ، بأن اهدافنـا (التى تتلخص فى أن يصـبح كل منا « جنتلمان » ترى) هى نفس اهدافهم ، وبأن الفارق بيننا وبينهم

هو ان وضعنا الاجتماعى واساليبنا انما تعتمد على الصدفة البحتة • ولهذا السبب قد يكون الحل السليم ـ فى نظر واحد أو اثنين منهم ـ هو القتل ولكن بدون حقد وبطريقة مفعمة بالصداقة والصراحة ، استنادا لأن هناك الكثير من المخلوقات التى تمشى على قدمين ـ بالضبط كما أن هناك مخلوقات تسير على أربع ـ يبلغون من الخطورة حدا لا يمكن معه تركهم يسعون على الأرض أحرارا ودون ما ازعاج •• مثل هؤلاء لا يتوقعون أن يقضى الآخرون اعمارهم لا هم لهم سوى مراقبتهم • وحيث أن المجتمع لا يملك من الشجاعة القدر الذى يمكنه من اغتيالهم ، فانه ـ حين يضع يديه عليهم ـ يعتقلهم ويتشفى فيهم ـ وببساطة ـ بأن يذيقهم اجراءات بالغة الشراسة تتمثل فى تعذيبهم والحط من قدرهم ، ثم يتركهم نهبا للضياع وقد لوثوا بأوصاف متناهية الحقارة • لهذا السبب نجدهم هنا فى « سيرا » وفى قبضة رئيسهم الذى يبدو باستطاعته ـ اذا استثير ـ الحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص •

ان هذا الرئيس ـ الجالس وسط أفراد العصابة على كتلة حجرية مربعة ـ رجل طويل قوى ، له أنف مدببة كما الببغاء ، وشعر اسود لامع ، ولحية مدببة ، وشارب مفتول الى أسفل ، وملامح تشبه « ميفستوفيليس » تشى بأن صاحبها يعتز بنفسه أكثر من « بيكاديللى » • قد يكون ذلك راجعا الى عاطفة معينة تكمن فى أعماق هذا الانسان ، هى التى تضفى عليه هذه المسحة من الجمال الواعى • أما عيناه وفمه فلا يبدو عليهما أى تعبير عن الخسة ، وأما صوته فرقيق وحاضر البديهة • وهو يبدو اقوى فرد فى المجموعة بصرف النظر عن كونه اقواهم فعلا أم لا • لكن المؤكد انه احسنهم غذاء وكساء وتدريبا • أيضا لا نستغرب أنه يتكلم الانجليزية ـ برغم البقعة الأسبانية التى تجرى فيها الأحداث • وباستثناء شخص واحد يمكن القول بأنه كان مصارع ثيران دمرته الخمر . ورجل آخر لا يختلف اثنان فى أنه فرنسى ، فان الباقين اما بريطانيون من أحياء لندن الفقيرة « كوكنيون » أو امريكيون • ولذلك يرتدون ـ فى بلاد العباءة والقبعة المكسيكية ـ معاطف رثة ولفاعات صوفية وقبعات نصف دائرية خشنة وقفازات بنية اللون قذرة ، الى جانب عدد قليل منهم يرتدون ملابس لا يمكن معها القول بأنهم انجليز • اما قائدهم فيرتدى قبعة مكسيكية عريضة على حزامها ريشة ديك وعباءة فضفاضة تتدلى فوق حذائه ذى الرقبة الطويلة •• وهى ملابس تعبر ، أصدق تعبير ، عن انه انسان غير انجليزى •

جميع أفراد العصابة غير مسلحين فى حين يضع الأفراد ، الذين يرتدون القفازات ، أيديهم فى جيوبهم لانهم يشعرون ، بايحاء من معتقداتهم القومية ، بأن الجو فى هذه المناطق المفتوحة لابد وأن يكون شديد البرودة ، خصوصا مع قدوم الليل (رغم ان الجو هذا المساء دافىء بقدر ما يحتمل الانسان العادى) •

وباستثناء مصارع الثيران السكير ، نجد شخصا واحدا فقط بين أفراد المجموعة يبدو فى الثالثة والثلاثين . وهو شاب أحمر السوالف . ضعيف البصر ، تشى عيناه بنظرة تاجر صغير يمر بأزمة . يكاد يكون الوحيد الذى يضع على راسه قبعة عالية تلمع مع اشعة الغروب . يرتدى قميصا له ياقة و « أساور » مصنوعة من النايلون ، ويبدو انه الشخص المحترم الوحيد بين افراد العصابة . وقد يكون فى الأربعين وربما فى الخمسين من عمره ، وهو صاحب الركن اليمين من مجلس القائد فى مواجهة الرجال الثلاثة الذين يرتدون اربطة عنق قرمزية اللون ويجلسون عن يساره . والفرنسى واحد من هؤلاء الثلاثة . اما الاثنان الباقيان فهما انجليزيان ، احدهما المجادل الوقور العنيد والثانى هو المشاكس .

يلقى الرئيس بطرف عباءته ، بحركة رشيقة ، على كتفه الايسر وينهض مخاطبا اياهم . يقابلون خطبته بالتصفيق ، مما يدل على انه خطيب بارع .

الرئيس : أصدقائى .. زملائى قطاع الطريق . لدى اقتراح أود مناقشته معكم فى هذا الاجتماع . لقد قضينا حتى الآن ثلاث ليال فى مناقشة هذا السؤال : هل يعتبر الفوضويون أو الديمقراطيون الاجتماعيون أكثر الناس شجاعة ؟ . أيضا ناقشنا مبادىء الفلسفة الفوضوية والديمقراطية الاجتماعية ، ووصلنا الى نتيجة محددة .. ان نموذج الفوضوى يتمثل تماما فى الشخص الذى يجسد هذه الفلسفة عندنا ، دون أن يعرف معنى كلمة « فوضوية » . (ضحك)

الفوضوى : (ناهضا) : نقطة نظام يا « مندوزا » .

مندوزا : (بعنف) لا .. سمحت لك بآخر نقطة نظام منذ نصف ساعة ، الى جانب ذلك الفوضويون لا يعرفون شيئا اسمه النظام .

الفوضوى : (بهدوء واصرار . والواقع انه أكثر أفراد العصابة وقارا ورشاقة) هذا خطأ فاحش .. وسأثبت لك أن ..

مندوزا : نظام .. نظام ..

الاخرون : (يصيحون) نظام .. نظام . اجلس يا سيادة الرئيس اسكت انت

(يسكت الفوضوى مرغما)

مندوزا : وعلى الجانب الآخر . معنا ثلاثة من الديمقراطيين الاجتماعيين . وهم ليسوا واردين فى المناقشة ، وقد وضعوا أمامنا ثلاثة آراء متميزة ومحددة حول الديمقراطية الاجتماعية .

(الرجال الثلاثة يرتدون أربطة عنق قرمزية اللون) ٠

الأول : سيادة الرئيس ، أنا أعترض ، وأطلب تفسيرا منك شخصيا ٠

الثاني : هـذا كذب ٠ لم أقل ذلك أبدا ٠٠ كن عادلا يا « مندوزا » ٠

الثالث : أطلب منكم الأمان ٠ هذا خطأ فاحش ٠٠ هذا خطأ ٠٠ خطأ ٠٠ خطأ أيها الجلاد !!

مندوزا : نظام ٠٠ نظام ٠

الآخرون : نظام ٠ نظام ٠ نظام ٠ نعم تكلم سيادة الرئيس ٠

(يسكت الديمقراطيون الاجتماعيون مرغمين) ٠

مندوزا : نحن هنا نقبل جميع الآراء ٠ لكن تذكروا أيها السـادة أن الغالبية العظمى هنا ليست فوضوية ولا هي اشتراكية ، بل سادة عاديون ومسيحيون ٠

الأغلبية : (يصيحون استحسانا) سمع ٠٠ سمع ٠٠ هس ٠٠ أى نعم ٠٠ صح ٠

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : (بضيق) أنت لست مسـيحيا ، بل بريق زائف ٠٠ نعم أنت كذلك ٠

مندوزا : (بزهو شديد) صديقى العزيز ٠٠ أنا استثناء لجميع القواعد ٠٠ الواقع أننى أتشرف بكونى يهوديا ٠ وعندما يحتاج الصهاينة الى قائد يعيـد تجميع أبنـاء جنسـنا فى وطنهم التاريخى فى فلسطين ، فسيكون « مندوزا » هو أول من يصـلح لهذه المهمة ٠ (تصفيق : سمع سمع ٠٠ الخ) ومع ذلك فلست أسير أى فكر خرافى ٠ لقد فهمت جميـع القوانين الطبيعية ٠٠ حتى تلك التى تدعيها الاشتراكية ، رغم أن المرء اذا أصبح اشتراكيا ولو لفترة وجيزة فسيظل طوال حياته اشتراكيا ٠

الاشتراكيون الديمقراطيون : سمع ٠٠ سمع ٠ هس ٠

مندوزا : لكننى أعرف تماما أن الانسان العادى ، حتى ولو كان قاطع طريق ، لا يمكن وصفه بأنه انسان عادى (سمع ٠ سمع !) فما بالكم اذا وصف بأنه فيلسـوف ٠ يكفيه الاتصـاف بالذوق السليم ــ والذوق السليم ، فى أعمالنا هذه ، يناسبنى أنا الآخر ،

حسن ·· ما هي مهمتنا هنا في « سييرا نيفادا » تلك البقعة التي اختارها المسلمون كأفضل بقاع أسبانيا ؟ هل تقتصر مهمتنا على مناقشة أسئلة عويصة في الاقتصاد السياسي ؟ لا ·· بل هي اختطاف السيارات وصولا الى توزيع عادل للثروة ·

الاشتراكي الديمقراطي العابس : تذكر أن كل شيء يمكن تحقيقه بالعمل· وبالعمل فقط ·

مندوزا : (بلطف) لا شك · كل شيء يتحقق بالعمل · وفي سبيل العمل تشردنا نحن على أيدي اولئك الأثرياء الذين يتسكعون على اوكار الرذيلة التي تدنس الشواطىء المشمسة على البحر الأبيض المتوسط ·· نحن ندين تلك الثروات ·· نستردها لتوزيعها على أفراد الطبقة العاملة ، تلك التي عملت في انتاجها ، والتي تحتاجها بشدة · اننا نؤدي هذه المهمة على حساب حياتنا وحريتنا ، وفي سبيلها نتحلى بفضائل الشجاعة والصمود والرؤية النافذة والتقشف ·· خصوصا التقشف ·· أنا نفسي لم آكل غير التين الشوكي والأرنب المسلوق طوال هذه الأيام الثلاثة ·

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (بغباء) ونحن أيضا ·

مندوزا : (باحتقار) هل أخذت أكثر من نصيبي ؟

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (بثبات) ولماذا تأخذ أكثر من نصيبك ؟

الفوضوي : ولماذا لا يأخذ ؟ لكل حسب حاجته ، ومن كل حسب امكاناته ·

الفرنسي : (يشير الى الفوضوي معترضا) حشاش ··

مندوزا : (بلباقة) اتفق معكما في ذلك ·

قطاع الطريق الانجليز : سمع ·· هس ·· برافو « مندوزا » ·

مندوزا : أريد أن أقول ·· دعونا نعامل بعضنا البعض معاملة «الجنتلمان» ، ونتنافس على الشجاعة عندما نتصدى لتأدية مهامنا في قطع الطريق ·

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : « بسخرية » شكسبير ·

(يسمع صوت صفارة من جانب التل ، فيقفز ويشير الى الطريق المؤدي الى الشمال)

مراقب الطريق : اوتومبيل ·· اوتومبيل (يندفع هابطا من أعلى التل ليلحق بالآخرين الذين يقفزون وقوفا) ·

مندوزا : (هاتفا) الى السلاح ٠ من معه البندقية ؟

الاشتراكى الديمقراطى العابس : (يعطى مندوزا بندقية) ها هى ٠

مندوزا : هل فرشتم الطريق بالمسامير ؟

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : وبمسامير « ٢ بوصة » ٠

مندوزا : حسن (مخاطبا الفرنسى) تعالى معى يا « دوفال » ٠ اذا لم تفلح المسامير فى تفريغ اطارات سيارتهم ، أفرغها أنت بطلقة من البندقية ٠ (يعطيه البندقية فيتبعه الى أعلى التل ٠ يخرج مندوزا نظارة مكبرة يضعها على عينيه ، بينما يهرع الآخرون تجاه الطريق ويختبئون جهة الشمال) ٠

مندوزا : (فوق التل يراقب الموقف بالنظارة) اثنين فقط ٠ رأسمالى ومعه سائق ٠ يبدو أنهما انجليزيان ٠

دوفال : (بلهجة فرنسية) انجليز ٠٠ وى ٠ وى ٠٠ خنازير ٠٠ أضرب ٠٠ أليس كذلك ؟

مندوزا : لا ٠٠ المسامير قامت بالواجب ٠ انفجرت الاطارات وتوقفا ٠

دوفال : (يهتف بالآخرين) اهجموا عليهما ٠٠

مندوزا : (مهدئا اياه) بهدوء يا « دوفال » ٠ ضع أعصابك فى ثلاجة ٠ انهما يعالجان الموقف بهدوء ٠٠ دعنا نهبط من التل ونقبض عليهما ٠ (يهبط مندوزا من فوق التل فيجد تانر وستريكر يرتديان ملابس السفر ٠ وقد جاءا اليه بصحبة أفراد الجماعة) ٠

تانر : هل هذا السيد هو الذى تسمونه رئيسكم ؟ هل يتكلم الانجليزية ؟

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : طبعا هو ٠٠ اذا كنت تظن أننا لسنا انجليز فهل تفضل أن يكون رئيسنا أسبانى ؟

مندوزا : (بوقار) اسمح لى بتقديم نفسى اليك ٠ أنا « مندوزا » ٠ رئيس عصابة « سييرا » ! (ينحنى بوقار) أنا قاطع طريق ٠٠ أعيش على سرقة الأغنياء ٠

تانر : (بفورية) وأنا جنتلمان أعيش على سرقة الفقراء ٠ نتصافح اذن ٠

الاشتراكى الديمقراطى الانجليزى : سمع ٠ سمع ٠ هس ٠

(ضحك ومرح بين الجميع ٠ يتصافح تانر ومندوزا ، ويختفى باقى قطاع الطريق فى مخابئهم)

ستريكر : ما هذا ؟ · أين نحن ؟

تانر : (يقدمه لهم) صديقى وسائق سيارتى ·

الاشتراكى الديمقراطى العابس : (بتوجس) حسن · حدد من هو ·· صديق أم سائق ؟ الأمر يختلف كما تعلم ·

مندوزا : (موضحا) آه · نحن نأخذ فدية عن الصديق · أما السائق فهو حر فى المرور بين الجبال ، بل وندفع له نسبة رمزية من فدية « الرأس » اذا شرفنا ووافق على عملنا ·

ستريكر : فهمت · لتشجيعى على المرور من هذا الطريق مرة أخرى · حسن · أعدك بالتفكير فى ذلك ·

دوفال : (يندفع بانفعال تجاه ستريكر) أخى ·· (يحتضنه بشـــوق ويقبله من خديه) ·

ستريكر : (بتوجس) ماذا ؟ ابعد عنى ! لا تكن سخيفا ·· من انت بالله ؟

دوفال : دوفال : الاشتراكى الديمقراطى ·

ستريكر : اوه ·· فانت اشتراكى ديمقراطى · أليس كذلك ؟

الفوضوى : يقصــد أنه يتاجر فى الدجل والبورجوازية فى البرلمان ·· مذهبه هو الحل الوسط ·

دوفال : أنا أفهم ما يقول ·· يقول بورجوازية ·· حل وسط ·· لا شىء من ذلك أيها البائس الأفاق !

ستريكر : اسمع ياكابتن « مندوزا » ·· كم عدد أصحابك من هذا النوع من الناس ؟ هل نحن نستمتع برحلة ممتعة بين الجبال ، أم نحن جالسون فى اجتماع اشتراكى ؟

الأغلبية : سمع · سمع · هس · اجلسوا ·· جلوس ·· الخ (ينسحب الاشتراكيان الديمقراطيان ، والفوضوى الى مؤخرة المسرح ، بينما يقف ستريكر على يسار مندوزا وتانر على يمينه)

مندوزا : دعونا نقدم لكما شيئا · أرنب مسلوق أم تين شوكى ؟

تانر : شكرا ·· تغدينا ·

مندوزا : (لاتباعه) أيها السادة ·· انتهى العمل اليوم · اذهبوا حيث شئتم · أجازة من الآن حتى الصباح ·

(يخرج قطاع الطرق متكاسلون . بعضهم يعود الى الكهف والبعض الآخر يجلسون أو يرقدون في العراء . أما الباقون فيأخذون ورق اللعب ويخرجون الى الطريق العـــام بتكاســـل . الليل يزحف الى الكون ، لكنهم يستطيعون اللعب على ضوء كشافات السيارات المارة بالطريق) .

ستريكر : (يخاطبهم بصوت عال) لا يعبث أحد بالسيارة .. اتسمعون ؟

مندوزا : لا تخف يا سيدى السائق .. لقد عذبتنا أول سيارة صدناها هنا .

ستريكر : (باهتمام) كيف ؟

مندوزا : انطلقت بثلاثة من زملائنا الشجعان ، فلم يعرفوا كيف يوقفونها .. فلما وصلت بهم الى « جرانادا » توقفت بهم أمام مركز الشرطة فقبضوا عليهم . منذ ذلك الحين اعتدنا ألا نلمس سيارة دون أن نستأذن السائق . هيا نثرثر على راحتنا .

تانر : وهو كذلك .

(يجلس تانر ومندوزا وستريكر أمام النار . يتنازل مندوزا عن ممارسة سـلطته الرئاسـية فلا يجلس على الحجر الوحيد بجوار النـــار ، بل يجلس مع ضيفيه على الأرض ويكتفى بالاستناد بظهره الى الحجر) .

مندوزا : مسألة تأجيل عمل اليوم الى الغد تعتبر من العادات الأسبانية الراسخة . الواقع انكما وصلتما بعد انقضاء ساعات العمل . وعلى أية حال ، اذا اردتم مناقشة مسألة الفدية الآن فأنا رهن الاشارة .

تانر : أفضل مناقشها غدا . أنا غنى وأستطيع دفع المبلغ المطلوب مهما يكن .

مندوزا : (باحترام ، وقد صدمته هذه الصراحة) انت رجل عظيم ياسيدى ، لأن ضيوفنا يتظاهرون دائما بالفقر المدقع .

تانر : اوه .. الفقراء البائسون لا يملكون سيارات .

مندوزا : هذا بالضبط ما نقوله لهم .

تانر : عاملنا جيدا ، ولن ننكر لك هذا الجميل .

ستريكر : لن نأكل تين شـــوكى أو أرنب مســـلوق . لا تقل لنا انك لا تملك ما هو أفضل من ذلك .

مندوزا : هناك النبيذ ، اللبن ، الجبن ، النيفة ، الخبز ‥ كل ذلك يمكن شراؤه لكما ، ولكن اذا كانت النقود جاهزة .

ستريكر : (بامتنان) هذا هو الكلام .

تانر : اسمح لى بسؤال . هل أنتم جميعا اشتراكيون ؟

مندوزا : (مفكرا هذا الفهم الخاطىء الذى يعتبره مهينا له) اوه . لا . لا . لا . لا شىء من ذلك . ثق تماما . ان لنا . بالفطرة ، وجهات نظر معاصرة حول التوزيع غير العادل للثروة ‥ فان لم تكن قناعتنا عند هذا المستوى لفقدنا احترامنا لأنفسنا فى مهامنا هــذه التى نقوم بها ‥ لكنك تستطيع استثناء اثنين أو ثلاثة من المهووسـين من بيننا .

تانر : أنا لست مستعدا للاباحة بشىء لا يمكن تصديقه ‥ أنا اشتراكى ، الى حد ما .

ستريكر : (بجفاء) أعتقد أن معظم الأثرياء اشتراكيون مثلك .

مندوزا : تقريبا ‥ وأعترف أن الاشتراكية قد وصلت الينا أيضا ‥ انها تملأ الجو فى القرن الحالى .

ستريكر : وهكذا تزدهر الاشتراكية ‥ فقط لو أن أتباعك آمنو بها .

مندوزا : هذا صـحيح يا سيدى . ان الحركة الفكرية التى تقتصر على الفلاسفة والرجال المخلصين فقط لا يمكن أبدا أن تحقق أى تأثير سياسى حقيقى ‥ وذلك لأنهم يصبحون شرذمة قليلة ، ومن ثم لا تستطيع أى حركة فكرية أن تأمل فى الانتشـار بين الأغلبية العظمى من الناس ، ما لم تنتشر بين قطاع الطريق أولا .

تانر : ولكن ‥ هل يعتبر رفاقك فى قطع الطريق أقل اخلاصا وأمانة من غيرهم من سائر المواطنين ؟

مندوزا : سيدى . سأكون صريحا معك . ان قطع الطريق مهنة غير عادية . والمهن الغير عادية تجتذب فئتين من الناس : الذين يتعايشون معها جيدا ، واولئك الذين لا يتوافقون مع الحياة البورجوازية العادية . اننا يا سيدى حثالة المجتمع وصفوته فى نفس الوقت . فأما الحثالة فهى اولئك البورجوازيون القذرون ، وأمـا الصـفوة فهم أولئك السادة ‥ وكلتا الطبقتين أعضاء عندنا .

ستريكر : أخفض صوتك ، فربما سمعك بعضهم من حثالة المجتمع .

مندوزا : لا يهم · كل قاطع طريق يظن نفسه من صفوة المجتمع ، ويرضيه وصف الآخرين بأنهم من حثالة المجتمع ·

تانر : تعال · انت انســـان ذكي · (يطاطىء مندوزا رأســـه غرورا) هلا أجبتني عن سؤال سخيف ؟

مندوزا : باجابة أسخف منه ·

تانر : كيف يصل الأمر برجل على مثل ذكائك أن تطعم كل هذا القطيع من الأرنب المسلوق والتين الشوكي ؟ أعرف كثيرين ليسوا على مثل مواهبك ، ولكن أقسم بأنهم أقل منك اخلاصا لمبادئهم ، ومع ذلك يأكلون الكبدة ويشربون الشمبانيا في مطعم « سافوى » ·

مندوزا : كلام فارغ · هؤلاء أخذوا نصيبهم من الأرنب المسلوق ، وأنا سآخذ دورى في مطعم « سافوى » · الواقع انني ساذهب هناك قريبا ، ولكن بصفتي « جارسون » ·

تانر : « جارسون » ! أنت انسان غريب ·

مندوزا : (بتأمل) · أنا ، «مندوزا» رجل «سييرا» ، كنت «جارسون» · هكذا احقق صفة المواطن العالمي · (بجدية مفاجئة) هلا حكيت لك قصة حياتي ؟

ستريكر : (باقتناع) بشرط ألا تكون قصة طويلة أيها الشقى العجوز ·

تانر : (مقاطعا اياه) اسن ·· انت رجعي يا «هنرى» · أنت لا تملك أى موهبة خيالية · (مخاطبا مندوزا) أما انت ، أيها الرئيس ، فتثير فضولى · لا عليك من « هنرى » · يستطيع أن يذهب وينام ·

مندوزا : المرأة التي أحببتها ··

ستريكر : اوه ·· قصة حب ، أليس كذلك ؟ اكمل · مضبوط · كنت أظن انك تريد التحدث عن نفسك ·

مندوزا : نفسي ! · لقد ضيعت نفسي من أجلها . وهذا هو سبب وجودى هنا · لا يهم · لقد خسرت العالم كله من أجلها · كانت ، وأقسم على صدق كلامي ، تمتلك أكبر رأس وأجمل شـــعر رأيتهما في حياتي · كانت تتصف بالمرح والذكاء ، وتطبخ الى درجة الكمال · ولكن مزاجها المتقلب جعلها متقلبة ، متوترة ، مذبذبة ، كل يوم على حال ، وباختصار ·· في منتهى الروعة ·

ستريكر : نوع من النساء يمكن عرضه في قصة ثمنها ســت شلنات ·

كله الا مسألة الطبخ هذه · اسمها « ليدى جليديز بلانتاجينيه » ، أليس كذلك ؟

مندوزا : لا يا سيدى · لم تكن بنت «ايرل» أو دوق معروف · ان الصور التى تنتج بطريقة « الهاف تون » جعلتنى أتعرف بسهولة على ملامح بنات النبلاء الانجليز · أستطيع القول بصراحة أننى كنت على استعداد لبيع الكثير من الألقاب والمهور والملابس والأسماء وكل شيء آخر مقابل الفوز بابتسامة واحدة من هذه المرأة · واذا لم تكن علاقتى بها قد وصلت الى هذا الحد لأصبحت قادرا على نبذها واحتقارها منذ البداية ·

تانر : لا بأس · ولكن هل تجاوبت مع حبك بها ؟

مندوزا : وهل كنت تجدنى هنا لو أنها فعلت ؟ لقد رفضت الزواج منى لأننى يهودى ·

تانر : لأسباب دينية !

مندوزا : لا ·· بالعكس · فقد كانت أفكارها متحررة وجريئة · لكنها قالت ان اليهودى يؤمن ايمانا راسخا بأن للشعب الانجليزى عادات قذرة وسخيفة ·

تانر : (بدهشة) قذرة !

مندوزا : هكذا كانت فكرتها الشاذة عن العالم ، ولا شك أنها فكرة واقعية ·· لأن الطقوس الصحية العادية التى نمارسها تجعلنا منبوذين ، ظلما ، من طبقة السادة والنبلاء ·

تانر : هل سمعت شيئا كهذا يا « هنرى » ؟

ستريكر : سمعت أختى تقول مثل ذلك · فقد عملت طباخة عند عائلة يهودية منذ مدة ·

مندوزا : لا أنكر ذلك ، ولا أنكر تأثيره على عقلها · كان بوسعى تبرير تلك الطقوس بأى تبرير آخر ، لكن المرأة لا تغفر شكا يراودها باحتمال معاملتها بقسوة وجفاء · وهكذا راحت محاولاتى سدى ·· كانت تتعلل دائما بأنها ليست لطيفة معى ، بل وكانت توصينى بالزواج من فتاة بار لعينة ومنفرة اسمها « ربيكا لازاروس » ·· تحدثت أمامها عن الانتحار ، فقدمت لى زجاجة من سم الخنافس لمساعدتى على الانتحار ·· ألمحت اليها باحتمال ارتكابى لجريمة قتل ، فأصيبت بالهستيريا ·· فاضطررت ــ كأى كائن حى ــ الى

الفرار الى أمريكا لعلها تستطيع النوم دون أن تحلم بتسللى الى الدور العلوى كى أسرق شيئا ما اذبحها به . وفى أمريكا ، أقمت فى المنطقة الغربية ، والتقيت برجل تطارده الشرطة بتهمة السطو على القطارات ، وكان هو صاحب فكرة السطو على السيارات فى جنوب أوروبا .. فكرة مرغوبة لانسان يائس محطم .. أيضا عرفنى ببعض الرأسماليين من صنفك ، وقمت بانشاء دار للنشر ، كانت نتيجته هى مشروعنا الحالى هذا . بعد ذلك أصبحت رئيس العصابة .. بالضبط كما يصبح اليهودى ، بذكائه ولباقته ، هو رئيس كل عمل يلتحق به .. وأنا ، رغم كل اعتزازى ، بجنسى ، مستعد للتضحية بكل ما أملك مقابل الحصول على الجنسية الانجليزية . أنه مثل الطفل .. أحفر اسمها على جذوع الشجر .. أنقش الحروف الأولى من اسمها على المروج الخضراء .. وعندما أكون وحدى .. ارقد وابكى واقطع شعرى وأصرخ: « لويزا » .

ستريكر : (منزعجا ؟ لويزا !

مندوزا : نعم . هذا هو اسمها .. لويزا .. لويزا ستريكر .

تانر : ستريكر ! . ها ها .

ستريكر : (باحتقار) اسمع . « لويزا ستريكر » أختى .. فاهم ؟ كيف تتحدث عنها بهذه الطريقة ؟ ماذا تريدها أن تفعل من أجلك ؟

مندوزا : مفاجأة درامية : اذن فأنت « انرى » ، أخوها الحبيب .

ستريكر : اوه .. وتقول « انرى » ؟ أى حق لك فى العبث باسمى أو باسمها ؟ سأفرغ رأسك العفن هذا بدبوسين .. سترى .

مندوزا : (بهدوء) واذا تركتك تفعل ذلك ، هل تعدنى بأن تحكى لها عنى ؟ ستتذكر حبيبها «مندوزا » .. هذا هو كل أملى .

تانر : هذا اخلاص عظيم . يجب عليك احترامه يا (هنرى)

ستريكر : « بوحشية) جبان . جبان !

مندوزا : (يقفز واقفا) جبان ! يالك من شاب طائش . أنا سليل أسرة كلها من المقاتلين ، اختك تعلم أن صدامك معى سيكون مروعا .. بالضبط كما تصطدم عربة أطفال بسيارة كبيرة كالتى تقودها أنت . اسألها عنى وستعلم من أنا .

ستريكر : (مكابرا) انت لا تخيفنى ولن يهمنى سماعك تردد اسم

لويزا ·· لويزا » ·· هكذا كالمعتوه · الآنسة « ستريكر » أفضل وأسمى من أن يفكر فيها شخص مثلك · هذا هو رأيى ·

مندوزا : أقنعها بذلك ان استطعت ·

ستريكر : (ثائرا) هكذا ··

تانر : (ينهض ليمنعهما من الشجار) هيا ·· تعال يا « هنرى » · افرض انك استطعت مقاتلة الرئيس ، هل تستطيع مواجهة أفراد عصابة « سييرا » جميعا ؟ · اجلس مكانك واهدأ · القط من حقه أن يحلم بحب الملك ، ورئيس عصابة قطاع الطريق يستطيع هو الآخر أن يحلم باختك · كل هذا غرور طبقى ·· عادة قديمة ·

ستريكر : (خاضعا) دعه يحلم بها · ماذا يقصد بقوله أنه يتمنى أن تلتفت اليه · (بسخرية) ومع ذلك ، فمن يسمع كلامه يظن أنها كانت تلازمه كظله · (يوليه ظهره ويحاول النوم) ·

مندوزا : (مخاطبا تانر) هذا هو ما حدث معها بالضبط يا سيدى · ذكاؤها يسبق أوانه فى القرن العشرين ·· تعصبها الاجتماعى وروابطها الأسرية تمتد جذورها الى العصور المظلمة فى الماضى السحيق · آه يا سيدى ·· ان عبارات شيكسبير لا تزال صادقة ·· معبرة تماما عن مشاكلنا العاطفية ·· لقد قلت فيها الشعر ·· اسمع :

لويزا ·· أحبك ·· أن أربعين ألف أخ
لا يملكون ·· بكل ما يكنون لك من حب
ان يحبوك كما أحبك أنا ·

وهكذا ·· نسيت الباقى · سمه جنونا أو خبلا ان شئت · أنا رجل قادر ·· رجل قوى · كان بوسعى ، منذ عشر سنوات ، امتلاك فندق من الدرجة الأولى · لكننى قابلتها فأصبحت ـ كما ترى ـ قاطع طريق ·· خارج على القانون · شيكسبير نفسه لا يستطيع الحكم بصدق على شعورى تجاه « لويزا » · دعنى اسمعك بعض أبيات الشعر التى كتبتها عنها بنفسى · ومهما كانت قيمتها الأدبية ضئيلة فهى تعبر عن شعورى بطريقة أفضل من كل ما قاله الشعراء فى الحب (يخرج من جيبه عددا من فواتير الفندق ملفوفة مع مخطوط ، ويركع على ركبتيه قريبا من النار كى يستطيع القراءة على ضوئها ، ويحرك النار بعصا كى تتوهج) ·

تانر : (يضربه على كتفه بشدة) ألق هذه الأوراق فى النار أيها الرئيس

مندوزا : (بانزعاج) هه ؟

تانر : عندما تحصر تفكيرك فى تجربة واحدة بهذا الشكل فانت تضيع مستقبلك ٠

ستريكر : أعلم ذلك ٠

تانر : لا ٠ أنت لا تعلم ٠ ليس هناك من يقبل على ارتكاب مثل هـــذه الجريمة وهو يدرك جيدا ما هو مقبل عليه ٠ كيف يتاح لك أن تجول بنظرك بين هذه الجبال الرائعة الجمال ، وتتطلع الى هـــذه السماء المقدسة ، وتستنشق هذا النسيم العليل ٠٠ ثم بعد كل ذلك تنطق بألفاظ لا يتفوه بها غير عربيد جاهل يســـكن الدور الثانى فى « بلومزبرى » ؟

مندوزا : (يهز رأسه) منطقة « سييرا » ليست أفضل من « بلومزبرى » ، اذا استثنينا عنصر التجديد الذى طرأ عليها ٠ أما هـــذه الجبال فتجعلك تحلم بالنساء ٠٠ النساء ذوات الشعر المتهدل الجميل ٠

تانر : باختصار ٠٠ تحلم (بلويزا) ٠ أما أنا فالجبال لا تجعلنى أحلم بالنساء يا صديقى ٠٠ أنا انسان لا يعرف قلبه الحب ٠

مندوزا : لا تضيع الوقت فى الزهو بنفسك يا سيدى ٠ هذه بلدة غريبة ترتع فيها الأحلام ٠

ليبارك الله حياتك يا لويزا مندوزا !
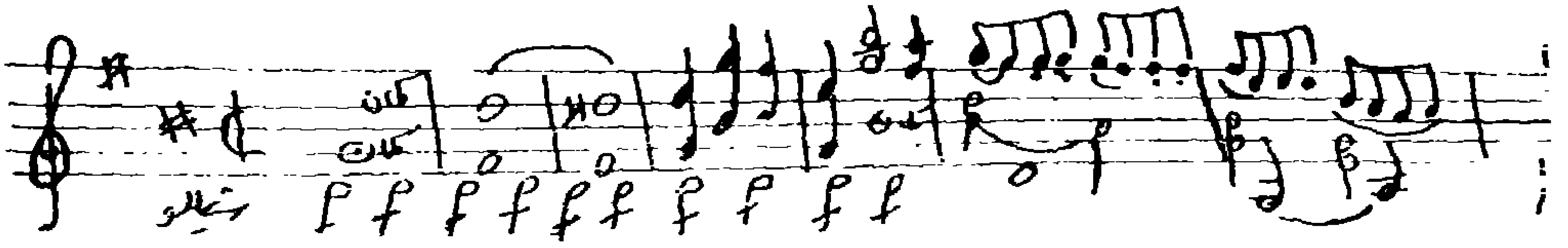
سعيد هو بعذاب الحب مع لويزا !

هـــذا هو الشـــعر الحقيقى ٠٠ من القلب ٠٠ من أعماق القلب
ألا تعتقد أنه سيؤثر فيها ؟

ـ (لا اجابة)

(باستسلام) نائم كالعادة ٠ فليكن العالم كله نشاز ، وليهبنى الله الموسيقى السماوية !
أبله انا اذ أضع قلبى على يدى (يستعد للنوم ويتمتم قائلا ٠٠ للنوم ويتمتم قائلا) لويزا ٠٠ أحبك ٠٠ أحبك بالويزا ٠٠ لويزا ٠٠ لويزا ٠٠ لويزا ٠٠ أنا ٠٠

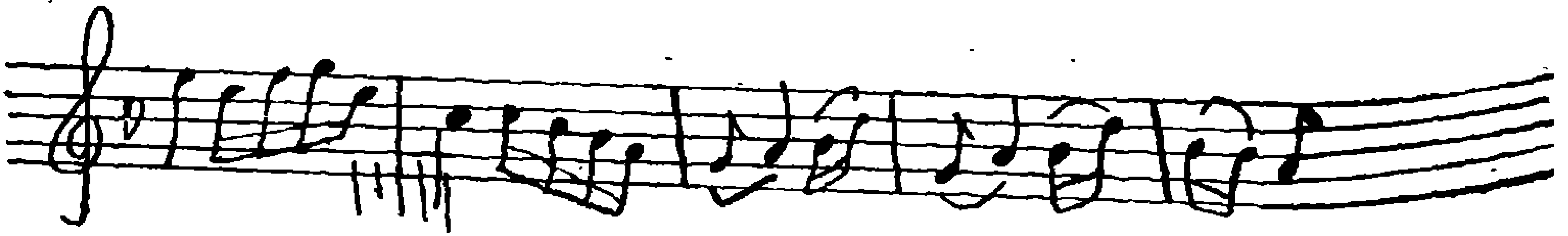
(يخيم السكون على منطقة سييرا ٠ تخمد النار ولا يسمع شىء ٠ يبدو فى الظلام شبح اثنتين من آلات الكمان الموسيقية ، وتعزفان اللحن التالى) :



ثم يبدو فى الفضاء شبح رجل ، جالس على لا شىء ، يرفع رأسه مع سماعه للموسيقى ، ثم تصدر عنه آهة يستسلم بعدها لشعوره بالاكتئاب • أما عزف آلتى الكمان فيتسم بالحزن والايقاع البطىء ، ثم يتخلل العزف نواح صادر عن آلة الناى على النحو التالى :



يقترب شبح الرجل من المسرح ، فيبدو وكأنه « دون جوان » •• يرتدى ملابس القرن الخامس عشر أو السادس عشر •• انه « دون جوان تينوريو » •• او « جون تانر » • تدخل الكلاريونيت فى العزف بالجملة الحزينة التالية :



تانر : حسن • سنرى • تصبح على خير (يرقد) •

(تصدر عن «مندوزا» آهة ، ثم ينام • يعم السلام منطقة «سيرا» لعدة دقائق ، وفجأة يهب «مندوزا» جالسا ويخاطب «تانر» معتذرا)

مندوزا : أرجوك •• دعنى اسمعك بعض أبيات الشعر قبل أن تنام • حقيقة أريد سماع رأيك فيها •

تانر : (بتكاسل) لا بأس · أسمعنى ·

مندوزا : أول مرة ألقاك
فى أسبوع «العنصرى»
آه يالويزا ·· لويزا

تانر : (بغضب) عزيزى الرئيس ·· « لويزا » اسم لطيف جدا ، لكنه لا يتفق فى القافية مع « أسبوع العنصرى » ·

مندوزا : لا يتفق طبعا ·· « لويزا » ليس هو القافية ، ولكنها « لازمة » تتكرر فى القصيدة ·

تانر : (باستسلام) لازمة ·· آه ·· معذرة · أكمل ·

مندوزا : ربما لم يعجبك هذا الجزء من القصيدة · الجزء التالى سيعجبك · اسمع (ببطء وتنفيم) ··

لويزا ·· أحبك
أحبك يا لويزا
لويزا · لويزا · لويزا · أحبك
اسم واحد ·· جملة واحدة تعزف موسيقاى · لويزا
لويزا · لويزا · لويزا · أحبك
مندوزا هو حبيبك
حبيبك هو مندوزا
مندوزا يعيش دائما بك يا لويزا
لا شىء فى العالم سواك يملكه مندوزا
لويزا ·· لويزا ·· مندوزا يقدسك

(بتأثر) لا يهم ·· لن اتفنن فى انتاج سطور أدبية جميلة حول هذا الاسم · « لويزا » اسم ساحر ·· أليس كذلك ؟

يتأثر : (يأخذه النعاس · يجيبه بآهة عميقة)

مندوزا : اوه · ألست انت » لويزا »
زوجة « مندوزا » ؟
لويزا حبيبة مندوزا ·· لويزا مندوزا

(يظهر شبح امرأة عجوز مع شبح دون جوان)

المرأة العجوز : معذرة ·· أنا امرأة وحيدة ، والمكان مخيف ·

دون جوان : قادم جديد ؟

المرأة العجوز : نعم · أعتقد أننى مت صباح اليوم · لقد اعترفت للقس فى الكنيسة ·· متعة هائلة · كنت أرقد فى سريرى ، يحيط بى أفراد أسرتى ، وعيناى معلقتان بالصليب · ثم أظلمت الدنيا ·· وعندما عاد النور وجدت نفسى فى هذا الضوء الذى أسير فيه لا أرى شيئا · تجولت عدة ساعات فى وحدة موحشة رهيبة ·

دو نجوان : (يتأوه) آه ·· انت لم تفقدى الاحساس بالزمن بعد ، وهو ما لا يحسه المرء فى دار الخلد ·

المرأة العجوز : أين نحن ؟

دون جوان : فى جهنم ·

المرأة العجوز : (بكبرياء) جهنم ! أنا فى جهنم ؟ كيف تنطق بكلمة كهذه ؟

دون جوان : (ببلادة) ولم لا يا سنيورا ؟

المرأة العجوز : أنت لا تعلم مع من تتحدث · أنا سيدة ·· وبنت مخلصة للكنيسة ·

دون جوان : بدون شك ·

المرأة العجوز : فكيف اذن أكون فى جهنم ؟ للتطهر من الآثام ؟ ربما ·· صحيح لم أكن امرأة كاملة ·· ومن هو الكامل ؟ ·· لكن ، فى جهنم !! اوه انت كاذب ·

دون جوان : اؤكد لك يا سنيورا ·· جهنم ·· جهنم فى أحسن أحوالها : العزلة المطلقة ، رغم انك قد تفضلين الحياة وسط الناس ·

المرأة العجوز : لكننى تبت توبة نصوحا ·· اعترفت ··

دون جوان : بكم خطيئة ؟

المرأة العجوز : بأكثر مما ارتكبت فعلا من آثام ·· كنت أحب الاعتراف ·

دون جوان : آه هذا هو أسوأ ما فى الموضوع · بالضبط كالاعتراف بأقل عدد ممكن من الخطايا · على أية حال ، سواء ارتكبت تلك الخطايا عن قصد أو عن طريق السهو والخطأ ، فلا شك أن اللعنة قد حلت بك يا سنيورا مثلى بالضبط ·· صحيح أن هذا أمر لا يد لك فيه . لكنك مطالبة الآن بالاستفادة من وجودك هنا قدر الامكان ·

المرأة العجوز : (باحتقار) اوه · ربما كنت أكثر ضلالا من ذلك ! وربما تكون أعمالى البارة قد ضاعت هى الأخرى ·· هذا ظلم ·

دون جوان : لا ·· فقد خوفوك من هذه الألفاظ بطريقة واضحة وحاسمة · فأما بالنسبة لسيئاتك ، فقد كفرت عنها ، ولكن توبتك لم تكن مخلصة ، وأما حسناتك فكانت بارة ولكن بدون اخلاص ·· على كل حال ، معنا هنا اناس طيبون كثيرون ·

المرأة العجوز : هل كنت رجلا طيبا ؟

دون جوان : بل كنت قاتلا ·

المرأة العجوز : قاتل ! ·· اوه · كيف يبعثون بى لمرافقة القتلة ؟ أنا لم أكن امرأة سيئة الى هـذا الحد ! كنت امرأة طيبة · هنـاك بعض الأخطاء ، هذا صحيح ، ولكن أين أستطيع تصحيحها ؟

دون جوان : لا أعلم هل يمكن تصحيح الأخطاء هنا أم لا · وسبب ذلك أن الناس هنا قد لا يعترفون بارتكاب خطأ واحد ، حتى ولو كانوا قد ارتكبوه فعلا ·

المرأة العجوز : اذن ، من أسأل ؟

دون جوان : أسأل لك الشيطان يا سنيورا ، لأنه يفهم أسـاليب هـذا المكان ، وأعتقد أنها أساليب تفوق قدرتى على فهم كل ما استطعت استيعابه فى حياتى الدنيا ·

المرأة العجوز : الشيطان ·· أنا أكلم الشيطان ؟

دون جوان : الشيطان ، يا سنيورا ، هو قائد أفضل المجتمعات هنا ·· فى جهنم ·

المرأة العجوز : أيها الشقى ·· يقينى اننى لست فى جهنم ·

دون جوان : كيف عرفت ؟

المرأة العجوز : لم أشعر بأى ألم ·

دون جوان : اوه ·· اذن لم يحدث أى خطأ ·· لقد وقعت عليك اللعنة وانتهى الأمر ·

المرأة العجوز : لماذا تقول ذلك ؟

دون جوان : لأن جهنم هى مكان الأشرار يا سنيورا · فيها يجد الأشرار راحتهم ·· ولأجلهم وجدت · تقولين انك لا تشعرين بأى ألم ·· صحيح ·· لكن هذا معناه انك واحدة من الذين خلقت من أجلهم جهنـم ·

المرأة العجوز : وانت ٠٠ ألا تشعر بأى ألم ؟

دون جوان : أنا لست من الأشرار يا سنيورا ٠ ولذلك فهى توافق مزاجى ٠٠ تناسبنى فوق الوصف ٠٠ فوق كل ما يمكن تصديقه ٠

المرأة العجوز : لست من الأشرار ! ٠٠ لقد قلت انك قاتل ٠

دون جوان : مجرد مبارزة ٠٠ أغمدت سيفى فى قلب رجل عجوز كان يريد قتلى بسيفه ٠

المرأة العجوز : لو كنت جنتلمان ، فلن تعتبر قضيتك جريمة قتل ٠

دون جوان : العجوز سماها جريمة قتل ، لأنه ـ كما قال ـ كان يدافع عن شرف ابنته ٠٠ لكننى كنت غبيـا عنـدما وقعت فى حبهـا وصارحتها بذلك ٠٠ الغريب فى الموضوع أنهـا صرخت ، ولذلك أمطرنى بسيل من اللعنات ، ثم حاول ذبحى ٠

المرأة العجوز : كنت كغيرك من الرجال ٠٠ كلكم فاجرون وقتله ٠٠ كلكم ٠٠ كلكم ٠

دون جوان : صحيح ٠٠ ولذلك نجتمع هنا يا سيدتى العزيزة !

المرأة العجوز : اسمع ٠٠ الذى قتل أبى شرير مثلك ، وفى مبارزة كما حدث معك ، ولنفس هـذا السـبب الذى تحكى عنه ٠٠ أنا أيضا صرخت ٠٠ ٠٠ كان يجب أن أفعل ذلـك ٠٠ هجم أبى عليه لأنه حاول الاعتداء على ٠٠ كان شرفة يفرض عليه ذلك ٠٠ وسـقط : فكان هذا هو جزاء غيرته على عرضه ٠ والآن أنا هنا ٠٠ فى جهنم كما تقول ٠٠ وهذا هو جزاء احساسى بالواجب ٠ هل هناك عدل فى السماء ؟

دون جوان : لا ٠٠ لكن العدل موجود فى جهنم ٠٠ السـماء أبعد كثيرا كثيرا من أن تصل اليها مثل هذه المفاهيم البشرية ٠ مرحبا بك فى جهنم يا سـنيورا ٠ جهنم هى موطن الشرف والواجب والعـدل ، وغيرها من الفضائل السبع المدمرة ٠٠ تلك الفضائل التى ترتكب كل الرذائل على وجه الأرض باسمها ٠٠ فأين تجنى هذه الفضائل ثمارها الا فى جهنم ؟ آه ٠٠ هل أخوتك بأن أسعد الناس فى جهنم هم اولئك الذين حلت عليهم اللعنة فى حياتهم الدنيا !

المرأة العجوز : وهل انت سعيد هنا ؟

دون جوان : (يقفز واقفا) لا ٠٠ وهذا هو اللغز الذى أبحث عنه فى هذا

الظلام · لماذا أجد نفسى هنا ؟ أنا الذى تنكرت لكل واجب ، ووطئت قدماى كل شرف ، وسخرت من كل قيمة حقيقية !

المرأة العجوز : اوه ·· ماذا يهمني من مناقشة سبب وجودك هنا ؟ الذى يعنيني هو : لماذا أنا هنا ؟ أنا التى ضحيت بكل اغراءات الشهوات النسائية والمكانة الاجتماعية ·

دون جوان : الصبر يا سيدتى ·· ستكونين سعيدة جدا ومطمئنة جدا هنا ·· وكما يقول الشاعر : « جهنم فى السماء هى مدينة » سفيل « على الأرض » ·

المرأة العجوز : سعيدة ! هنا ؟ حيث أكون لا شيء ·· شخصية مجهولة ؟

دون جوان : مطلقا ·· انت سيدة ·· وحيث توجد السيدات توجد جهنم · لا تدهشى ولا تفزعي · ستجدين هنا كل ما تتمناه المرأة ، بما فى ذلك الشياطين الذين سيسهرون على راحتك ويسعدون بشرف العبودية لك ، ويعظمون من قدرك ولا هم لهم الا استخفافك بما يؤدون لك من خدمات ··

المرأة العجوز : خادمى من الشياطين !

دون جوان : وهل صادفت خدما لم يكونوا شياطين فعلا ؟

المرأة العجوز : أبدا ·· كانوا شياطين ·· شياطين مائة فى المائة ·· كلهم ·· كلهم · ولكن هذا كله كلام فى كلام · هل تقصد فعلا ان خدمى هنا سيكونون شياطين حقيقيين ؟

دون جوان : شياطين مائة فى المائة كما انك امرأة مائة فى المائة · لا يوجد هنا شيء حقيقى ·· وهذا هو الجانب المروع فى الحرمان من رحمة الله ·

المرأة العجوز : اوه · هذا جنون ·· أسوأ من النار والدود ·

دون جوان : قد تصادفين هنا بعض العزاء · مثلا ·· كم كان عمرك عندما تحولت من حالة الزمن الزائل الى واقع الخلود ؟

المرأة العجوز : لا تسألنى كم كان عمرى كما لو كنت قادمة من أعماق الماضى السحيق · عمرى الآن سبعة وسبعون عاما ·

دون جوان : هى سن النضج يا سنيورا ·· لكن كبر السن شيء غير مرغوب فى جهنم ، لأنه شيء واقعى محدد · نحن هنا نقدس الحب والجمال ، واذا كانت اللعنة قد طمست أرواحنا فنحن نربى قلوبنا

على الحب والجمال · المؤسف انك ، فى جهنم ، لن تتاح لك فرصة الشهرة كسيدة فى السابعة والسبعين من عمرها كما كنت فى الدنيا ·

المرأة العجوز : اذن ، كيف ادبر مسألة سنى أيها الرجل ؟

دون جوان : لقد نسيت انك تركت سنك هناك فى حيز الزمن · انت هنا فى سن السابعة والسبعين من عمرك ، لا تزيدين كثيرا عن حالك عندما كنت فى السابعة أو السابعة عشرة أو السابعة والعشرين ·

المرأة العجوز : كلام فارغ !

دون جوان : بهدوء يا سنيورا ·· ألم يحدث ذلك عندما كنت تعيشين فى الأرض ؟ عندما كنت فى السبعين من عمرك ، هل شعرت بانك ـ رغم تجعدات وجهك وشعرك الرمادى ـ قد كبرت فعلا وانك قد تجاوزت سن الثلاثين ؟

المرأة : العجوز : لا ·· بل أصغر ·· فى سن الثلاثين كنت طائشة · ولكن ما فائدة أن يشعر الانسان بأنه صغير بينما يبدو للآخرين وكأنه أكبر من سنه ؟

دون جوان : هكذا تلاحظين ، يا سنيورا ، ان المظهر كان مجرد وهم · ان تجعدات وجهك تكذب ·· بالضبط كما تكذب فتاة غبية ، غائرة الوجنتين ، كئيبة الروح ، سقيمة الأفكار ، وفى سن السابعة عشرة من عمرها ، ومع ذلك ترفض أن تصرح بسنها الحقيقى ! ·· حسن ·· هنا نحن بدون أجسام ·· لكننا نرى بعضنا البعض وكأننا أجسام ، لمجرد اننا تعودنا التفكير فى بعضنا البعض تحت تأثير تلك الصورة التى كنا عليها ونحن أحياء · لكننا ـ هنا أيضا ـ نستطيع الظهور أمام بعضنا البعض فى أى سن نختارها ·· تستطيعين طلب الظهور فى أى سن من أطوار حياتك السابقة فتعودين اليها فى الحال ·

المرأة العجوز : مستحيل !

دون جوان : جربى !

المرأة العجوز : سن السابعة عشرة ·

دون جوان : لحظة من فضلك · قبل أن تختارى أود أن أخبرك بأن هذه الأشياء مسألة شكلية بحتة · فمن قبيل الصدفة أن نندفع الى اختيار سن السابعة عشرة ·· رغم أنها مرحلة لا تستمر كثيرا ··

اما فى حالتنا هـذه ، فالسن المناسبة هى الاربعون أو ربما السابعة والثلاثون · لكن لا تنسى التغييرات الطارئة على الملامح · فاذا كنت جميلة الملامح عندما كنت فى السابعة والعشرين فأنا اقترح لك تجربة هذه السن ·

المرأة العجوز : أنا لا أصدق كلمة واحدة مما تقول · على أية حال لا بأس ·· نجرب السابعة والعشرين ·

(أضواء باهرة ·· تتحول المرأة العجوز الى آنسة فى سن الشباب ، يكاد المرء يظن خطأ أنها هى آن وتيفيلد) ·

دون جوان : الآنسة « أنا ديولا » ؟

آنا : ماذا ! ·· تعرفنى ؟

دون جوان : هل نسيت من أنا ؟

آنا : لا أستطيع تمييز ملامحك (يخلع قبعته) ·· « دون جوان تينوريو » الطاغية ·· أنت الذى ذبح أبى ! ·· تطاردنى ، حتى فى جهنم ؟

دون جوان : أنا أرفض ·· أنا لا أطاردك ·· معذرة ، سأنسحب من هنا · (يذهب)

آنا : (تمسك بذراعه) لن تتركنى وحدى فى هذا المكان الموحش ·

دون جوان : بشرط ألا يفسر وجودى بأنه مطاردة ·

آنا : (تترك ذراعه) كيف أحتمل وجودك معى ·· آه يا أبى الحبيب ·

دون جوان : أتحبين رؤيته ؟

آنا : هنا ؟ ·· أبى ؟

دون جوان : لا ·· بل فى الجنة ·

آنا : فهمت ·· أبى نبيل ·· عظيم · انه فى عليائه يتطلع الينا ·· كيف يكون شعوره عندما يرى ابنته فى هذا المكان ·· ومع من ! مع قاتله ؟

دون جوان : على فكرة ·· اذا استطعنا مقابلته ···

آنا : كيف نستطيع مقابلته ؟ فى الجنة ؟

دون جوان : لا ·· لكنه يتنازل ويزورنا هنا أحيانا ·· يقرف من الجنة ·· ولذلك احذرى ـ ان قابلته ـ أن تصفينى أمامه بأننى قاتله ·· اذا فعلت ذلك فيكون اتهاما وادانة خطيرة ضده ·· لماذا ؟ لأنه يعتقد أنه كان مبارزا أفضل منى كثيرا ، وانه كان سيقتلنى لولا أن قدمه

انزلقت ٠٠ هو صادق فى ظنه هذا ٠٠ أنا لم آكن مبارز جيد ٠٠ ناقشت معه هذه النقطة وبعدها توطدت صداقتنا ٠

آنا : المقاتل لا يعيبه أن يفتخر بمواهبه القتالية ٠

دون جوان : يبدو أنك لن تستطيعى مقابلته !

آنا : كيف تقول ذلك ؟

دون جوان : اوه ٠٠ لكن هذا هو الشعور الملائم هنا ٠ لعلك تذكرين أننا عندما كنا فى الحياة الدنيا ، كانت مشاعرنا عند وفاة أحد ـ حتى ولو كان من أصدقائنا المقربين ـ مفعمة بشعور خاص بالرضا ، كما لو كنا قد ساهمنا فى التعجيل بوفاته ٠٠ لكن للأسف لم يجرؤ أحد على الجهر بهذا الاحساس ٠

آنا : أيها الطاغية ٠٠ لم يحدث هذا أبدا ٠٠ أبدا ٠

دون جوان : سأذكرك الآن بهذا الاحساس ٠٠ آه ٠٠ جنازات الأموات ٠٠ خصوصا الأقارب ٠٠ كانت عبـــارة عن مهرجان كبير ، ولكن بملابس الحداد ٠ أما هنا ، فلا وجود للروابط الأسرية ٠ أبوك تعود على ذلك ٠٠ ربمـا أيضا لا يظهر تجاهك أى عاطفه كعـادته السابقة معك ٠

آنا : انت شرير ٠٠ لقد ارتديت الحداد عليه طول حياتى ٠

دون جوان : صحيح ٠ هذا شىء يخصك انت ٠٠ لكن الحداد فى الدنيا شىء ، والخلود شىء آخر ٠ الى جانب ذلك فانت هنا ميتة مثله تماما ٠٠ فهل هناك شىء يثير الضحك أكثر من شخص ميت يرتدى الحداد على شخص آخر ميت مثله ؟ ٠٠ لا تصدمك هذه الحقائق يا عزيزتى « آنا » ٠٠ ولا تنزعجى ٠٠ جهنم مليئة بالجدل ـ اذا كان فيها شىء يستحق الجدل ٠٠ لكن الجدل حول الموت والزمن والتغيير يسقط هنا لأننا كلنا أموات وخالدون ٠٠ ستفهمين كل ذلك قريبا ٠

آنا : واسمع هنا من ينادينى : حبيبتى « آنا » ؟

دون جوان : لا ٠٠ كانت زلة لسان ٠٠ معذرة ٠

آنا : (برقة) « جوان » ٠٠ هل كنت تحبنى حقا ؟

دون جوان : (بضيق) اوه ٠٠ أرجوك ٠٠ لا تبدأى بالكلام عن الحب ٠٠ هنا لا هم لهم الا الكلام عن الحب ٠ جمال الحب وقداسته وروحانيته وآثامه ٠٠ معذرة ٠٠ الكلام عنه يصيبنى بالقرف ٠٠ انهم لا يفهمون

ما يتحدثون عنه ·· اما أنا فأفهمه جيـدا انهم يعتقدون أنهم قـد وصلوا الى الحب المطلق ، لأنهم أرواح بلا أجساد ·· تخريف خيالى رهيب ـ اوف ·

آنا : ألم تفلح جهنم كلها فى تطهير روحك يا « جوان » ؟ ألم تسـتطع مشكلتك مع أبى ·· تلك التى تجسدت أمامك كالتمثال ، فى أن تعلمك درسا تحترم به نفسك ؟

دون جوان : ياله من تمثال مضلل مخادع ·· هل جاء هنا وهو محتفظ بعادته القديمة ·· يدعو السفهاء الى مائدته لا لشىء الا لينزلق بهم الى هذه الهوة السحيقة ؟

آنا : اوه ·· لقد كلفنى نفقات باهظة ·· الأولاد فى مدرسة الدير لم يتركوه لحاله أبدا ·· كسروه العفاريت·· أما الطيبون فقد اكتفوا بكتابة أسمائهم عليه ·· كسروا أنفه ثلاث مرات وحطموا أصابعه مئات المرات ·· كل ذلك فى سنتين ·· وفى النهاية تركته يلقى مصيره · أما الآن فأخشى أن يكونوا قد شوهوه تماما ·· مسكين أبى ·

دون جوان : اسمعى ! ·· (يسمع صوت خافت) ·· ها ·· صوت تمثال « موزار » ·· صوت أبوك ·· اختفى حتى يتهيأ لمقابلتك (تختفى آنا) ·

(يدخل تمثال من الرخام الأبيض لرجل عجوز ، مفتول الشارب ، صوته كصوت « روبيك ريمسدن ») ·

دون جوان : آه ·· ها انت يا صـديقى · لماذا لم تتعلم الغنـاء بتلك الموسيقى الشجية التى كتبها « موزار » من أجلك ؟

التمثال : لأنه لسوء الحظ كتبها لصوت من طبقة « الباس » · وصوتى من طبقة « كاونترتنور » ·· لا بأس · هل أعلنت التوبة ؟

دون جوان : « دون جوان جونزالو » ! · أفضالك على كثيرة ·· ولذلك يستحيل أن أتوب · ولو فرضنا أننى تبت فعلا ·· فأى عذر تتعلل به كى تهبط من الجنة لمقابلتى هنا !

التمثال : صحيح · انت عنيد يا ولدى · ليتنى قتلتك ولو بحكم الصدفة ·· عندئذ كنت أحضر أنا اليك هنا ·· فى جهنم ، ويقام التمثال لك أنت وتكتسب شهرة بالتقوى تكسب بها مالا وفيرا ·· ألديك أخبار ؟

دون جوان : نعم ·· ابنتك ماتت ·

التمثال : (بارتباك) بنتى !؟ ·· (يتذكر) البنت التى قتلت أنا من أجلها ·· آه ·· دعنى أراها ·· هل تتذكر اسمها ؟

دون جوان : « آنا » ·

التمثال : بالضبط · « آنا » · بنت جميلة على ما أذكر · هل تذكر اسم زوجها ؟

دون جوان : صديقى « اوتافيو » ؟ لا · لم أره منذ وصلت « آنا » ·

(تدخل آنا)

آنا : ما معنى هذا ؟ « اوتافيو » وصديقك هنا ؟ وانت يا أبى · هل نسيت اسمى ؟ لقد تحولت فعلا الى تمثال ·

التمثال : عزيزتى ·· ان سعادتى بهيئتى الرخامية هذه تفوق رضائى عن جسدى الآدمى الذى كنت أعيش به بينكم ، لدرجة اننى طلبت استعادة الهيئة التى جسدنى النحات عليها ·· كان من أشهر الناس فى زمانه · انت تعرفين ذلك ، هه ؟

آنا : غرور ·· انت مغرور فى نفسك يا أبى !

التمثال : آه ·· لقد تجاوزت مرحلة هذه الصغائر يا ابنتى ·· عمرك الآن حوالى ثمانين سنة ·· أما أنا فقد رحلت عن الدنيا وأنا فى الرابعة والستين من عمرى ·· أى أننى الآن أصغر منك سنا ، بالاضافة الى ذلك فان أصدقائنا الآثمون يقولون ان هذا هو المكان الذى تسقط فيه أقنعة الحكمة الأبوية ·· والآن لا تعاملينى كأب ولكن كزميل ·· مخلوق مثلك ·

آنا : انت تتكلم مثل هذا الشرير بالضبط ·

التمثال : بالعكس ·· « جوان » تفكيره عميق يا « آنا » ·· صحيح أنه مبارز فاشل ، لكنه مفكر عميق ·

آنا : (بانزعاج) الآن بدأت أفهم · هذان الشيطانان يسخران منى ·· ليس أمامى غير الصلاة ·

التمثال : (يحاول تهدئتها) لا · لا · لا يا طفلتى · لا تصلى أرجوك ، لأنك اذا فعلت فسوف تضيعين الميزة الأساسية التى يتمتع بها هذا المكان · على بوابة هذا المكان تقرئيه هذه الكلمات : « أيها الداخلون ·· اتركوا الآمال من خلفكم » · فكرى ·· أى خلاص تجدين فى

هـذه الكلمات ! لماذا تحلـم بالأمل ؟ انه أحد ملامح المسـئولية الأخلاقية · هنا لا أمل ، وفى النهايـة لا واجب ولا عمل ولا شيء يجنيه المرء من وراء الصلاة ، لأنك لن تخسرى شيئا اذا فعلت كل ما تريدين ·· الجحيم ـ باختصار ـ هو المكان الوحيد الذى لا تحرمين نفسـك فيه من أى شيء ·· ليس أمامك الا أن تمتعى نفسك (دون جوان يتأوه بعمق) لماذا تتأوه يا صديقى « جوان » ؟ لو أنك أقمت فى الجنة ـ كما أفعل أنا ـ فسوف تدرك أى نعمة تعيش فيها هنا ·

دون جوان : معنوياتك عالية اليوم يا سيدى القائد ·· فيك عبقرية · ماذا حدث ؟

التمثال : لقد توصلت الى قرار حاسم يا ولدى · أولا ·· أين صديقك الشيطان ؟ أريد استشارته في الموضوع · آنا تريد التعرف عليه ، أليس كذلك ؟

آنا : أنت تعذبنى ·

دون جوان : هـذا تخريف يا « آنا » · هدئى من روعك ، وتذكرى ان الشـيطان ليس أسـود اللون كما يصوره الفنانون فى لوحاتهم ·

التمثال : دعونى أنادى عليه ·

« يشير التمثال بيده ، فتسمع موسيقى موزار · ترى هالة ضوئية لونها قرمزى ، يخرج منها الشيطان ، وهو قريب الشبه جدا من « ميفيستو فيليس » · وهو شخص منفر الشكل والسلوك ، لكنه ذكى لبق الحديث »

الشيطان : (برقة) هل أتشرف مرة ثانيـة بزيـارة قائد « كالاترافا » الشهير ؟ ·· (ببرود) فى خدمتك يا « دون جوان » · (بأدب) وسيدة غريبة ؟ ·· احتراماتى يا سنيورا ·

آنا : هل انت ··

الشيطان : (ينحنى) ابليس فى خدمتك ·

آنا : أكاد أجن !

الشيطان : (بلطف) آه ·· لا تنزعجى يا سنيورا · لقد حضرت الينا من الأرض وكلك أوهام ومخاوف زرعها فى نفسـك ذلك المكان الذى يمتطيه القس · قالوا لك انتى ملعون · لكن صدقينى ، أصدقائى الأحياء موجودون هناك ·

آنا : نعم ·· تسكن فى قلوبهم ·

الشيطان : (يهز رأسه) انت تخجلين تواضعى يا سنيورا ، لكنك مخطئة ·· صحيح أن الحياة الدنيا لا يمكن أن تستمر الا بفضل جهودى أنا ، لكنها لا تعترف لى بهذا الجميل ·· تكرهنى من قلبها ، لأن كل عواطفها معلقة بالبؤس والفقر وحرمان الجسد والقلب معا · أما أنا فأتعاطف مع المرح ·· مع الحب ·· مع السعادة ·· مع الجمال ··

دون جوان : (باشمئزاز) معذرة · اسمحوا لى بالانصراف · هذا فوق ما أطيق ·

الشيطان : (بغضب) صحيح ·· أعرف أنا لا أستحق صداقتك ·

التمثال : أى ازعاج سببه لك يا « جوان » ؟ كان يقول كلاما رائعا عندما قاطعته ·

الشيطان : (يربت على يد التمثال بحرارة) شكرا يا صديقى · شكرا · انت تفهمنى دائما · أما هو فيحتقرنى وينفر منى دائما ·

دون جوان : لقد عاملتك بكل احترام ·

الشيطان : احترام ! ما هو الاحترام ؟ الاحترام المجرد لا يساوى عندى شيئا · أعطنى قلبا محبا ·· اخلاص حقيقى ·· علاقة قوامها الحب والمتعة ··

دون جوان : انت تثير اشمئزازى ·

الشيطان : هكذا (يخاطب التمثال) سمعت يا سيدى ؟ أوه ! ·· أى صداقة مشؤمة بعثت بهذا الأنانى المغرور الى مملكتى ، وأرسلت بك أنت الى تلك الأماكن الباردة فى الجنة !

التمثال : ليتنى استطعت الشكوى · كنت منافقا ·· خدمنى نفاقى فأرسلنى الى الجنة ·

الشيطان : لماذا لا تنضم الينا يا سيدى وتهجر ذلك العالم الذى لا يوافق مزاجك ؟ ان قلبك عطوف جدا وقدراتك على الامتاع سخية ·

التمثال : هذا هو ما قررته اليوم · غدا سأكون رهن اشارتك يا « ابن الصباح » · لقد غادرت الجنة الى الأبد ·

الشيطان : (يربت على يد التمثال مرة أخرى) آه ·· ياله من شرق ــ ياله من انتصار لقضيتى · شكرا · شكرا · أخيرا أستطيع أن أخاطبك

قائلا « يا صـديقي العزيز » ٠٠ هلا استطعت اقناعه بأن يشغل مكانك الشاغر فى الجنة ؟

التمثال : (يهز رأسه) بصراحة ٠٠ لا أتمنى لأحد من أصدقائي أن يذهب الى مكان معتم ومزعج كذلك الذى كنت فيه ٠

الشيطان : لا طبعا ٠ لكن هل انت متأكد أنه مزعج ومعتم ؟ ٠ صـحيح انك أحسن من يستطيع الحكم على ذلك ، لأنك أنت الذى أحضرت « دون جوان » الى هنا ، وكانت آمالنا فيه كبيرة ٠ كان أحسـن أصدقائنا يطمئنون الى مشاعره ٠ هل تذكر كيف كان يغنى عندما جاء هنا ؟

(يغنى بالطريقة الفرنسية) :

تحيا المرأة ٠٠

تحيا السعادة ٠٠

التمثال : (يكمل الأغنية بصوت « كاونترتنور ») ٠

كل آمالى ٠٠

ازدهار البشرية ٠

الشيطان : بالضبط ٠٠ حسن ٠٠ لن يغنى بعد الآن ٠

دون جوان : هل يضايقك ذلك ؟ جهنم مليئة بعشاق الموسيقى ٠ الموسيقى هى خمر الملعونين ٠ ألا يسمح لأحد الأرواح الشقية هنا بالعودة الى الغناء ؟

الشيطان : أتنسب فن الفنون ؟

دون جوان : (بازدراء) تتحدث كما لو كنت امرأة مجنونة تتملق موسيقيا ٠

الشيطان : لن أغضب ٠ لكننى ببساطه اشفق عليك ٠ انت عديم الروح ٠٠ لا تعرف قيمة ما تفقده من مزايا ٠ والآن ٠٠ انت موسـيقى بالوراثة يا سيدى القائد ٠ كم هو جميل غناؤك ! لو كان «موزار» هنا لأعجب بغنائك ٠ لكنه صبأ ٠٠ ذهب الى الجنة ٠ غريب أمر هؤلاء النـابغين ٠٠ اولئك الذين تظن أنهم ولدوا ليتبوأوا مكانهم هنا ، ثم تفاجأ بتحولهم الى نوع من الفشل الاجتماعى ، وهذا هو ما يفعله « دون جوان » ٠

دون جوان : يؤسفنى حقا أن أكون نوعا من الفشل الاجتماعى ٠

الشيطان : انت تعرف أننا لا نكره نبوغك ٠ لكننى أناقش الموضوع من

وجهه نظرك أنت . أنت لا تنسجم معنا .. المكان لا يناسبك .
لن أقول انك فظ القلب ، فأنا أعلم انك تملك قلبا دافئا رغم ماتبديه من سخرية لاذعة بعواطف الآخرين و .

دون جوان : (بإنفعال) لا تكمل .. أرجوك لا تكمل .

الشيطان : (بارتباك) حسـن . انت لا تملك القـدرة على التذوق . هل يرضيك ذلك ؟

دون جوان : انه نوع من المتعة لا يقل عن غيره تعذيبا . أرجوك دعني ، كعادتى ، وحدى .

الشيطان : ولماذا لا تعتزل فى الجنة ؟ هناك مكانك المناسب . (يخاطب آنا) تعالى يا سنيورا .. ألا تستطيعى اقناعه ، ولمصلحته الخاصة ، بتغيير رأيه ؟

آنا : وهل يستطيع الذهاب الى الجنة لو أراد ؟

الشيطان : وما المانع ؟

آنا : هل يستطيع أى انسان .. أأستطيع .. أنا مثلا .. الذهاب الى الجنة لو أردت ؟

الشيطان : (بازدراء) طبعا .. اذا وجدت راحتك هناك .

آنا : اذن .. لماذا لا يذهب الجميع الى الجنة ؟

التمثال : (يقهقه بضحكة عالية) أقول لك يا عزيزتى ...

الشيطان : ان سيادة القائد يصوغ القضية فى تعبيرات عسكرية بحتة ، لكن أسلوب الحياة فى الجنة لا يطاق . هناك فكرة تقول أننى طردت من الجنة .. لكن الواقع أننى لم أجد ما يغرينى على البقاء فيها . المسألة ، ببساطة ، أننى هجرتها وأسست مكانى هذا .

التمثال : أنا لا يدهشنى رأيك هذا . ليس هناك من يحتمل الخلود فى الجنة .

الشيطان : اوه .. لكنها تناسب بعض الناس . لنكن منصفين يا سيادة القائد . المسـألة مسـألة مزاج . وأنا لا يعجبنى مزاج الجنة .. لا أفهمه .. أنا بالذات لم أحاول ان أفهمه . غير أنها تتصف بكل ما يجعلها كونا كاملا قائما بذاته .. هناك ، لا تجد أى اهتمام

بأذواق الناس ، ورغم ذلك تجد بعض الناس يحبونها · أنا أعتقد أن « دون جوان » ربما وجد سعادته هناك ·

دون جوان : لكن ·· معذرة لصراحتي · هل تستطيع العودة اليها حيثما تريد ؟ أم هل أصبح العنب مرا ؟ ·

الشيطان : أعود اليها ! أنا دائما أذهب الى هناك · ألم تقرأ كتاب أيوب ؟ أم هل لديك أي سلطة قانونية تدعى بها وجود أى عائق حقيقى بين مكاننا هذا وبين المكان الآخر ؟

آنا : لكن هناك بالتأكيد هوة سحيقة تفصل بينهما ·

الشيطان : سيدتى العزيزة ·· يجب ألا تفهموا تلك الحكاية الرمزية عن الجنة والنار حسب مدلولها الحرفي · الهوة الموجودة هي الفرق بين كل من المزاج الملائكي والمزاج الشـــيطانى ·· ويالها من هوة سحيقة ! فكرى فى كل ما رأيته على وجه الأرض · ليس هناك أى هوة فعلية بين قاعة المحاضرات التي يلقي فيها الفيلسوف دروسه . وبين حلبة مصارعة الثيران ·· أجل ، ليست هناك أية أسباب فعلية تمنع هواة مصارعة الثيران من الذهاب الى قاعة المحاضرات · هل زرت تلك الدولة التى كان لى فيها أتباع كثيرون ؟ ·· انجلترا ·· هناك ، يعقدون مناقشـــات عظيمة ·· وهناك أيضا قاعات عظيمة للاوركسترا التى يعزفون فيها الألحان الكلاسيكية التى كتبها «موزار» صديق سيدى القائد ·· الذين يترددون على حلبات مصارعة الثيران يستطيعون الابتعاد عنها والذهاب لسماع الموسيقى الكلاسيكية اذا أرادوا · ليس هناك قانون يمنعهم من ذلك ·· والسبب أن الانجليز يرفضون العبودية ·· انهم أحرار ·· يفعلون كل شيء ، ولكن بشرط ألا يخالف تعاليـم الحكومة وأن يتفق مع اتجاهات الرأى العام · ولذلك يعتبرون قاعات الموســـيقى الكلاسيكية هى المكان الأكثر رفعة وثقافة وشـــاعرية وعلما ونبلا من حلبة مصـــارعة الثيران · ولكن هل لهذا الســـبب وحده يهجر عشـــاق الســـباق رياضتهم المفضلة ويحتشدون أمام أبواب قاعات الموسيقى ؟ لا ·· بالعكس ·· انهم يحتملون كل ما يغانيه سيادة القائد من ازعاج فى الجنة فى سبيل استمتاعهم بمشاهدة الثيران فى حلبة المصارعة ·· هنا تجدين الهوة الســحيقة بين المكانين فى هـــذه الحكايـة الرمزية · انهم يســتطيعون عبور هـــذه الهوة الواقعية المجردة أو — على الأقل — أستطيع أنا عبورها مـن أجلهم · (والأرض مليئة بجســـور الشـــيطان) · أما الهوة التى تخلقها الكراهية فهى هوة

أبدية ، لا يمكن عبورهـا ، وهى الهوة الوحيـدة التى تفصل بين أصدقائى هنا واولئك الذين يسمونهم الأبرار ٠

آنا : سأذهب الى الجنة ، وفورا ٠

التمثال : كلمة واحدة يا ابنتى ٠ دعينى أكمل التشبيه الذى يسـوقه صديقى ابليس عن الكونشرتو الكلاسيكية ٠ قد تجدين أمام قاعات الموسيقى فى انجلترا طوابير طويلة من الناس المعذبين يصطفون أمام أبوابها ، لا لأنهم يحبون الموسيقى الكلاسـيكية فعلا ، ولكن لأنهم يعتقدون أن الواجب يفرض عليهم حبها ٠٠ حسن ٠ نفس الشىء يحدث فى الجنة ٠ ان عددا من الناس يجلسون هناك ، فى النعيم ٠٠ ليس لأنهم فعلا سعداء ، ولكن لأنهم يعتقدون أن مكانتهم فى فى الجنة تفرض عليهم الجلوس هناك فى النعيم ، وكلهم انجليز تقريبا ٠

الشيطان : تمام ٠٠ ان أهالى جنوب انجلترا يتركون الجنة ويلتحقون بى هنا ٠٠ بالضبط كما فعلتم أنتم ٠ لكن الانجليز شعب لا يعرف متى يكون شقيا أو سعيدا ٠ الانجليزى لا يصدق أنه انسان على خلق الا اذا كان قلقا معذبا ٠

التمثال : باختصار ٠٠ اذا ذهبت يا ابنتى الى الجنة دون أن تكونى مؤهلة بطبيعتك للاقامة هناك ، فلن تجدى سعادتك فيها ٠

آنا : من يجرؤ على القول بأننى غير مؤهلة بطبيعتى للاقامة فى الجنـة ؟ ان امراء الكنيسة الكبار لم يطلبوا اجابة على هذا السؤال من أحد ٠ ما يجب أن أفعله هو أن أترك هذا المكان ، وفورا ٠

الشيطان : (يشعر بالمهانة) كما تريدين يا سنيورا ٠٠ كنت أظن أن ذوقك أحسن من ذلك ٠

آنا : أبى ! تعال معى أرجوك ٠ يجب ألا تبقى هنا ٠ ماذا يقول النـاس عنك ؟

التمثال : الناس ! ماذا تقولين !! ٠٠ ان أفضل الناس موجودون هنا ٠ أمراء الكنيسة وغيرهم من سادة القوم ٠ الأقلية هم الذين يذهبون الى الجنة ٠ أما الأغلبية فهم هنا ٠٠ لدرجة أن أهل الايمان والحكمة ٠٠ الذين كنا نسـميهم أهل الجنة ، يتناقصـون دائما ، ومن ثم يصبحون أقلية هناك ٠٠ الذين كانوا بالأمس قديسين وقساوسة وشماسين هـم الذين أصبحوا اليـوم متطرفين ٠٠ حثالة ٠٠ لا منتمون لأى شىء ٠

الشيطان : هذا صحيح · لقد أيقنت ، منذ بداية المشوار ، أننى يجب أن أحقق ، وعلى المدى الطويل ، مكانة لها وزنها فى الرأى العام ، وذلك رغم الحملات المستمرة من التضليل والتشويه ، والتى استهدفت الحط من قدرى · ان الكــون ــ فى أعماقــه ــ تركيبة تنظيمية ، ولا أستطيع ــ بهذه الأغلبية التى اكتسبتها لصفى ــ أن أكون خارج الصورة كما تقولون ·

دون جوان : « آنا » ·· أفضل لك أن تبقى هنا ·

آنا : (بغيظ) لأنك لا تريدنى أن أذهب معك ·

دون جوان : طبعا ·· لأنك لا يشرفك دخول الجنة مع فاسق مثلى ·

آنا : كل الأرواح متساوية فى السمو ·· وانت قد ندمت وتبت ، أليس كذلك ؟

دون جوان : أنت سخيفة فعلا يا عزيزتى « آنا » ·· أتظنين أن الجنة مثل الحياة الدنيا ، حيث يقنع الناس أنفسهم بأن ما يرتكبون من آثام يمكن أن تمحى بالتوبة والندم ؟ · وبأن ما يصدر عنهم من أقوال يمكن أن تمحى لمجرد انكارهم اياها ؟ وبأن كل ما هو حقيقى وصادق يمكن سحقه بمجرد الاتفاق العام على اعتباره كذبا ؟ ·· لا يا عزيزتى الجنة هى منزل سادة الحقيقة وسندتها ، ولهذا السبب أذهب أنا اليها ·

آنا : شــكرا لك · أنا ذاهبة الى الجنة لما فيها من نعيم مقيم · يكفينى ما عانيت من الحقيقة فى الحياة الدنيا ·

دون جوان : اذن ابق هنا ، لأن جهنم هى موطن اللاحقيقة والباحثين عن النعيم المقيم ·· انها المهرب الوحيد من الجنة التى هى ، كما قلت لك ، موطن سادة الحقيقة وسدنتها ، وهى الملاذ من الحياة الدنيا التى هى منزل عبيد الحقيقة · ان الدنيــا هى دار الحقيــقة التى يتقمص فيها الرجال والنساء أدوار الأبطال والبطلات ·· القديسين والخاطئين ·· لكن أجسادهم الترابية هى التى تنتزعهم من جنتهم الموهومة ·· أجســـادهم التى تتجاوب مع الجوع والبرد والعطش والهرم والوهن والمرض ، وفوق كل ذلك ·· الموت · كل ذلك يجعلهم عبيدا للحقيقة · ثلاث مرات فى اليوم يأكلون ثلاث وجبات ويهضمونها ·· ثلاث مرات فى القرن الواحد يولد جيل جديد ·· عصور من الايمان والعلم والخيال كلها لقنت أن تؤدى صلاة واحدة تقول : « اللهم اجعلنى حيوانا حقيقيا » ·· أما هنا ــ فى جهنم ــ

فانت تهربين من طغيان الجسد ، لأنك هنا لست حيوانا .. بل شبح .. ظل .. وهم .. طيف .. خالدة .. ابدية ، وباختصار .. لا جسدية . هنا لا وجود للمشاكل الاجتماعية ..لا مشاكل سياسية .. لا مشاكل دينية ، وأفضل من كل ذلك ، لا مشاكل صحية . هنا تختارين ملامحك .. جمالك .. عواطفك .. حبك .. التفوق الغريزى .. فضيلة الالهام ، بالضبط كما كنت تفعلين على وجه الأرض . وهنا أيضا ، لن تعترضك الحقائق المرة .. لا تناقض بين احتياجاتك وآمالك .. لا كوميديا انسانية .. لا شيء من ذلك ، بل خيال دائم .. ميلودراما كونية .. العالم الذى وصفه صديقنا الألمانى فى قصيدته قائلا : « ان السفاسف الشاعرية تصبح هنا هى الاحساس الملائم ، والمجاعة الأبدية هى وحدها التى تسمو بنا وترقى » ، ودون أن نخطو خطوة واحدة فى السعى اليها .. ومع كل ذلك تريدين مغادرة هذا الفردوس ؟

آنا : لكن .. اذا كانت جهنم بكل هذا الجمال الذى تصفه لى .. فأى روعة تكون فى الجنة !

(يتناقش الشيطان والتمثال ودون جوان معا ، ويحتدم النقاش ، ثم يتوقفون وقد انتابهم شعور بالأحباط)

دون جوان : آسف .

الشيطان : العفو .. أنا الذى قاطعتك .

التمثال : تريد أن تقول شيئا .

دون جوان : بعد أ نتتكلموا أنتم أيها السادة .

الشيطان : (يخاطب دون جوان) كنت بليغا فى التحدث عن مزايا ملكوتى ، لدرجة أننى أترك لك اصدار الأحكام العادلة على اولئك الذين يرتدون عن ملكوتى ويهربون الى المكان الآخر .

دون جوان : أتصور ، يا سيدتى ، أنك عندما تذهبين الى الجنة فانك تعيشين وتعملين ، دون أن تلعبى أو تستمتعى بشيء .. تواجهين الأشياء كما هى .. تهربين من لا شيء الا من الكآبة .. تنحصر كل عظمتك فى الثبات والخوف الرعديد . واذا كانت المسرحية هنا لا تزال معروضة كما هى على وجه الأرض ، واذا كان الكون كله قد أصبح مسرحا ، فأقل ما يقال عن الجنة أنها موجودة وراء خلفية المسرح . الجنة لا يمكن وصفها بالاستعارات اللفظية . سأذهب الى هناك حالا لأننى أريد أن أهرب من الكذب والملل والمطاردة الوحشية وراء السعادة وأن أقضى الدهور الباقية من عمرى فى التأمل ..

التمثال : أوف !

دون جوان : سيدى القائد ! ان ذوقك الفاسد لا يزعجنى ، كما أن معرض الصور يعتبر مكانا موحشا بالنسبة للانسان الأعمى · حتى اذا كنت تسلى نفسك بتأمل ذلك السراب الرومانسى الذى تسميه الجمال والسعادة ، فاننى أستمتع بالتأمل فى كل ما يعنينى أنا قبل غيره من لأشياء ، ألا وهو الحياة ·· القوة التى تناضل دائما كى تبذل أكبر جهد ممكن لتأمل ذاتها · ترى ·· ما الذى أوجد هذا العقل الذى فى رأسى ؟ ليست هى الحاجة الى تحريك أعضاء جسمى ، لأن الفأر الذى لا يملك نصف ما أملك من العقل يستطيع هو الآخر تحريك أعضاء جسمه ·· أيضا ليست هى مجرد الحاجة الى أداء عمل ما ، ولكنها الحاجة الى الوعى بما أفعل ·· حتى لا استعبد نفسى فى خضم الجهود التى أبذلها من أجل الحياة ·

التمثال : لقد كدت أن تقتل نفسك فى الجهود الطائشة التى بذلتها فى المبارزة ، لولا أن قدمى انزلقت من تحتى يا صديقى ·

دون جوان : هذه بذاءة فاضحة منك · ان ضحكك هذا سـينتهى بك الى العذاب الأليم قبل أن يشرق صباح الغد ·

التمثال : ها ها ! ·· أنسيت كيف أخفتك عندما قلت لى كلاما كهذا فى مقرى بمدينة « سيفيل » ؟ ان كلامك يبدو سطحيا لأنك تقوله بدون مزمارى الذى كنت أعزف عليه ·

دون جوان : بل يقولون انه سيكون سطحيا سخيفا اذا صاحبته الحانك الموسيقية يا سيادة القائد ·

آنا : اوه ·· لا تمعن فى التفاهات يا أبى · ألا يوجد فى الجنة غير التأمل يا « جوان » ؟

دون جوان : عندما أكون فى الجنة ، لا أهتم بأى متعة أخرى غير البحث عن عمل أدعم به الحياة فى كفاحها من أجل التقدم والازدهار · فكروا فى الطريقة التى تضيع بها الحياة نفسها وتشتت جهودها الذاتية · كيف تضع لنفسها العراقيل فى الطريق ·· كيف تدمر نفسها بجهلها وغبائها ؟ انها تحتاج الى العقل ··· تلك الطاقة الفذة والا فانها تحطم نفسها بجهلها · يقول الشاعر : أى مخلوق عظيم هو الانسان ! صحيح ·· ولكن ، أى اثم هو هـذا الانسان أيضا ! هنا تتحقق المعجزة الكبرى فى هذا التنظيم الذى لم تبلغه الحياة بعد · ان الانسان هو أقوى الكائنات الحية التى لا تزال على ظهر الأرض ·· أكثرهم جميعا وعيا · ولكن ، كم هى مدمرة تلك

الأفكار التى يحشو بها رأسه ! ٠ ان الحقائق التى تعلمها من خلال المعاناة والفقر قد حولته الى مخلوق غبى ٠٠ خسيس ٠٠ متحجر القلب ٠ ان شعلة الابداع فيه تكاد تنطفىء من فرط معاناتها فى مواجهة هذه الحقائق ، ومن ثم راح خياله يختلق الاوهام التى يستتر من ورائها وأطلق عليها مسميات غريبة ٠٠ يسميها ذكاء ٠٠ عبقرية ٠ وكلا الطرفين : الحقائق وقدرة الابداع يتهم أحدهما الآخر بأنه هو نقطة الضعف فى حياة الانسان ٠ نعم ٠ الغباء يتهم الخيال بالحماقة، والخيال يتهم الغباء بالجهل ٠ والواقع أن الغباء ، للأسف الشديد ، يستحوذ على المعرفة كلها ٠٠ بينما يستأثر الخيال بالذكاء لنفسه ٠

الشيطان : والعجيب أنهما يجعلان مشـــكلة المواجهة بينهما وكأنها وعاءا مملوءا بسمك الزينة ٠ ألم أخبركم أننى عندما كنت مشغولا بقضية « فاوست » ، لاحظت أن كل ما أبداه عقل الانسان من جهد فى حل قضيته لم يتجاوز تصويرها بأنهـا قضـــية أكثر وحشية من كل الوحوش ؟ ان جســـدا فاتنا واحدا لهو أفضـــل من مائة من عقول الفلاسفة المتشائمين ذوى الأمخاخ الفارغة ٠

دون جوان : لقد نسيت يا عزيزى أن الانسان قد جرب اســـتخدام القوة الغاشمة للجسد ، وهى تسىء أعظم كثيرا كثيرا من الانسان ذاته ٠ لكن العقل ظل موجودا بعض الوقت فى رأسه ، ثم ضاع منها ٠ ان « البهضم » ٠٠ تلك البهيمة المنقرضة ، وسمكة « الاكصبور » المنقرضة أيضا ، هما اللتان مهدتا سطح الكرة الأرضية بســـبع خطوات كبيرة ، ثم ظللتا النهار بأجنحتيهما السحابية الشاسعة ، فكان الليل ٠٠ أين هما الآن ؟ حفريات قليلة مبعثرة فى المتاحف ، مع أن فقرة واحدة من عظامهما تعتبر أغلى قيمة من حياة ألف جندى من أبناء الانسان ٠ هذه الأشياء كانت تعيش على الأرض ، وتريد أن تستمر فى الحيـاة والتكاثر ، ولكن لأنها كانت عديمة العقل ، فانها لم تعرف كيف تحقق ذاتها ٠٠ تؤكد وجودها ، ولذلك دمرت نفسها بالفناء ٠

الشيطان : وهل تدمير الانسان لنفســه بما يدعيه من عقل وأفكار يعتبر أقل غباء مما ارتكبته بهيمة البهضم وسمكة الاكصبور ؟ ألم تتجول على سطح الأرض هذه الأيام ؟ أنا فعلت ٠٠ تأملت الاختراعات المدهشة التى ابتكرها الانسان أخيرا ٠ وأقول لكم ان الانســـان لم يخترع شيئا لخدمة فن الحياة ٠٠ أما فى فنون الموت فقد تفوق على القوى المدمرة للطبيعة ذاتها ٠ انه يستخدم الكيمياء والمكينـة وكل مذابح الطاعون والأوبئة والمجاعـة ٠٠ المزارع الأجير الذى

أغريته باتباعي ، لا يزال كما هو ٠٠ يأكل ويشرب ما كان يأكله ويشربه الفلاحون منذ عشرة آلاف سنة ٠٠ البيت الذي يسكن فيه لم يتغير عما كان عليه منذ ألف قرن ٠٠ لم يتغير بنفس السرعة التى تتغير بها موديلات قبعات النساء في عشرة أسابيع فقط ٠ لكنه عندما يندفع ليقتل أخاه الانسان ، فانه يتسلح بالمنتجات الآلية المدهشة التى تطلق – بمجرد لمسة بسيطة من اصبع يده – كل ما تختزنه من طاقات الزئبق ٠٠ وأما الرمح والقوس والسهم ، التى كان آباؤه يستخدمونها ، فقد تركها من ورائه ٠ أما في فنون السلام ، فالانسان لازال يحبو ٠ لقد رأيت مصانع القطن ، وغيرها من المصانع ، بما فيها من آلات بدائية يستطيع الكلب الجائع اختراعها ، فقط لو أنه سعى في طلب النقود ولم يكتف بالسعى وراء الطعام وحسب ٠ انني أعرف الآلات الكاتبة الرتيبة ، والمحركات الناعسة ، والدراجات الكسيحة ٠٠ كلها تعتبر لعب أطفال بالنسبة للبندقية ماركة « مكسيم » والغواصة وزورق الطوربيد ٠٠ انك لا تجد في التطور الصناعى للانسان أى شيء ، اللهم الا الجشع والرعونة ٠٠ قلبه معلق بما يحمله من سلاح ٠ ان هذه الطاقة الحية ، التى يتفاخرون بها ، هى فى الواقع طاقة مميتة مدمرة ٠ مقياس القوة عند الانسان هى القدرة على التدمير ٠ ما هو الدين ؟ جريمة تستهدف كراهيتى ٠ ما هو القانون ؟ سلاح يستهدف منه اعدامى ؟ ما هى الأخلاق ؟ ما هى الطبقة الارستقراطية ؟ تبرير للاستهلاك بدون انتاج ٠ ما هو الفن ؟ تبرير لحملقة الناس فى صور الجلادين ٠ ما هى السياسة ؟ اما ان تكون تقديس الطاغية لأنه يستطيع الفتك بالناس ، واما أن تكون هى الحياة النيابية التى لا تزيد عن صراع الديوك ٠ منذ فترة قصيرة ، قضيت ليلة فى احدى الهيئات التشريعية المعروفة ، فسمعت الابريق يستجوب براد الشاى حول الأسباب التى جعلت جداره الخارجى أسودا ، ورأيت الوزراء عاكفين على اجابة هذه الأسئلة ٠ وعندما غادرت المكان ، رأيت المرض العجوز عند الباب يقول : « لا تطرحوا أسئلة كثيرة كى لا تسمعوا المزيد من الأكاذيب » ٠٠ اشتريت مجلة بست بنسات ، فأدهشنى أنها مليئة بصور لشباب يقتلون بعضهم البعض بالرصاص والخناجر ٠٠ ورأيت رجلا يسقط قتيلا ٠٠ كان عاملا بمصنع لصناعة البلاط فى لندن ، وله سبعة أطفال ٠ مات ، وترك لهم سبعة عشر جنيها ، أنفقتها زوجته كلها على جنازته ٠ وفى اليوم التالى اصطحبت أولادها وذهبوا جميعا للعمل فى المصنع ٠ لم يكن بمقدورها أن تنفق ولو سبعة بنسات على أولادها فى المدارس ٠

كان خيالهم يرتجف ، وطاقاتهم تتحفز لمجرد تذكرهم لفكرة الموت .. أما الآن فهم يحبون الموت ، وكلما ازداد رهبة وتدميرا كلما ازداد اعجابهم به . جهنم بالنسبة لهم مكان أرفع كثيرا من أن تدركه قدراتهم المحدودة . انهم يقتبسون فكرتهم عنها من اثنين من أكبر الأغبياء الذين عاشوا على وجه الأرض : أحدهما ايطالى ، والثانى انجليزى . فأما الايطالى فقد صور جهنم على أنها مكان الوحل والصقيع والقذارة والنار والافاعي السامة وكل صور العذاب الرهيب . ان هذا الجحش ، وقبل أن يلقى الى الناس بأكاذيبه هذه ، كان يطارد كل امرأة يصادفها فى الطريق . وأما الانجليزى فقد وصفها بأنها مطرودة من الجنة بالحديد والنار . وحتى يومنا هذا لا يزال الانسان البريطاني يصدق أن كل هذه القصة السخيفة قد وردت فى الانجيل . لا أذكر ما قاله بعد ذلك ، لأن أقواله وردت فى قصيدة طويلة لم أستطع أنا أو غيرى من الناس فهمها .. متشابهة فى كل شيء .. ان التراجيديا هى أرفع ضروب الانتاج الأدبى . انها المسرحية التى يقتل فيها الجميع بعضهم البعض فى النهاية .. تقرأون فى التاريخ القديم عن الزلازل والأوبئة ، ثم يقولون لكم بأن هذه الظواهر تفسر ضآلة الانسان أمام قوة الله وجلاله . أما فى هذه الأيام ، فان القصص التاريخية تعرض للمعارك الحربية . وفى المعركة يصوب حشدين من بنى الانسان نحو صدور أحدهما الآخر سواء بالرصاص أو بالقنابل المتفجرة الى أن تتناثر أشلاء أحد الجيشين . ثم يقوم الجيش المنتصر بمطاردة الأسرى وتقطيع رقابهم من فوق ظهور الخيل ، وبعد ذلك يقولون ان هذه الصور البشعة تصور عظمة الامبراطوريات الظافرة وضآلة الدولة المهزومة فى الحرب . وبعد المعركة يهرع الناس الى الشوارع ، يهتفون فرحا ويحفزون حكوماتهم على انفاق مئات الملايين من الجنيهات على وسائل القتل .. فى الوقت الذى لا يستطيع فيه أقوى الوزراء انفاق قرش واحد زيادة على مكافحة الفقر والمرض اللذين يعيشون فى ظلهما دائما . اننى أستطيع عرض آلاف الأمثلة عليكم ، وكلها تصل بنا الى نتيجة واحدة هى أن القوة التى تحكم الأرض ليست هى قوة الحياة ولكنها قوة الموت ، وبأن الضرورة الذاتية التى أتاحت للحياة هذا الجهد الذى استطاعت به الحياة تطوير نفسها الى أن ظهر الكائن الحى .. الانسان .. ليست هى الحاجة الى نوع من الحياة الراقية ، ولكنها الحاجة الى المزيد من وسائل التدمير . ان الطاعون والمجاعة والزلازل والعواصف لم يرتبط حدوثها على الأرض بعامل الصدفة أو غيره .. كما أن النمر والتمساح يبلغان

من بشاعة المنظر حدا كبيرا ، ومع ذلك فهما ليسا على درجة كبيرة من الوحشية ٠٠ لكأن الحاجة كانت تدعم الى شيء أكثر ثباتا ٠٠ أكثر هدوءا ! ٠٠ أكثر غباء فى التدمير ٠٠ فكان هذا الشيء المدمر هو الانسان : مخترع وسائل التعذيب والخازوق والمشانق والكرسى الكهربائى والسيف والبندقية والغازات السامة ٠٠ وقبل كل ذلك ، اخترع العدالة والواجب والوطنية وكل الأشياء التى تنتهى بحرفين: ٠٠ ياء ٠٠ وتاء مربوطة ٠ حتى هذه الأشياء ، اذا اقتنع بها أحدهم من الأذكياء وأراد أن يكون انسانا حقا ، فانه يصبح سهل الانقياد ، والاقتناع بأنه يمكن أن يصبح أكثر الناس تدميرا ٠٠ بل ويدمر المدمرين ٠

دون جوان : اوف ٠٠ كل هذا كلام قديم ومعاد ٠ نقطة الضعف فيك ، يا صديقى الشيطان ، هى أنك دائما أرعن ٠٠ توافق كل انسان على مزاجه ٠٠ لا ينافقه شيء قدر ما تنافقه آراؤك فيه ٠ يجب أن يفكر فى نفسه على أنه شجاع وسيء فى نفس الوقت ٠٠ والواقع انه لا هو شجاع ولا هو سيء ، انما هو ــ ببساطة ــ جبان ٠٠ سمه طاغية ٠٠ قاتل ٠٠ قرصان ٠٠ مغرور ٠ عندئذ يقدسك ٠٠ بل ويفاخر بأن دماء قراصنة البحر الأقدمين تجرى فى عروقه ٠ سمه كاذبا ولصا ، وسيرفع ضدك قضية سب وقذف ٠ سمه جبانا ، وعندئذ يغضب ويزمجر ٠٠ يواجه الموت لتكذيب هذه الحقيقة التى التصقت به ٠ ان الانسان يبرر كل تصرفاته ، باستثناء تصرف واحد ٠٠ يبرر جرائمه كلها فيما عدا واحدة ٠٠ يبرر كل شيء يلتمس به سلامته فيما عدا واحدا ٠٠ هذا الشيء الواحد هو الجبن ٠ ومع كل ذلك فكل حضارته قائمة على جبنه هذا ٠٠ الاستئناس الذليل الذى يسـميه الاحترام ٠ ان هناك حدودا يقف عندها مفهومنا عن البغل والحمار ٠٠ بيد أن الانسان يعذب نفسه لكى يحط من قدر نفسه ، الى أن تصبح شروره مرهقة للطغاة فيضطرون الى اصلاحها بالطغيان ٠

الشيطان : باختصار : هذه هى المخلوقات التى ترى فيها ما تدعى أنه قوة الحياة ٠

دون جوان : أجل ٠٠ لأنك ستواجه الآن أكبر العناصر اثارة فى الموضوع ٠

التمثال : ما هو ؟

دون جوان : أقصد ٠٠ أنك تستطيع تحويل أى جبان من هؤلاء الى شجاع جسور ، فقط لو أنك زرعت فى رأسه فكرة ما ٠

التمثال : أوف ٠٠ انني ـ كمحارب قديم ـ أعتمد الجبن ٠ انه شيء عالمي ، بالضبط كدوار البحر ، ومع ذلك فهو قليل الأهمية ٠ أما ملء رأس الانسان بفكرة ما فهو كلام فارغ ٠ اذا كنت في معركة فان كل ما تحتاجه كي تحارب بشجاعة هو قليل من الدم الحار في عروقك والاعتقاد بأن الخسارة أخطر كثيرا من المكسب ٠

دون جوان : ربما يكون هذا هو السبب في عدم جدوى المعارك ٠ غير أن الرجال لا يتغلبون على الخوف حتى يظنوا أنهم انما يقاتلون من أجل هدف عالمي ٠٠ يقاتلون انتصارا للمبدأ كما يقولون ٠ لماذا كان الجندي في الحملات الصليبية أكثر شـــجاعة من القرصان ؟ لأنه لم يكن يقاتل بدافع من ذاته هو ، ولكن من أجل الصـليب ٠ كان مدفوعا بقوة شجاعة جسوره ، الى أن التقى ـ في ميدان الحرب ـ بقوة لا تقل عنه عنادا وصمودا ٠٠ انها قوة اولئك الرجال الذين حاربوا ـ لا من أجل مصالحهم الذاتية ـ ولكن انتصارا للاسلام ٠ لقد أخذوا منا أســـبانيا ، رغم اننا كنا نقاتل دفاعا عن أملاكنا وبيوتنا ٠٠ ولكننا عنـدما حاربنا انتصـارا لهذه الفكرة القوية ، وتحت راية الكنيسة الكاثوليكية ، فقد استطعنا دحرهم عن بلادنا وردهم الى أفريقيا مرة أخرى ٠

الشيطان : (بســخرية) ماذا ؟ ٠٠ اذن فانت كاثوليكي يا ســـنيور « دون جوان » ! ٠٠ متعصب ٠٠ هه ؟ تمنياتي الحارة لك ٠

التمثال : (بجدية) تعال ٠ تعال ٠٠ انني كجندي شجاع لن أسمح أبدا بسماع أي رأي يهاجم الكنيسة ٠

دون جوان : لا تخف يا ســيدي القائد ٠ ان هـذه الفكرة عن الكنيســة الكاثوليكية سوف تخلد مع الاسلام ، وتخلد مع الصـليب ٠٠ بل وتخلد مع ذلك الالحاد الشرس الذي يصدر عن التصرفات الصبيانية لأولئك التلاميذ في مدارس السحل والقتل ، والذين تسمونهم : « الجيش » ٠

التمثال : « جوان » ٠٠ يبدو أنك ستضطرني أن أبارزك ردا على أقوالك هذه ٠

دون جوان : لا تتعب نفسك ٠٠ لن أبارزك ٠ ان كل فكرة تصل بالانسان الى الموت لابد أن تكون فكرة كاثوليكية ٠ وعندما أدرك الأســباني ـ بعد فوات الاوان ـ انه ليس أفضل من العربي ، وأن نبيه ليس أفضل من محمد ، فقد استطاع أن يربي نفسه على أسلوب كاثوليكي أفضل من ذي قبل ، بل وأن يموت جوعا وهو فوق أحد المتاريس

فى أحد الاحياء الفقيرة القذرة ‥ انتصارا للحرية والعـدالة فى العالم أجمع ٠

التمثال : تخريف !

دون : جوان : ان ما تسميه « تخريف » هو الشيء الوحيد الذى يستشهد الرجال من أجله ٠ بعد ذلك ، وعندما لا تصبح الحرية واحدا من المبادىء الكاثوليكية ، فان الرجال يسـتشـهدون دفاعا عن كمال الانسان ، الذى يضحون من أجله بحريتهم عن طيب خاطر ٠

الشيطان : أى ‥ لأنهم لن يكونوا بحاجة الى اختلاق الأعذار التى يبررون بها قتل بعضهم البعض ٠

دون جوان : وماذا فى ذلك ؟ ليس المهم هـو الموت ، ولكن الخـوف من الموت ٠ ان ما يحط من قدرنا ليس هو القتل والموت ، ولكنه تلك الحياة الوضيعة والقبول بما نصادف من تحقير لحياتنا ٠ ان عشرة رجال أموات ، أفضل كثيرا من عبد واحد أو امرأة واحدة على قيد الحياة ، لأن الرجال الأموات سـوف يحرضون الأب ضـد الابن ، والأخ ضد لأاخ ، ويقتلون بعضهم البعض دفاعا عن المبدأ الكاثوليكى العظيم الذى يحض على مكافحة العبودية ٠

الشيطان : صحيح ٠ ولكن عندما تؤدى الحرية والمساواة ، التى تثرثر بهما ، الى أن يصبح سعر المسـيحيين البيض الأحرار فى السـوق أرخص من سعر الرقيق الاسود الذين كانوا يباعون بالمزاد العلنى وبالجملة ٠

دون جوان : لا تخف من ذلك ٠ العامل الأبيض سيأخذ دوزه هو الآخر ٠ لكننى الآن لا أدافع عن الشكليات الزائفة التى تنادى بها المبادىء العظيمة ٠ اننى أسوق اليك بعض الأمثلة التى تقول بأن هـذا المخلوق ‥ الانســان ‥ الذى تجعل منه رغباته الأنانية مخلوقا جبانا حتى النخاع ‥ هذا الانسان سيدافع — يوما ما — عن مبدئه دفاع الأبطال ٠ قد يكون خاضعا ذليلا اذا كان مواطنا عاديا ٠ أما اذا أصبح متعصبا فسيكون خطيرا ‥ انه لن يستعبد الا اذا بلغ من الضعف الروحى حدا يجعله لا يستمع لصوت العقل ٠ اسمعوا يا سادة ٠ اذا استطعتم أن تجعلوا الانسان يرى ولو جزءا ضئيلا من الآمال التى يرجو من الله تحقيقها ، فسوف تجعلون هذا الانسان عاجزا تماما عن فهم أهدافه الذاتية ٠

آنا : فعلا ‥ يتهرب من كل مسئولياته ، ويلقى بها على كاهل زوجته ٠

التمثال : أحسنت يا ابنتى ·· لا تسمحى له بتوريطك فى الكلام بما لا تودين النطق به ·

الشيطان : يا للأسف ! ·· سيدى القائد ·· أما وقد دخلنا الآن فى مناقشة موضوع المرأة ، فسوف يتكلم أكثر من ذى قبل · على أية حال ، الكلام فى هذا الموضوع حبيب الى نفسى ·

دون جوان : سنيورا ·· ان واجبات الرجل ومسئولياته ازاء المرأة تبدأ وتنتهى عند مهمة توفير الخبز للأطفال ، ولذلك يصبح الرجل ، فى رأيها ، مجرد وسيلة تسعى الى غاية محددة هى انجاب الأطفال وتربيتهم ·

آنا : أهذا هو رأيك فى عقل المرأة ؟ ان رأيك هذا مجرد وحشية ساخرة ومقززة ·

دون جوان : معذرة يا آنا ·· أنا لا أقصد عقل المرأة من جميع الجوانب ، بل أتكلم عن رأيها فى الرجل كجنس مختلف عنها ، وهى وجهة نظر لا تزيد سخرية عن رأى المرأة فى نفسها كأم · ان المرأة ــ من الناحية الجنسية ــ هى الأداة التى تستخدمها الطبيعة لتحقيق أسمى أهدافها · والرجل ــ من الناحية الجنسية أيضا ــ هو الأداة التى تستخدمها المرأة لتنفيذ أهداف الطبيعة ، وبطريقة اقتصادية جدا · انها تعلم أنها ــ فى عملية النشوء المبكرة جدا ــ هى التى اخترعته ، وأدخلت عليه بعض التغييرات ، وخلقته ، لكى ينتج شيئا أفضل مما يستطيع الجنس الواحد انتاجه · وأثناء قيام الرجل بتحقيق الهدف الذى وجد من أجله ، فانه يضحى باحلامه وحماقاته ومثله العليا وبطولاته ، بشرط أن تكون الركيزة الأولى لها جميعا هى عبادته للمرأة والأمومة والأسرة والعشيرة · لكن ·· يا لها من حماقة مقهورة وخطيرة أن يظهر الى الوجود مخلوق واحد مفرد تقتصر مهمته الوحيدة على تعبئة بطن المرأة بالأطفال ! أتعرفين ماذا حدث ؟ فى الأول تكاثر الانسان ، وازدادت اعداده على يديها حتى أصبح عدد الرجال والنساء متساويا · عندئذ اقتصرت الطاقة التى تستخدمها المرأة فى تحقيق مهامها الطبيعية على جزء ضئيل جدا من الطاقة الهائلة التى تنازلت عنها للرجل عندما تحملت عنه الأعباء المضنية لعمليتى الحمل والولادة ·· هذه الطاقة الهائلة ذهبت الى عقل الرجل وعضلاته ، فأصبح ــ من الناحية الجسدية ــ قويا جدا بحيث أصبحت هى عاجزة عن السيطرة عليه · أيضا أصبح جامح الخيال ، نشيط العقل ، لا يقنع بمجرد عملية التكاثر الذاتى لجنسه

البشرى ، ومن ثم ابتكر الحضارة ، دون أن يستشير المرأة ، بل واستخدمها فى أعماله المنزلية لا أكثر ولا أقل ٠

آنا : صحيح ٠٠ صحيح ٠

الشيطان : نعم ٠٠وهذه ال ٠٠ الحضارة ٠٠ ما هى حكايتها ؟

دون جوان : الحضارة ، بعد كل شىء ، هى الاسفين الذى تستطيع أنت ان تبث فيه كل ألاعيبك الشيطانية ٠ لكن الحضارة كانت ، وقبل كل شىء ، محاولة قام بها الرجل كى يجعل من نفسه شيئا أكبر من مجرد وسيلة لتحقيق أهداف المرأة ٠ وبمرور الوقت ، لم تقتصر الجهود الدائبة للحياة على مجرد المحافظة على نفسها وحسب ، بل أنها تمخضت عن اقامة تنظيم أكثر سموا ، وعن وعى كامل بالذات ومن ثم تمخضت هذه الجهود عن صراع حضارى بين قوى الحيـاة ناحية وبين قوتى الموت والغناء من الناحية الأخرى ٠ ولقد كسبت الحياة معظم جولات هذا الصراع ، الذى لا تزيد معاركة عن كونها مجرد أثام ٠٠ بالضبط كما يحدث فى المعارك الحربية الحقيقية ، وبصرف النظر عن جميع القادة ، ورغم أنفهم ٠

التمثال : هذا الاسفين موجه لى أنا ٠ ما علينا ٠٠ أكمل ٠ أكمل ٠

دون جوان : بل هو خازوق فيمن هم أكبر منك بكثير يا سيادة القائد ٠ لكنك لا تنكر أن الجنرال الغبى لا يستطيع الانتصار فى الحرب الا اذا كان قائد لأعداد أكثر منه غباءا ٠

التمثال : (بجدية) بالضبط يا « جوان » ٠٠ بالضـبط ٠ الحظ يخدم الحمير أحيانا ٠

دون جوان : اذن نستطيع القول بأن قوة الحياة كانت دائما غبية ، ولكن ليس بغباء قوتى الموت والغناء ٠٠ بالعكس ، كانت هاتان القوتان دائما تحت سيطرة قوة الحياة ٠ وهكذا كسبت الحياة الجولة فى النهاية ٠ ان ما نملكه من رغبة جامحة الى حب البقاء ليتضاءل أمام الفحولة الغامرة التى نستطيع انتاجها ٠ ان خلود أحد أشـكال الحضارة يستطيع انتاج أفضل أنواع المدافع ، وعندئذ تتأكد الحاجة الى توفير القناصين المهرة ٠

الشيطان : بالضبط ٠٠ الخلود ، ولكن ليس خلود أفضل وسائل الحياة فعالية ، بل أفضل وسائل الموت فاعلية ٠ انت دائما تعود الى الرأى

الذى قلت أنا به ، رغم محاولاتك للتهرب والمراوغة والسفسطة وهذه الخطب الطويلة المملة التى تعذبنا بها ٠

دون جوان : أوه ٠٠ تعالى هنا ! أين الذى بدأ القاء الخطب الطويلة ؟ على أية حال ٠٠ اذا كنت قد تفوقت عليك فى الذكاء فبوسعك ان تتركنا وتذهب الى حيث الحب والجمال وغير ذلك من مشاغلك المفضلة ٠

الشيطان : (يشعر بالاهانة) « دون جوان » ٠٠ غير معقول ! ٠ اننى أركب نفس الطائرة العبقرية التى تركبها أنت ٠ تلك مسألة لا يفهمها غيرى ٠ أستطيع مناقشتك بصراحة ، بل وأستطيع تفنيد آرائك ٠٠ دعنا نتناقش لمدة ساعة أخرى اذا أردت ٠

دون جوان : لا مانع ٠٠ هيا ٠

التمثال : بشرط ألا تصل بالمناقشة الى موقف محدد يا «جوان» ٠ ومادمنا فى هذا المكان ، حيث لا وسيلة لقتل الوقت ، فلنتقتل الخلود ٠٠ هيا ٠

دون جوان : (نافذ الصبر) موقفى أنا ، أيها العجوز ذو الرأس الرخامية . يعتبر خطوة ايجابية فى اتجاهك أنت ٠ هل تتفق على أن الحياة هى الطاقة التى انتجت ذلك العدد الذى لا يحصى من التجارب التى تهدف الى تأصيلها ؟ هل تتفقون معى على أن ذلك الفيل الضخم الذى انقرض من سطح الأرض ، والانسان والفأر والبهضم والذباب والبراغيث وقساوسة الكنيسة ـ كلهم نجحوا فى تحويل تلك الطاقة الخام الى ايجاد أفراد أرقى وأرقى ، بحيث أصبح الفرد الأمثل هو ذلك : المطلق القدرة ٠٠ المطلق العلم ٠٠ الشديد العناد ٠٠ المطلق الكمال ٠٠ المطلق العلم ـ الحكيم ٠٠ الذى يقدر نفسه حق تقدير ٠ وباختصار ، الاله ؟

الشيطان : اوافقك ، لمجرد الرغبة فى الجدل ٠

التمثال : وأنا أوافق ، ولكن لتجنب الخوض معك فى الجدل ٠

آنا : أما أنا ، فبكل تأكيد لا أوافق ٠٠ خصوصا من أجل قساوسة الكنيسة ٠٠ من فضلكم لا تدخلوهم فى المناقشة ٠

دون جوان : « آنا » ٠٠ لقد قلت ذلك من أجل الجناس اللفظى فقط . ولذلك لن أشير اليهم مرة أخرى ٠ والآن ، وبعد هذا الاستثناء الذى تبدين ، ألا تتفقين معى فى أن الحياة لم تنجح فى محاولتها الوصول

الى الألوهية من خلال الجمال والكمال الجسدى ؟ سبب ذلك أن الطيور ــ كما فى هاتين الحالتين وكما قال صديقنا « ارستوفان » منذ زمن طويل ، يتفوقون على الانسان جدا جدا بقدرتها على الطيران وبجمال ريشها ٠٠ وأنا أضيف الى ما قاله « ارستوفان » بأنها تتفوق على الانسان بالشاعرية الطاغية فى علاقاتها العاطفية وأوكارها الجميلة ٠ هنا يتعذر على المرء أن يفهم كيف تستطيع الحياة ــ التى تستخدم وسيلتى الجمال والحب فى انتاج مخلوقاتها ــ أن تعاود الانتاج من جديد فتنتج الفيل الضخم والقرد القبيح الشكل : ذلك الذى نعتبر نحن أحفاده ؟

آنا : « أرستوفان » كان وثنيا ٠٠ وأخشى أن تكون أكثر منه كفرا يا « جوان » ٠

الشيطان : هل تريدين القول بأن الحياة تتجه الى الضخامة والقبح ؟

دون جوان : لا ٠٠ أيها الشيطان اللعين ٠٠ وألف مرة لا ٠٠ بل اتجهت الحياة الى انتاج العقول ٠٠ أعظم ماسعت اليه من أهداف ٠٠ ذلك العضو الذى لا نحقق به الوعى بالذات فحسب ، بل وفهم الذات أيضا ٠

التمثال : هذه ميتافيزيقا يا « جوان » ٠ لماذا يريد الشيطان (يخاطب الشيطان) معذرة أيها الشيطان ٠

الشيطان : لا تقل هذا يا رجل ٠ اننى أسعد دائما بذكر اسمى ، لأن ذلك يعتبر احتراما وتقديرا كبيرا لشخصى ٠٠ فى خدمتك أيها القائد ٠

التمثال : شكرا ٠٠ هذا لطف منك ٠ اننى لا أستطيع التخلص من أسلوبى العسكرى فى الكلام ، حتى عندما أكون فى الجنة ٠ ماأردت سؤالك عنه يا « جوان » هو : لماذا ترهق الحياة نفسها بالحصول على العقل ؟ ٠ لماذا تريد أن تفهم نفسها ؟ لماذا لا تقنع باسعاد نفسها وحسب ؟

دون جوان : لأنه بدون العقل ، تستطيع ــ يا سيادة القائد ــ أن تسعد نفسك ، ولكن دون أن تدرك انك فعلا سعيد ، ومن ثم تفقد كل احساس بالسعادة ٠

التمثال : مضبوط ٠٠ مضبوط جدا ٠ أنا أقبل بالعقل ، ولكن لمجرد الاحساس بأننى أريد أن أسعد نفسى ٠ لا أريد أن أفهم لماذا ٠٠

الواقع اننى لا أميل الى محاولة فهم الأسباب • تجربتى الخاصة تقول ان شهوات الانسان لا تحتمل التفكير فى كنهها وأسبابها •

دون جوان : لهذا السبب لا تنتشر العبقرية بين النـاس • أما بالنسبة للحياة •• تلك القوة الكامنة من وراء الانسان ، تصبح العبقرية ضرورية ، لأن الانسان بدونها ينزلق الى الهلاك •• بالضبط كما استطاعت الحياة ، بعد عصور ودهور من الكفاح ، أن تنتج ذلك العضو الجسدى المدهش وهو العين ، حتى يستطيع أن يرى بها طريقه وماذا يفيده وماذا يتهدده بالخطر ، وبذلك يتجنب آلاف الأخطار التى أدت الى القضـاء عليه من قبل • وهكذا تقوم الحياة الآن بانتاج عقل لتلك العين ، لا لترى به العالم الفيزيائى فحسب ، ولكن لتدرك هدف الحياة ذاتها ، وبذلك تساعد الفرد على العمل لتحقيق هـذا الهدف بدلا من تعويقه وتشـتيته بتلك الاهـداف الشخصية ضـيقة الأفق التى يعانى منهـا الانســان فى الوقت الحاضر • واذا استمرت الحال كما هى الآن فسيبقى هنـاك نوع واحد من الناس هو الذى تتوفر له السعادة الدائمة وفى كل المعارك المحتدمة حول الأوهام والاهتمامات الجادة على السواء ، وسيظل نصيبه من العالم أجمع هو الاحترام والاكبار •

التمثال : طبعا تقصد حامل السلاح •

دون جوان : أيها القائد •• أنا لا أقصد حامل السـلاح •• لأن المقاتل اذا اقترب من هذه الحالة ، فان العالم كله يوصد باب العاطفة فى وجهه ، ويلملم بنات حواء من طريقة • أبدا ، أبدا •• أنا لا لاأغنى للسلاح ولا للأبطال ولكن لرجل الفلسفة •• ذلك الذى يتأمل •• يبحث لاكتشاف الوسائل التى يستطيع بها تحقيق تلك الرغبة ، ويعمل لتحقيق تلك الرغبة بالوسائل التى استطاع اكتشافها • وأنا ـ بين جميع الرجال ـ أقول : لقد تعبت •• اعانى اخفاقات معذبة • عندما كنت أعيش فى الدنيا ، كان الاساتذة على اختلاف تخصصاتهم ، يفتشون فى مشاعرى بحثا عن أى ظاهرة مرضية فى نفسى يستطيعون التركيز عليها • حذرنى أساتذة الطب كى أفكر فيما يجب على عمله للحفاظ على جسدى سليما ، وقدموا لى أدوية وهمية لأمراض وهمية •• فأجبتهم باننى لسـت مريضـا بالوهم فقالوا اننى « أبو جهل » وذهبوا •• أما أساتذة الدين فقد أنذرونى بما يجب على عمله لانقـاذ روحى •• لكننى قلت لهـم أن مرضى بالوهم الروحانى لا يزيد عن مرضى بالوهم الجسمانى ، ولذلك

لم تزعجنى نصائحهم فوصمونى بالالحاد ومضوا لحال سبيلهم وبعد هؤلاء وهؤلاء جاءنى أحد الساسة يقول ان الهدف الوحيد الذى تسعى الطبيعة لتحقيقه هو مســـاعدته على النجاح فى انتخابات البرلمان ، فأجبته بأننى لا يهمنى دخوله البرلمان من عدمه ، فوصفنى بأننى لست سياسيا ، ومضى • ثم جاءنى رجل رومانسى •• فنان •• يحمل أغانيه الغرامية ولوحاته وقصائده الشعرية ، وبجواره استمتعت بسعادة غامرة سنوات عديدة ، وحققت من ورائه بعض الفوائد •• وسبب ذلك اننى هذبت عواطفى من أجله •• علمتنى أغانيه أن أحسن الاستماع ، وتعلمت من لوحاته أن أنظر الى الناس جيدا •• أما قصائده فقد دربتنى على الاحساس العميق بالآخرين ، لكنه قادنى فى النهاية الى تقديس المرأة •

آنا : « جوان » !

دون جوان : أجل •• كنت أعتقد أن صوت المرأة هو كل الموسيقى التى تنضج بها الأغانى ، وأن فى طلعتها جمال الرسم كله ، وفى روحها عواطف الشعر كله •

آنا : ثم أصبت بخيبة أمل •• حسن •• لكن هل هو ذنب المرأة أن تظن بها كل أوجه الكمال هذه ؟

دون جوان : نعم ــ الى حد ما •• لأنها استطاعت ، وبدهاء غريزى ، أن تظل صامتة طول الوقت ، فى حين مضيت أنا فى تمجيدها ، وأن تفند آرائى وأفكارى ومشاعرى بالنسبة لها ، والآن ، أصبح صديقى الرومانسى بائسا لا يجرؤ على الاقتراب من هؤلاء النسوة اللاتى كن على جانب من الجمال والرقة ، لكنهن لم يرتفعن الى مستوى المثل الأعلى الذى يحلم به والغريب انه دخل القبر وهو مؤمن بصدق أحلامه عن المرأة • أما أنا فقد كانت الطبيعة والظروف فى صالحى •• كنت نبيل المنشأ ، غنى ، واذا لم يجلب شخصى السرور الى قلب النساء ، فقد كانت قدرتى على المناقشة والحوار تعوضنى ذلك النقص فى شـــخصى •• الغريب أننى كنت محظوظا فى الاثنين : الشخصية والحوار •

التمثال : مغرور ! •

دون جوان : فعلا •• حتى غرورى كان هو الآخر لذيذا • يا عزيزى ، لقد اكتشفت اننى اذا مسست خيال المرأة فانها تجعلنى أقنع نفسى بأنها تحبنى • أما اذا انتصرت عليها فى مناقشة احدى القضايا فانها

لا تقول : « أنا سعيدة ·· لان حبيبى مقنع » ، أبدا ·· اولا تقول ·· « أخيرا انزاحت العراقيل » ·· ثم تقول : « متى أراك ثانية » ؟··

آنا : هكذا يقول الرجال دائما ·

دون جوان : أعترض ·· أنا لم أقل ذلك أبدا · بل هكذا تقول النساء · ما علينـا ·· لقد ازعجتنى هاتان الجملتان دائما ·· لأن الجملة الأولى تعنى غريزة المرأة ستسقط تحصيناتى كلها ، ثم تحتل قلعتى ·· واما الجملة الثانية ، فتعلن بصراحة أنها قد اسـتحوذت على تماما فأصبحت ملكا خاصا بها ·· وقتى كله تحت أمرها ·

الشيطان : من هنا جاءت دعوتك لأن يسـتشـير الانسـان قلبه فى كل ما يعرض له من أمور ·

التمثال : (يهز رأسه) عار عليك أن تبوح بشىء قالته لك امرأة يا «جوان»

آنا : (بقسوة) فعلا ·· وان يظل سرا مقدسا محجوبا عنك انت الآخر ·

التمثال : فعلا ·· هكذا يقول النساء دائما · لم أفكر فى العقبات أبدا ، ولكن فى الصـدمة الخفيفة التى يتلقاها الطرف الآخر ، هذا ان لم تكن الصدمة قد حطمته تماما ·

دون جوان : بعد ذلك ، السيدة ·· السيدة التى كانت فى البداية سعيدة جدا ومطمئنة جدا جدا ، تصبح بعد ذلك قلقة ·· مشغولة بى ·· تتجسس على ·· تتآمر ضدى ·· تطاردنى ·· تراقبنى ·· تنتظرنى لا لشىء الا لتتأكد أن ضحيتها لا تزال فى قبضـة يدها · هـذه الضحية هى أنا ·· فاهم ؟ لم أراهن على هذا ، بل راهنت على شىء عادى وطبيعى جدا ، لكنه فى النهاية ليس هو روح الموسـيقى أو الرسم أو الشعر أو المتعة التى تتجسد فى جسد المرأة الجميلة · هربت منه ·· هربت منه كثيرا · والحق أقول ، ان شهرتى قد اعتمدت كثيرا على هروبى منه ·

آنا : بل تقصد فضائحك ·

دون جوان : أنا لـم أهرب منـك ·· فهـل تلومينني لأننى هربت من الأخريات ؟

آنا : يا رجل استحي ·· أنت تخرف · انك تتحدث مع امرأة عمرها الآن سبعة وسبعين عاما · ولو ان الفرصة سنحت لك لكنت هربت منى أنا الأخرى ، فقط لو أننى أتحت لك هذه الفرصة · ربما كنت

معك سهلة كغيرى من النســـاء ٠ واذا لم يكن الرجال مخلصـون لبيوتهم وواجباتهم فيجب أن يجبروا على ذلك ٠ اسمح لى ، انتم ٠٠ كلكم ٠٠ تريدون الزواج من سيدات يجسدن عندكم الموســيقى والرسم والشعر ٠ وللأسف ، لن تحققوا أمانيكم أبدا لسبب بسيط ٠٠ لأن هؤلاء النساء غير موجودات ٠ واذا لم يكن اللحم والدم على مزاجكم فبوسعكم الاستغناء عن النساء ٠ هذا رأيى ٠ النساء بحاجة الى ازواج من لحم ودم ، وأنتم تنبذون الزوجات اللائى من لحم ودم (يبدو الشيطان مضطربا ، بينما تبدو الحيرة على وجه التمثال) كلكم ـ تقريبا ـ لا تفضلوا هذا النوع من النساء ٠٠ لكن هــذه هى الحقيقة ، واذا لم تناسبكم ٠٠ انبذوها ٠

دون جوان : سيدتى الحبيبة ٠٠ لقد عبرت عن قضيتى ضد الخيال فى عدة جمل قصيرة ، ولهذا السبب فقط أدرت وجهى لذلك الرجل الرومانسى ذى الطبيعة الفنية ٠ لقد شـــكرته لأنــه علمنى كيف استعمل عينى واذنى ٠٠ لكننى قلت له أن تقديسه للجمال وطلبه للسعادة وأحلامه عن « المرأة المثالية » تعتبر فلسفة حياة لا تساوى أكثر من « صفيحة زبالة » ، ولذلك سمانى ســفســطائى وتركنى ومضى ٠

آنا : يبدو أنك تعلمت أشياء كثيرة من عيوب المرأة ٠

دون جوان : صحيح ٠ كشفت أمامى كل وسائل التعليم ٠ آه يا أصدقائى عندما تسقط العراقيل لأول مرة ٠٠ يالها من لحظة مستنيرة رائعة ! أصبحت مستعدا لجنون الحب ٠٠ أن أسكر به وبكل أوهام الحب وأحلامه ٠٠ وللأسف الشديد ! ، لم تكن آرائى واضحة ، ولا كان نقدى عبثا ٠٠ أن أشد الناس خصومة لمعشوقتى لم يستطع الكشف عن عيوبها بنفس الدرجة من الوضوح الذى فضحت به نفســها أمامى ٠ بالعكس ٠٠ أنا لم أخدع ٠٠ أجريت العملية بدون «بنج» ٠

آنا : ولكنك « عملت العملية » وانتهينا ٠

دون جوان : هذا هو الاكتشاف الجديد ٠ حتى تلك اللحظة لم أكن قد فقدت احساسى بأننى سيد نفسى ٠ لم أخط خطوة واحدة قبل أن يبحثها عقلى ويقرها ٠٠٠ توصلت الى الاعتقاد بأننى مخلوق عقلانى جدا ٠٠ مفكر ! قلت كما قال ذلك الفيلسوف الأبله : « أنا أفكر ٠٠ اذن فأنا موجود » ٠ لكن المرأة علمتنى أن أقول : « أنا موجود ٠٠ اذن فأنا أفكر » ٠٠ ثم زدت عليها : « أنا أفكر أكثر ٠٠ اذن فأنا موجود أكثر » ٠

التمثال : هذا تفكير مغرق في التجريد والميتافيزيقا يا « جوان » • ولو انك اعتنقت هذا التفكير المادى وصغت اكتشافاتك هذه على هيئة « حواديت » مسلية تحكى عن مغامراتك مع النساء ، فان محاوراتك فى هذا الشأن تصبح سهلة التصديق والاتباع بعكس الحال فى آرائك المادية هذه •

دون جوان : اوف •• ماذا أضيف لأقوالى السابقة كى أجعلكم تفهمون ؟ ألا تفهم اننى عندما وقفت أمام المرأة وجها لوجه ، فان كل خلية فى عقلى الناقد الواعى قد حذرتنى بالهروب منها والخلاص بنفسى ؟ لكن اخلاقياتى قالت : لا •• ضميرى قال لا •• الفروسية والشفقة قالتا لا •• رأيى الواثق فى نفسى قال لا •• أما اذنى التى دربتها على سماع آلاف الأغنيات والسيمفونيات ، وعينى التى جربت النظر الى آلاف اللوحات •• عينى واذنى مزقتا صوتها وملامحها اربا اربا ، فحملت كل هذه التشبيهات اللغوية وهرعت بها الى أبيها وأمها •• قلت لهما رأيى فيها عندما تصل الى سن الثلاثين •• عندئذ رأيت الأسنان الذهبية فى فم الرجل الميت تلمع وهو يضـحك • فماذا فعلت ؟ •• قمت بعدة تجارب لدراسة تأثير كيمياء الروائح الغريبة على الأعصاب وفى تلك الساعة ضاعت منى احلام اليقظة الرومانسية ••• تلك التى وطئت بهـا وديان السـماء وانا مخلوق من عاج ومرجان لا يؤثر فيه الموت أو الزمن • تذكرت تلك الأحلام ، وعبثا حاولت الافلات من أوهامها ، لكنها الآن تبدو من أكثر الاختراعات عبثا •• أبدا لم تكن أحكامى خاطئة •• عقلى لا يزال يقول لكل شىء : لا •• وبينما كنت أبحث عن ألفاظ أعتذر بها للسيدة ، أمسكتنى الحياة وألقت بى بين ذراعيها ، كما يلقى الصياد بسنارته وقد علق بها سمكة يصطاد بها طائر البحر •

التمثال : يبدو أنك تورطت فى العلاقة دون أن تفكر فى كل هذه المسائل يا « جوان » • انت كغيرك من الأذكياء ، ذكاؤك أكبر من أن تستفيد به •

الشيطان : ألم تكن سعيدا بهذه التجربة يا سنيور « دون جوان » ؟

دون جوان : ســـعيد وبدون عقل •• نعم • لقد جعلتنى تلك اللحظة ، ولأول مرة ، أواجه نفسى • ومن خلال نفسى تعرفت على العالم كله •• فهمت ساعتها كم هو عبث أن نحاول فرض الظروف العادية على القوة الطاغية للحياة ، ولذلك رحت أبشر بأهمية التعقل ، والاختيار الواعى ، والفضيلة ، والشرف ، والعفة ••

آنا : أى كلمة ضد العفة تعتبر اهانة لى •

دون جوان : أنا لم أتعرض لعفتك أبدا ، لأنها تمثل عندى نموذج الزوجة والأطفال الاثنى عشر · ترى ، لو انك كنت واحدة ممن رفضت من النساء ، ماذا كنت ستفعلين أكثر من ذلك ؟

آنا : كنت أحصل على اثنى عشر زوجا دون أن أنجب طفلا واحدا · هذا ما كنت افعله يا « جوان » · وبهذا أحقق زيادة كبيرة لعدد الناس على وجه الأرض · أليس كذلك ؟

دون جوان : لا ·· لأنه رغم أن هذا هو الفرق الحقيقى بالضرورة ـ وأنا أعترف أن « الدونا آنا » قد اتجهت مباشرة الى النقطة الحقيقية فى الموضوع ـ الا أنه لا يمثل عندى أى اختلاف فى الحب أو العفة أو الوفاء ، لأن انجاب اثنى عشر طفلا من اثنى عشر زوجا ربما حقق زيادة كبرى لعدد الناس ، وبشكل أكثر فعالية مما فعلت انت · افرضى أن صديقى « اوتافيو » قد توفى وانت فى سن الثلاثين · عنـدئذ لن تظلى أرملة من بعده أبدا ، لأنك كنت رائعة الجمال · وافرضى أن خليفة « اوتافيو » قد مات وانت فى الأربعين ·· كنت ستكونين امرأة لا تقاوم أيضا ·· والمرأة التى تتزوج مرتين ، تتزوج ثلاث مرات اذا ترك لها العنان لذلك · ان قيام سيدة محترمة جدا مثلك بانجاب اثنى عشر طفلا من ثلاثة آباء مختلفين ليس شـــيئا مستحيلا ، وليس تهمة يدينها الرأى العام ·· مثل هذه السيدة قد تكون ـ فى نظر القانون أكثر احتراما من تلك الفتاة المسكينة التى تعودنا الالقاء بها فى بالوعة المجارى لمجرد أنها انجبت طفلا غير شرعى · ولكن هل تجرئين على القول بأن هذه الفتاة كانت أقل منك حبا للجنس ؟

آنا : بل كانت أكثر منى فضيلة ·· يكفينى هذا !

دون جوان : فى هذه الحالة ·· ما هى الفضيلة · اللهم الا الاتحاد التجارى للمتزوجين ؟ دعينا نعترف بالأمر الواقع يا عزيزتى « آنا » ·· ان قوة الحياة لا تحترم الزواج الا لأنه هو الوسيلة التى تستخدمها الحياة لانتاج أكبر عدد ممكن من الأطفال ، وتوفير أكبر قدر ممكن من الرعاية لهم · أما بالنســبة للشرف والعفة وغير ذلك من القيم الأخلاقية التى تتشدقين بها فان الحياة لا تكترث بها مطلقا · الزواج هو أكثر التشريعات الانسانية فسقا وانحلالا ·

آنا : « جوان » !!

التمثال : تمام !

دون جوان : أقول أكثر التشريعات الانسانية فسقا وانحلالا ، وهذا هو سر انتشـــاره بين النـــاس · المرأة التى تبحث عن الزوج هى أكثر الحيوانات المفترسة شراسة ووحشية · الخلط بين الزواج والأخلاق كان له أثره الكبير فى تصدع ضمير الجنس البشرى أكثر مما تفعل أى جريمة أخرى يرتكبها الانسان · تعالى يا « آنا » ·· لا تصدمك آرائى هذه · انت تعرفين ــ أكثر منا جميعا ــ أن الزواج هو فخ لاصطياد الرجل ·· فخ مطعم بالمشاعر الغريزية والمثالية المضللة · وعندما كانت أمك تجبرك ــ بسيل من السباب ، وأنواع العقاب ــ على أن تتعلمى عزف ست قطع موسيقية على البيانو ، ورغم أنها كانت تكره البيانو مثلك تماما وربما أكثر ·· فهل كانت تهدف الى أى هدف آخر غير الايقاع بخطابك وجعلهم يعتقدون أن الذى يفوز بك زوجة له انما يمتلك بذلك ملاكا يملأ عليه البيت نغما أو . على الأقل ، يعزف له بعد العشاء ويجعله ينام على أنغام الموسيقى ؟ أنت تزوجت من صديقى « اوتافيو » ·· حسن ، هل فتحت البيانو ولو مرة واحدة منذ جمعتكما الكنيسة يوم عقد القران ؟

آنا : انت غبى يا « جوان » ·· الشابة المتزوجة لديها ما يشغلها عن الجلوس أمام البيانو ، دون أن تسند ظهرها الى شىء ·· ولذلك تقلع عن عادة العزف عليه ·

دون جوان : لكنها لو كانت تحب الموسيقى فلن يشغلها عنها شىء · لا ·· صدقينى ·· كل ما هنالك أنها تستغنى عن الطعم بعد أن يكون الطير قد وقع فى الشبك ·

آنا : (بمرارة) أنا الأخرى أعتقد أن الرجال لا يلقون بأقنعتهم الا بعد أن يقع الطير فى الشـــبك ، وأن الزوج ليس مهملا أو أنانيا أو متوحشا ·· أبدا ، أبدا ·· أوه !

دون جوان : اذن ، ما معنى هذه الاتهامات ؟ ·· معناها ان البطل مخادع كبير كالبطلة بالضبط ·

آنا : كلام فارغ ·· معظم الزيجـــات كانت مريحة وموفقة فى كل شىء ·

دون جوان : فى كل شىء ؟ هذا كلام كبير يا « آنا » ·· تريدين القول بأن العقلاء يستفيدون من بعضهم البعض ؟ أرسلينى الى الســـجن ، وقيدينى بالسلاسل مع المجرم الذى يحمل الرقم التالى لرقمى فى السجن ·· عندئذ أستسلم لقدرى وأحاول التكيف مع واقعه قدر الامكان · يقولون ان مثل هذه العشرة الاضطرارية تكون ، فى أغلب

الأحوال ، عاطفية جدا ، ومعظمها – على أقل تقدير – محتمل ومنعم بالود .. لكن كل ذلك لا يجعل السلاسل والقيود من أدوات الزينة المرغوبة ، كما لا يجعل من السجن منزلا مريحا .. الذين يتحدثون عن فضائل الزواج وعفته .. والذين يشتهونه هم هم الذين يعلنون أنه اذا تحطمت السلاسل ، واذا أعطى السجناء حرية الاختيار فان الهيكل الاجتماعي كله سيتمزق اربا اربا .. لن تستطيعي قلب المناقشة على الوجهين . فاذا كان السجين يعيش فى السجن سعيدا هانئا فلماذا يغلقونه عليه ؟ .. واذا لم يكن سعيدا فلماذا يتظاهر بذلك ؟

آنا : على أية حال ، دعني أتخذ مظهر المرأة العجوز ، واخبرك بأن الزواج يؤدى – من الناحية السطحية – الى تكاثر الناس فى العالم ، وهذا ما لا يفعله عدم الزواج .

دون جوان : وكيف يكون موقفك اذا جاء وقت يختلف تماما مع آرائك هذه ؟ .. ألا تعلمين أنه حيث توجد الرغبة تتيسر الوسيلة ؟ وان رغبة الانسان فى فعل شيء ما ، ستصل به فى النهاية الى اكتشاف وسيلة يفعل بها هذا الشيء ! حسن .. لقد بذلتن كل مافى وسعكن أيتها السيدات الفاضلات ، ومعكن غيركن ممن يتصرفن بنفس الطريقة .. بذلتن كل جهد متاح كى تربطن عقل الرجل تماما بالحب الشريف بصفته الخير المطلق ، ولكى تصل به أوهام الحب الشريف والجمال والسعادة الى الوقوع فى أسر السيدات الجميلات الرقيقات الطاهرات العاطفيات . لقد عامتن النساء أن يجعلن قيمة الشباب والصحة والمظهر والصفاء متفوقة على غيرها من الأشياء .. حسن .. أى مكان يبقى للأطفال اذ يبكون ، ولهموم البيت ، فى هذه الجنة الرائعة من الأحاسيس والعواطف ؟ أليست هذه هى النهاية الحتمية التى تضعها البشرية للعقل الانسانى ؟ .. اخترعى لى وسيلة أستطيع بها الحصول على الحب والجمال والخيال والعاطفة والغريزة ، دون أن أتعرض لهذه العقوبات القطيعة المدمرة ، أو أن اضطر لدفع ثمنها الباهظ ومتاعبها ومحاكماتها وأمراضها وأجزانها ومغامراتها التى تصل بالمرء الى الموت وما يرافقه من خدم وحشم وممرضات وأطباء ومدرسين .

الشيطان : كل هذا موجود هنا .. فى مملكتى هذه يا « دون جوان » .

دون جوان : نعم ، ولكن على حساب الموت . والانسان لن يقبلها مقابل هذا الثمن . انه ينشد المتعة الرومانسية الموجودة فى جحيمك ..

حسن ٠٠ الوسائل متوفرة ٠٠ لن يفشل العقل مادامت الارادة قوية واعية ٠ سيأتى يوم تجد فيه الشعوب العظيمة نفسها وقد تضاعفت أعدادها من احصاء الى احصاء ٠٠ عندما يرتفع ثمن الفيلا المكونة من ست حجرات عن سعر بيت العائلة ٠٠ عندما يسعى الفقراء المحطمون الأشرار ، ومعهم الأغنياء الأغبياء الأتقياء الى الحيلولة دون انقراض الجنس البشرى ، وبطريقة واحدة فقط هى : افساد سلالته ٠٠ يحدث هذا بينما يجتمع الأتقياء والأنانيون والطموحون والخياليون والشعراء وعشاق المال والراحة وعبيد النجاح والفن والحب ٠٠ عندما يجتمعون جميعا على معارضة قوة الحياة بوسيلة العقم ٠

التمثال : هذا كلام رائع يا صديقى العزيز ٠٠ لكن لو أنك عشت فى عصر « آنا » ، أو حتى فى عصرى أنا ، لعرفت أن الذين يتحررون من مخاوف الفقر وكثرة العيال وغيرها من المشاكل العائلية ٠٠ الذين ينذرون أنفسهم للتعايش مع هذه المشاكل فى سلام ، وذلك بتحرير عقولهم من مخاوف كبر السن والاكتئاب والعجز الجنسى والموت ٠٠ نعم ٠٠ العامل الذى لا ينجب أطفالا يتألم من اهمال زوجته له ومن الحاحها الدائم على طلب المتعة واللهو ، بطريقة تفوق دلالها عليه لو أنها أنجبت له عشرين طفلا ، لكننا لا ننكر أن ما تحسه الزوجة من تعاسة وقلق يفوق ما يحسه الزوج بكثير ٠٠ لقد نلت حظى من اللهو والمتعة ٠٠ كنت ــ كأى شاب فى مثل عمرى آنذاك ــ أحظى باعجاب السيدات ٠ أما الآن ، وقد أصبحت تمثالا ــ فان ما أحظى به هو اعجاب نقاد الفن ! هه ! ٠ لكننى أعترف أننى لم أجد فى العالم شيئا يمكن أن أفعله غير الانغماس فى اللذات ، الأمر الذى كاد يدفعنى الى الانتحار ٠ فعندما تزوجت من أم «آنا» ، أو هكذا أظن ، أقول ٠٠ وللأمانة ٠٠ أقصد ٠٠ أقول ٠٠ عندما قبلتنى أم « آنا » زوجا لها ، أدركت اننى قد زرعت الشوك فى وسادتى ، وأن الزواج يشبه ــ فى رأيى ــ ذلك الضابط الذى يمشى مختالا بنفسه ، والذى لم يختف من الدنيا حتى الآن ٠٠ نعم ٠٠ كان الزواج عندى هو الهزيمة والحصار ٠

آنا : (بخجل شديد) أبى !

التمثال : يؤسفنى أن أصدمك بكلامى هذا يا عزيزتى ٠ لكن مادام «جوان» قد مزق أستار الحياء فى مناقشتنا ، فلا بأس من الجهر بالحقيقة المرة ٠

أنا : يا للعار ! ·· وبالطبع كنت أنا واحدة من الأشــواك التي تتحدث عنها ، أليس كذلك ؟

التمثال : أبدا أبدا ·· بل كنت زهرة يافعـــة ·· لكنك تعلمين أن أمك وحدها هى التي عانت من مشاكلك ، ولست أنا ·

دون جوان : سيادة القائد ، اسمح لى بسؤال : لماذا تركت الجنة وجئت هنا ، حيث الانغماس في اللذات ·· فى المتعة الحسية التى تعترف بنفسك أنها كادت تدفعك الى الانتحار ذات يوم ؟

التمثال : (يفاجىء الجميع) تلك هى الحقيقة للأسف ·

الشيطان : (بانزعاج) ماذا ؟ ·· تسحب كلامك ؟ · (يخاطب دون جوان) اذن ، فكل ما تتفلسف به من آراء ومبادىء لم يكن غير قناع تخفى به الدعاية للدين ! (للتمثال) هل نسيت تلك الظلمة الكئيبة التى أرحتك منها بقبولى لوجودك معنا هنا ؟ (ل : دون جوان) وانت ·· هل تظن أن آراءك حول اقتراب البشرية من العقم والفناء يمكن أن يؤدى الى شيء أفضل من الاســـتمتاع بالمباهج التى يتيحها الفن والحب ·· تلك المباهج التى تعترف بنفسك أنها قد هذبت سلوكك وسمت بخلقك وطورت أفكارك ؟

دون جوان : انا لم أقل بأن البشرية فى طريقها الى الفناء ·· لأن الحياة لا يمكن أبدا أن تسعى الى افناء نفسها ، ســـواء عندما كانت على حالتها البدائية العمياء أو فى أى من أشكال التطور التى بلغتها ·· لكننى لم أكن قد أنهيت كلامى عندما قاطعنى سيادة القائد ·

التمثال : لأنك لا تتعب من الكلام أبدا يا عزيزى · أنت مغرم جدا بسماع صوتك وانت تتكلم ·

دون جوان : صحيح ! ·· ومادمت قد احتملت الكثير من قبل ، فسأحتمل حتى النهاية ·· ذلك أنه من قبل أن يصبح هذا العقم آكثر من مجرد احتمال نتنبأ به ، كان رد الفعل قد بدأ فعلا · ان الهدف الأساسى لتربية الجنس البشرى ·· أى تربيته وصولا الى الدرجات السامية التى تحقق وجود « السوبرمان » (١) ·· هذا الهدف الذى يختبىء

---

(١) آثرنا اســـتخدام اصطلاح « الســـوبرمان » رغم امكانية ترجمته فى العربية « بالانسان الأعلى » وذلك لسببين : أولهما تداول مصطلح « الســوبرمان » بين كل من له معرفة بفلسفة « نيتشــه » والمام بأدب برناردشو · وثانيهما هو لجوء بعض كبــار مفكرينا الى استخدامه كما فعل أستاذنا العقاد فى كتابه برناردشو ·

الآن وراء سحابة كثيفة من الحب والخيال والحكمة والعزيمة ، سوف يتمخض عن هدف واضح وضوح الشمس ٠٠ هدف لا يمكن الخلط بينه وبين تقديرنا للخيالات الفردية أو أحلام الأولاد والبنات عن فكرة النعيم . أو حاجتهم الشائنة للتعايش مع العواجيز الشائخين ، لا لشيء سوى لأنهم مجبرون على معايشتهم أو لأنهم يخططون لابتزاز أموالهم ٠ ان خدمات الزواج ٠٠ تلك التى تقدمها كنائس الغوغاء لن تختصر أو يحد من انتشارها كوسيلة غير محترمة لابرام علاقة الرجل بالمرأة ٠٠ بل ان الحكمة الواعية والوقار وسلطة الاعلان عن الهدف الحقيقى للزواج ٠٠ كل ذلك سيصبح شيئا محترما ومقبولا ٠٠ يحدث هذا فى الوقت الذى تتنكر فيه هذه الكنائس لنذورها وعهودها الرومانسية ومشاركتها لنا طوال حياتنا . منذ التعميد وحتى الوفاة ، رغم أنها كلها تفاهات لا تطاق ٠ سنيورا ٠٠ اتركى لأبناء جنسى حرية الاعتراف بأنهم يدركون ان العلاقة الجنسية ليست هى العلاقة الشخصية . ولا هى علاقة الصداقة مطلقا ٠

آنا : ليست علاقة شخصية أو علاقة صداقة ؟ اذن فأى علاقة أخرى تفوقها ذاتية وتقديسا !

دون جوان : قدسيها كما تشائين يا « آنا » ٠٠ لكنها ليست صداقة شخصيته بأى حال ٠ ان علاقتك بالله هى العلاقة المقدسة الوحيدة . فهل تجرئين على القول بأنها علاقة صداقة شخصية تفوق وتبتلع كافة الاعتبارات الشخصية وتتحرر من جميع العلاقات الذاتية ٠ قد ينبس الطرفان لأحدهما الآخر بكلمات غريبة ، ويتكلمان لغتين مختلفتين ، أو يختلفان فى الجنسية واللون أو فى السن والمركز الاجتماعى ٠٠ باختصار قد لا تربط بينهما أية صلة كانت ، اللهم الا احتمال حدوث الاخصاب ٠٠ ذلك الدافع الذى من أجله تلقى قوة الحياة بأحدهما فى أحضان الآخر بمجرد حدوث النظرة الأولى ٠ ألسنا ننكر هذا الدافع عندما يوافق الآباء على ابرام عقد الزواج للأبناء دون سؤال المرأة عن رأيها فى زوجها ؟ ٠٠ ألم تعربى مرارا عن احتقارك للجانب اللا أخلاقى فى الشعب الانجليزى الذى كان النبلاء من رجاله ونسائه يتعارفون ويتبادلون الحب مع بعضهم البعض بالضبط كما يفعل المزارعون البؤساء ؟ ورغم ذلك كان الفلاحون يمتازون على النبلاء بأن الرجل يعرف الكثير عن عروسه من قبل أن يربط بينهما عقد الزواج ؟ أجل ٠٠ لا تنكرى انك مستعدة للوقوع فى حب أى دكتور أو محامى لا تربطك به الا مجرد

معرفة عابرة ٠٠ بل انك مستعدة لأن تقعى فى حبه بطريقة أسهل وأسرع كثيرا مما تقضين من وقت فى محاولة اقناعه بأن يكون الطبيب أو المحامى الخاص بأسرتك ٠

آنا : فعلا يا « جوان » ٠ فلسفتك الداعرة هذه ليست غريبة علينا ٠ انت دائما تتجاهل دوافع المرأة ٠

دون جوان : الدوافع ، نعم ٠٠ لأنها تضع قبضتها الوحشية حول رقبة الرجل ٠ لكنك ، بالتأكيد ، لا تعتبرين هذه الرابطة علاقة عاطفية ٠٠ بالضبط كما تصفين ارتباط السجان بالسجين بأنه علاقة عاطفية ٠

آنا : اسمع ! ٠ يجب أن تعترف بأن الزواج شىء ضرورى ، رغم كل آرائك التى تقول بأن الحب هو أضعف العلاقات الانسانية جميعا ٠

دون جوان : ولماذا لا تقولين أن الحب هو أعظم علاقة انسانية على الاطلاق ؟ بل وأعظم كثيرا من أن يكون مجرد قضية شخصية ؟ هل كان أبوك يستطيع أن يقدم لبلاده خدمة وطنية لو أنه رفض قتل الأعداء الأسبان دون أن يشعر تجاههم بكراهية شخصية ؟ هل تخدم المرأة بلادها اذا رفضت الزواج من انسان لا تحبه بصفة شخصية ؟ ٠٠ ليست هذه هى القضية كما تعرفين ٠ المرأة الارستقراطية تتزوج بنفس الطريقة التى يحارب بها الرجل الارستقراطى ٠٠ أى وفقا لاعتبارات سياسية وعائلية ٠ وليس لاعتبارات شخصية ٠

التمثال : (بتأثر) ملاحظة ذكية جدا يا « جوان » ٠ سأفكر فيها ٠٠ انت مستودع أفكار بحق ٠ كيف توصلت الى هذه الفكرة ؟

دون جوان : تعلمتها بالخبرة ٠ عندما كنت أعيش على وجه الأرض ، كنت أغازل اولئك السيدات اللاتى صنعن منى بطلا لأسطورة شعبية مشهورة ، ورغم أنهن كن من السيدات الملعونات على مستوى العالم كله ، فاننى لم ألق منهن هذه المعاملة التى ألقاها منك الآن ٠ قد تقول السيدة أنها تقبل مبادرتى بمغازلتها بشرط أن يكون غرضى شريفا ٠ وعندما أسألها عن معنى هذا الشرط ، اكتشف أن معناه انها تظننى اخطط لاغتصاب أملاكها اذا كانت من أصحاب الأملاك ٠ أو سلب شرفها اذا لم تكن غنية ، أو أننى أتمنى الحياة بجوارها ومناقشتها وأخذ رأيها فى كل شىء ٠٠ عندئذ تحلف لى بأغلظ الايمان بأنها ستكون سعيدة بجوارى وبأنها ستبر بأيمانها

كلها بشرط أن أدير ظهرى لاى امرأة أخرى غيرها ٠٠ أنا لم أعترض على هذه الشروط لأنها مستبدة ولا انسانية ٠٠ بل ان تطرف هذه الشروط ومحاصرتها لى هو الذى أزعجنى ٠٠ لذلك أجبت . بحياد تام وصراحة مطلقة ، بأن هذه الأشياء لم تتطرق الى ذهنى أبدا . وأنه ما لم تكن شخصية المرأة وذكاؤها على مستوى شخصيتى وذكائى ــ ان لم يكونا أفضل ــ فان الكلام معها يعتبر ــ بالتأكيد ــ تحقيرا لها ٠٠ بالضبط كما يعتبر تقربها منى وسيلة تحاول بها تضليلى ٠ كذلك أجبت بأن معاشرتها الدائمة ، وعلى ضوء كل ما عرفت عنها . ستصبح بالنسبة لى شيئا معذبا لا يطاق . وبأننى لن أفصح عن مشاعرى الحقيقة الا بعد أسبوع من التفكير ، وربما لا أفصح عنها حتى آخر يوم فى حياتى ، وبأن خضوعى لهذه المشاعر سيعزلنى عن المناقشات الطبيعية الحرة ، ومن ثم يقاطعنى نصف المخلوقات البشرية التى أنتمى اليها ٠٠ كل هذا أصبحت معرضا له . والا حلت بى لعنة الكتمان ، ومن ثم تصبح مغازلتى لها ــ فى النهاية ــ منفصلة تماما عن أى من هذه المسائل ، فتصبح وكأنها نتاج طبيعى لغريزتى الرجولية فى مواجهة أنوثتها ٠٠ وينتهى الأمر ٠

آنا : تقصد أنها كانت غريزة لا أخلاقية ٠

دون جوان : الطبيعة ــ يا سيدتى العزيزة ــ هى بالضبط كل ما تصفينه انت بأنه لا أخلاقى ٠ اننى أخجل منها . لكننى لا أستطيع مقاومتها ٠ الطبيعة هى القواد ٠٠ والزمن هو هادم اللذات ٠٠ والموت هو القاتل ٠ كنت ، طول الوقت ، أتحمس لهذه الحقائق ، وأقيم أفكارى على أساس فهمى لها ٠ أما أنت فكنت تفضلين التودد لهؤلاء الشرور الثلاثة عن طريق الاعتراف بطهرهم وعفتهم واعتدالهم ورقة عواطفهم ، ومن ثم تقيمين أفكارك على هذه الأوهام ٠ وبعد ذلك ، ألا يدهشك عدم تأثير الأفكار فى الناس ؟

التمثال : وماذا اعتاد النساء أن يقلنه يا « جوان » ؟

دون جوان : اوه ! ٠ تعالى ٠٠ الثقة من أجل الثقة ٠٠ أخبرنى أنت أولا ٠٠ ماذا اعتدت أن تقول للنساء ؟

التمثال : أنا ؟ اوهوه ! ٠٠ كنت أقسم لهن أن أظل مخلصا حتى آخر يوم فى حياتى ، وأننى سأموت اذا رفضنى ، وأن أى امرأة أخرى لن تحتل عندى نفس المكانة التى تحتلها هى ٠٠

آنا : هى ؟ ٠٠ من هى ؟

التمثال : كل امرأة صادفتني فى ذلك الوقت يا ابنتي . كانت عندى كلمات محددة أقولها فى كل مناسبة . احداهن قابلتها وأنا فى الثمانين من عمرى .. شعرة بيضاء واحدة من رأس المرأة التى أحببتها تجعلنى أرتجف أكثر مما أفعل أمام أكبر خصلة ذهبية من شعر أى سيدة جميلة شابة .. أما المرأة الأخرى فكانت هى التى لم أقبل أبدا أن تكون أم أولادى أى امرأة غيرها .

دون جوان : يا لك من وغد عجوز

التمثال : « بثبات » مطلقا .. لأننى ، فى تلك اللحظة ، كنت أفكر فيها بكل ما أملك من قوة روحية .. كان لى قلب .. لم أكن مثلك . وهذا الاخلاص هو الذى حقق لى النجاح فى حياتى .

دون جوان : الاخلاص ! .. أن تكون غبيا بحيث تصدق هذا الكذب المخادع الذى يصم الآذان من فرط الحاحه . هذا هو ما تسميه الاخلاص ! .. أن تكون مولعا جدا بالمرأة الى الدرجة التى تخدع فيها نفسك وتظن انك انت الذى تخدعها .. وتسمى هذا اخلاصا ؟

التمثال : أوه .. سفسطة لعينة ! لقد كنت رجلا محبا ، ولم أكن محاميا. ولذلك أحبنى النساء عليهن رضوان الله !

دون جوان : هكذا جعلتك النساء تظن .. ماذا تقول اذا اخبرتك بأن النساء جعلتنى أظن ذلك أيضا رغم قيامى بدور المحامى بحماس شديد ؟ كانت لى ، أنا أيضا ، لحظات عشق عربيد ، تفوهت خلالها بهراء غث وصدقته أنا الآخر . كانت رغبة الاستمتاع بقول أشياء جميلة تسمو بى الى فيض عاطفى غامر ، لدرجة اننى كنت أنطق الكلام بدون أى احساس بالتحمس له . وفى مرات أخرى كنت أتهم نفسى بالجمود الشيطانى ، لدرجة اننى كنت أبكى لذلك . لكننى وجدت أن هروبى من النساء وأنا طاغية ، صعب جدا .. بالضبط كالهروب منهن وأنا وديع عطوف . اذا ركزت المرأة عاطفتها على شخصى ، فمعناه اما أن أحيا عمرا مديدا من العبودية ، وأما أن أولى هاربا منها .

آنا : لقد كنت تفاخر أمامى وأمام أبى بانك كنت صعب المنال بالنسبة لأى امرأة .

دون جوان : أفاخر ؟ .. أنا ؟ .. يهيأ لى أننى حطمت الرقم القياسى فى التعاطف مع النساء . ومع ذلك فاننى قلت : « اذا ركزت المرأة عاطفتها على شخصى » .. لكن هذا لم يحدث فى جميع الأحوال ..

ثم ٠٠ يا الهى ٠٠ يالها من فضيلة مدعاة ٠٠ ياله من دفاع مستميت من مخادعة غادرة ! ٠٠ ياله من تجسيد لشخصيتى « ايموجين » و « اياكيمو » !

آنا : أنا لم أتظاهر بأى شىء ٠٠ كل ما فعلته اننى استغثت بوالدى ٠

دون جوان : وجاء ٠٠ سيفه فى يده ٠٠ يدافع عن الاخلاق والشرف السليب ٠٠ وكيف ؟ ٠٠ بقتلى ٠

التمثال : القتل ؟ ٠٠ ماذا تقصد ؟ من الذى قتل الآخر ٠٠ أنا أم أنت ؟

دون جوان : ومن منا كان المبارز الماهر ٠٠ أنا أم أنت ؟

التمثال : أنا ٠

دون جوان : طبعا انت ٠ الا أنك ، انت صاحب المغامرات الشائنة ، ادعيت أن بينك وبيننا صلة وقرابة ٠٠ نعم ٠٠ كنت من الوقاحة بحيث وضعت نفسك فى موقف المدافع عن الأخلاق والشرف السليب ، ثم حكمت على بالاعدام ! كدت تذبحنى لولا الصدفة ٠

التمثال : فعلا يا « جوان » ٠ هكذا كانت الأمور تجرى فى حياتنا الدنيا ٠ لم أكن مصلحا اجتماعيا ٠٠ كنت دائما أفعل ما يفرضه على وضع الجنتلمان ٠

دون جوان : ولهذا السبب هاجمتنى ، لا لشىء الا انتصارا للنفاق الثائر فيك ، والذى جعلك ــ فى النهاية ــ تتحول الى مجرد فكرة ٠٠ تمثال ٠

التمثال : كل هذا حدث بعد دخولى الجنة ٠

الشيطان : أنا لا أفهم حتى الآن كيف تؤدى هذه الأساطير فى حياتك الدنيوية ، يا سنيور « دون جوان » ، أو فى حياة سيادة القائد الى التشكك فى آرائى فى الحياة ٠ اكرر لكما الآن ، انكما حققتما هنا كل ما اردتما تحقيقه دون أن تجربا الخوف من أى شىء ٠

دون جوان : بالعكس ٠ كل شىء هنا يسبب لى احساسا بالاخفاق ، رغم أننى لم أحاول تحقيق أى شىء أحس بالحاجة اليه ٠ أصارحك القول بأننى ما دمت أجد شيئا يجب استيعابه مما يتجاوز قدرتى على فهمه بنفسى ، فاننى لا أشعر بالراحة أبدا الا اذا ناضلت كى اخرجه الى حيز الوجود أو أمهد الطريق الى فهمه ٠ هذا هو قانون حياتى ٠ وهذا هو الدافع الذى يعتمل فى نفسى كنتيجة للالهام المتواصل

للحياة ·· ذلك الذى يستهدف تحقيق درجة من الوعى الذاتى الأكثر تنظيما واتساعا وعمقا وكثافة ، ودرجة من الفهم الصادق للذات ·· ان سمو هذا الهدف وعظمته هو الذى أضعف عاطفة الحب عندى ، فأصبحت مجرد متعة وقتيه زائلة ، وهو الذى هبط بالفن الى مجرد كونه علوما أتلقاها فى الجامعة ، وهو الذى تضاءل بالدين الى أن أصبح مجرد اتهام بالتواكل ، لأنه يضع أمامى الها يتكفل بالعالم ويرى أنه طيب وصحيح ·· كل ذلك يتناقض مع الغريزة التى تتصارع فى نفسى والتى تتطلع الى العالم من خلال عينى رأسى فترى أنه بحاجة ملحة الى الاصلاح · صدقونى ·· أنا لم أشعر بالسعادة أبدا فى انقيادى وراء اللذات ·· لم أجدها فى الصحة ولا فى الثروة اللتان كان حظى منهما وافرا · ان ما ألقى بى فى أحضان المرأة لم يكن هو عاطفتى تجاهها ، بل كان الارهاق والقرف · عندما كنت طفلا أنطح الجذر برأسى ، هرعت الى أول امرأة صادفتها وبكيت على صدرها أبثها آلامى وأفرك رأسى فى فستانها · وعندما كبرت ، وكنت قد ألهبت روحى بكافة ضروب الوحشية والغباء التى تورطت فى النضال فى مواجهتها ، فاننى عدت مرة أخرى الى ما فعلته وأنا طفل صغير · صحيح أننى استمتعت بأوقات الراحة ، والصحة ، والتنفس بحرية ، والرقود فى استرخاء بعد ساعات العمل وارهاقه ·· لكننى ـ رغم كل ذلك ـ لم أقع فى شباك ذلك الشيطان الايطالى ، بأكثر من وقوعى فى أسر اللذات التى كانت سائدة فى أوروبا ·· وهذا هو ما جعل مكانكم هذا الملئ باللذة الخالدة مكانا معذبا بالنسبة لى · ان غياب هذه الغريزة عنك هو الذى جعل منك ذلك المارد الغريب الذى يسمى «الشيطان» ·· كما أن نجاحك فى تحويل انتباه الناس عن هدفهم الحقيقى فى الحياة ، والذى كان يتفق ـ بشكل أو بآخر ـ مع نجاحى فى كفاحى ·· أقول ·· ان سعيك هذا هو الذى جعلهم يسمونك : « الشيطان » أو « المضلل » · ان الذى جعل الناس مجرد مخلوقات معذبة ، زائفة ، قلقة ، منافقة ، سيئة الطبع ، شريرة ·· كان نتيجة الحقيقة القائلة بأنهم كانوا يتصرفون انصياعا لأوامرك أنت ، وأنهم كانوا عبيدا لرغباتك ·· بدلا من أن تستعبدهم رغباتهم هم ·

الشيطان : (بخيبة أمل) سنيور « دون جوان » ·· انت لست مهذبا مع أصدقائك ·

دون جوان : ما هذا القرف ؟ ولماذا أكون مهذبا معهم أو حتى معك انت ؟ ان اعلانى لواحدة أو اثنتين من الحقائق فى « موطن الأكاذيب »

هذا ، لن يؤذيك . ان أصدقاءك هم أشرس الكلاب الضالة التى التى رأيت .. أشكالهم ليست جميلة .. فقط هم مزخرفون .. ليسوا نظفاء ، بل حليقوا الذقن يرتدون ياقات منشاة .. ليسوا محترمين ، بل يرتدون ثيابا أنيقة .. ليسوا متعلمين ، بل مجرد خريجو جامعات .. ليسوا متدينين ، بل مجرد أفراد قابعين على كراسى الكنيسة .. ليسوا أخلاقيين ، بل مجرد اناس غير تقليديين .. ليسوا أصحاب فضيلة ، بل مجرد جبناء .. بل انهم ليسوا أشرارا ، بل مجرد مخلوقات هشة سحقتها الآثام .. ليسوا فنانين، بل مجرد داعرين .. ليسوا فى رخاء، بل مجرد أغنياء .. لا يدينون بولاء لشئ ، بل مجرد عبيد .. ليسوا جادين . بل قطيع من الغنم .. ليسوا ذوى اهتمامات عامة ، بل مجرد مواطنين .. ليسوا شجعانا ، بل مجرد مشاكسون .. ليسوا أقوياء العزيمة . بل ذوى رءوس جامدة عنيدة .. ليسوا سادة ، بل مجرد مغرورين .. ليسوا رحماء بل عاطفين .. ليسوا اجتماعيين بل خرافيين .. ليسوا عادلين ، بل انتقاميين .. ليسوا كرماء ، بل مستعطفين .. ليسوا أصحاب مبادئ ، بل مسلوبى الارادة .. ليسوا صادقين بالمرة ، بل كاذبين ، وفى أعمق الأعماق من أرواحهم ..

التمثال : كلماتك تتدفق منك بطريقة مزعجة يا « جوان » . ليتنى كنت أستطيع أن أخطب فى جنودى بهذه الطريقة .

الشيطان : ومع ذلك ، فهو مجرد كلام .. كله سمعته من قبل . المهم هو هل استطاع أن يغير فى الناس شيئا ؟ ما الذى فهمه العالم منه ؟

دون جوان : أجل .. مجرد كلام . لكن لماذا هو مجرد كلام ؟ .. لأن كل الأشياء يا صديقى .. كلها كالجمال والطهارة والاحترام والدين والأخلاق والفن والوطنية والشجاعة وغيرها ، ما هى الا كلمات أستطيع أنا وغيرى تقليبها من أعماقها كما تفعل فى قفاز يدك . أما لو اعتبرناها حقائق ، فعندئذ يجب عليك الاعتذار عن اتهامك لى .. ولكن من حسن حظك ، ولكى تظل على احترامك لنفسك فهى ليست حقائق . انها ــ كما قلت ــ مجرد كلمات تصلح لتضليل البربر وجعلهم يقبلون الحضارة ، أو اقناع الفقراء بمزايا الخضوع للابتزاز والاستبعاد . هذا هو السر الدفين عند الفئة الحاكمة . ان هذا السر قادر على تحويلنا الى شخصيات عظيمة .. فقط لو أصبحنا أداة تستخدمها الفئة الحاكمة فى تحقيق حياة أفضل ، وليست أداة بطش وسعى الى الرخاء الشخصى الرخيص لأعضائها ولنا . والآن ، وحيث اننى ــ كواحد من طبقة النبلاء ــ اعتبر أن

من الأسرار الدفينة أن أفكر فى مدى الازعاج الذى يتضمنه حوارك الذى لا ينتهى معى حول كل هذه التفاهات الأخلاقية ، وعن مدى البذاءة الرهيبة التى تضحون فيها بحياتكم دفاعا عنها ! واذا كنتم فعلا تصدقون لعبتكم الأخلاقية هذه ، لدرجة انكم تستطيعون أداءها بشىء من الحياد ، فان التفرج عليها من بعيد يصبح شيئا طريفا ومسليا .. لكنكم لا تفعلون .. تستخدمون كل وسيلة ممكنة . أما اذا بادر خصمكم بخداعكم فأنكم تقلبون عليه المائدة وتحاولون قتله .

الشيطان : كلامك هذا يمكن تصديقه اذا كنا على وجه الأرض ، لأن الناس هناك جهلاء ، لا يستطيعون التجاوب مع وجهة نظرى حول الدين والحب والجمال . أما هنا ..

دون جوان : اوه .. أجل .. أعرف . لا شىء هنا غير الحب والجمال . اوف ! . هذا يشبه الجلوس أبد الدهر لمشاهدة الفصل الأول من مسرحية رائعة ، دون أن يتاح لنا مشاهدة عقدة المسرحية . اننى ، وفى أسوأ اللحظات التى شعرت فيها بالخوف الرعديد على وجه الأرض ، لم أحلم أبدا بأن يكون الجحيم بهذا الشكل المروع . اننى أعيش كالحلاق .. فى حالة تأمل دائم للجمال ، أعبث فى الشعر الحريرى .. أتنفس هواءا ملؤه الحلاوة كما يفعل صبى الحلوانى . سيادة القائد .. هل توجد سيدات جميلات فى الجنة ؟

التمثال : لا .. أبدا . أبدا .. كلهن يرتدين أسمالا بالية . لا تجد بين كل اثنتى عشر امرأة ، واحدة فقط تساوى قرشين فى سوق الروائح من نبات حواء .. يهيأ لى أنهن رجال فى سن الخمسين .

دون جوان : فقد صبرى . أريد الذهاب اليها . هل نطقت كلمة «الجمال» هناك ولو مرة واحدة ؟ .. أهناك أناس يفهمون الفن ويتذوقونه ؟

التمثال : صدقنى .. انهم لا يعجبون بتمثال رائع مثلى عندما يسير بينهم

دون جوان : سأذهب .

الشيطان : أتريد الصراحة يا « دون جوان » ؟

دون جوان : وهلا كنت صريحا معى فى كل ما قلت من قبل ؟

الشيطان : بل كنت .. وبكل طاقتى . لكننى ســـابالغ فى الصراحة وأعترف لك بأن شعور الناس بالملل من كل شىء يجعلهم يملون من الجنة كما يضيقون بالنار ، وأن التاريخ كله ليس سوى ســـجل

حافل بتذبذبات العالم بين هذين النقيضين · ان الدهر كله ليس الا حركة واحدة من بندول الساعة ، وكل جيل جديد ، يولد مفعما بالحركة ، ولذلك يظن أن العالم يتقدم الى الأمام · ولكن ، عندما تبلغ العمر الذى بلغته أنا ، وتضيق بالجنة ألف مرة كما ضقت بها أنا وسيادة القائد ، وتضيق بالنار ألف مرة كما تضيق بها الآن ·· عندئذ لن تصدق أن كل انتقال من الجنة الى النار يعتبر نوعا من التحرر ، وأن كل انتقال من النار الى الجنة يعتبر واحدة من مراحل النشوء والارتقاء · وعندما تعتقد الآن أن الاصلاح والتقدم ، وتحقيق الأهداف العليا ، وتطلع الانسان دائما الى تحقيق أهداف أسمى ، وارتقاء سلما تتكون درجاته من أجساده الميتة الفانية ، فلن ترى غير كوميديا زائفة لا أول لها ولا آخر ·· ستكتشف الصدق العميق عند صديقى « كوليت » الذى قال : « لا جديد تحت الشمس » ، وأن كل الأشياء أوهام فى أوهام ·

دون جوان : (نافذ الصبر) وحق السماء ، ان كلامك هذا أسوأ من ثرثرتك عن الحب والجمال · أيها الأحمق الذكى معا ·· أليس الكلب أفضل من الذئب ؟ أليس الانسان أفضل من الدود لأنه يشعر بالملل من الأشياء ، وهو شعور لا يتوفر لغيره من سائر المخلوقات ؟ هل يقلع الانسان عن الطعام لأنه يريد أن يفقد شهيته عن طريق اشباعها بالتخمة ؟ هل يعتبر الحقل المعد للزراعة أرضا خرابا ؟ هل يستطيع سيادة القائد أن يضيع كل طاقاته الجهنمية هنا ، ما لم يكن قد استجمع من الجنة كل الطاقات التى يستخدمها فى الدهور الباقية من حياته فى النعيم ؟ لنفترض أن القوة الهائلة للحياة قد عملت مثل بندول الساعة ، وانها تستخدم الكرة الأرضية كمجال لذبذباتها ، ولنفترض كذلك أن تاريخ كل ذبذبة منها يعتبر اعادة للذبذبة الأخيرة ، فان الشمس ـ بأبديتها التى يتصورها العقل ـ تقذف بالأرض ألف مرة ثم تلتقطها من جديد ، بالضبط كما يفعل لاعب السيرك بلعبة « اليويو » ، وبأن فترات أعمارنا على وجه الأرض لا تتجاوز تلك اللحظات التى تنقضى بين عمليتى القذف والالتقاط · اذا افترضنا كل ذلك ، فهل تعتبر تلك الآلية الهائلة التى تحكم الكون عبثا لا هدف له ؟

الشيطان : لا يا صديقى · ليس هكذا · انت تضع لحياتك هدفا محددا ، ولذلك تعتقد أن الحياة يجب أن يكون لها هدف · اذا كان الأمر كذلك ، فالأجدر بك أن تتوقع أن يكون للحياة أصابع فى يديها

وأصـــابع في قدميها ، تماما كما ان لك أصـــابع فى يديك وفى قدميك ٠

دون جوان : لكننى لا أمتلك هذه الأعضـــاء الا لأنها تخـــدم هدفا محددا عندى ٠ كذلك فأنا ـ يا صديقى ـ جزء لا يتجزأ من الطبيعة ٠٠ بالضبط كما أن أصابعى جزء لا يتجزأ منى ٠ واذا كان أصبعى هو العضو الذى أمسك به السيف والماندولين ، فان عقلى يعتبر العضو الذى تجاهد به الحياة كى تفهم نفسها ٠ لو أن عقلى كان عقل كلب ، فلن يخدم الا أهداف الكلاب ٠٠ لكن الواقع أن عقلى مشغول بنوع من المعرفة لا يخدمنى أنا شـــخصيا ، بل يجعل جسمى عبئا ثقيلا على شخصى ، ومن ثم يعتبر المرض والموت كارثتان تهددان كفاحى لفهم الحياة ٠ واذا لم أتذرع بهدف اعتنقه وأسعى لتحقيقه ، فالأجدر بى هو ألا أكون فيلسوفا ، بل عاملا على محراث فى حقل ، وذلك لســـبب بسيـــط ٠٠ أن عامل المحراث يعيش عمره كله كالفيلسوف تماما ٠٠ يأكل أكثر مما يأكل ، وينام ساعات أكثر مما ينام ، ويستمتع بزوجته بين أحضانه أكثر مما يفعل الفيلسوف ٠٠ بل وبدون أى منغصات ٠ كل ذلك لأن الفيلسوف واقع فى قبضة قوة الحياة ، تلك التى تخاطبه قائلة : « لقد انتجت آلاف الأشياء دون أن تكون لدى أى رغبة فى ذلك ، اللهم الا الرغبة المجردة فى الحياة ، وسلوك السبيل الذى يكفل لى أقل قدرة ممكنة للدفاع عن الحياة ٠ والآن أريد أن أعرف من أنا ، وما هو مصيرى ، ومن ثم اختار طريقى ٠٠ ولذلك صنعت نوعا خاصا من العقول ، هو عقل الفيلسوف ، يستطيع اختزان المعرفة بين جنباته من أجلى ، بالضبط كما يقبض الزوج بيده على المحراث من أجلى ٠» ثم تستطرد قوة الحياة قائلة : « من أجل هذا الهدف يجب أن تكافح ٠٠ طوال أيام حيـــاتك وحتى توافيك المنية ٠٠ وعندئذ أصـــنع عقلا آخر ، وفيلسوفا آخر يتسلم الراية من بعدك ويناضل لتحقيق أهدافى » ٠

الشيطان : وما فائدة المعرفة ؟

دون جوان : ماذا ؟ ٠٠ المعرفة هى القـــدرة على اختيار أفضـــل الطرق صلاحية لتحقيق أهداف الحياة ، وهى التى تصونك من الضياع فى تيار المقاومة الضعيفة ٠ ألا تعتقد أن ابحار السفينة الى هدفها المنشـــود تعتبر أفضل من كتلة خشب تتقاذفها الأمواج فى كل اتجاه ؟ الفيلسوف هو ملاح الطبيعة ، وهذا هو الفرق بينى وبينك ٠٠ أن تكون فى جهنم ، معناه أن تنجرف مع الأمواج ٠٠ وأن تكون فى الجنة معناه أن تقود سفينتك الى بر الأمان ٠

الشيطان : لكى ترتطم بصخور الشاطىء !!

دون جوان : أوف ٠٠ أى السفينتين هى التى ترتطم بالصخور ، وأيهما تغوص فى الأعماق ؟ ٠٠ التى تتقاذفها الأمواج أم التى يقودها ربان ؟

الشيطان : لا بأس ٠ لا بأس ٠٠ اذهب حيث تريد يا سنيور «دون جوان» ٠٠ اننى أقبل وأرحب بأن تكون ، أنت ، سيدا لى ٠٠ لكننى لا أقبل اطلاقا أن تكون أداة فى يد أى قوة كونية آثمة ٠ أعرف أن الجمال شىء يسر الناظرين ، وأن الموسيقى تسعد المستمعين ، وأن الحب احساس جميل ، وأن هذه كلها أشياء يطيب للنـاس التفكير فيها والكلام عنها ٠٠ وأعرف انك يجب أن تكون كائنا نقيا ومهذبا ، حتى تستطيع استيعاب هذه الأحاسيس والعواطف والدراسات ٠ مهما يقولون عنى فى الكنائس على وجه الأرض فاننى أعرف أنه من الأمور الثابتة فى الكون كله ـ خصوصا فى المجتمعات الرشيدة ـ أن « أمير الظلام » ما هـو الا جنتلمان ٠٠ وهـذا يكفينى تماما ٠ أما بالنسبة لقوة الحيـاة ٠٠ تلك التى تتحدث عنها وتقول أنهـا لا تقاوم ٠٠ فانها أكثر شىء فى الدنيا عرضة للمقاومة ٠٠ خصوصا من ذلك الذى يدعى أن له شخصية مستقلة وكيانا قائما بذاته ٠ ان هذه القوة ستجعلك تصطدم بعقيدتك الدينية ، ابتداء من قيامهم برش الماء على الأطفـال عنـد تعميدهم فى الكنيسـة أملا فى انقاذ أرواحهم من شرورى ٠٠ بعد ذلك تأخذك هذه القوة من الدين الى العلم ، حيث تجعلك مضطرا الى اختطاف الأطفال من مياه التعميد ، وتطعيمهم بميكروبات المرض لتحصينهم ضد الاصابة بعدواه ٠٠ وبعد العلم تأخذك الى السياسة ، حيث تصـبح مخلب القط الذى يستخدمه الموظفون الفاسدون ، والتابع الأمين وراء طموحات الرجل السياسى ، وفى النهاية يكون مصيرك هو اليأس والانهيار ٠٠ حيث الأعصاب المرهقة والآمال المحطمة والأحزان المعذبة ، التى تتجرعها كلها كنتيجة حتمية لاسـوأ وأسـخف ما يتعرض له مخلوق من اخفاقات الضياع والتضحية ٠٠ ثم ضياع قوة المتعة والتضحية بها ٠٠ وباختصار ، يصبح هذا هو القصاص الرادع الذى يعاقب به الانسان الأبله الذى يقضى عمره فى مطاردة ما هو أفضل من قبل أن تصل يديه الى ما هو جيد ٠

دون جوان : لكننى ـ على أقل تقدير ـ لن أتألم ٠٠ وهـذه هى الميزة الوحيدة فى قوة الحياة ٠ وداعا يا سنيور ابليس ٠

الشيطان : (متوددا) وداعا يا سنيور « دون جوان » . سأذكر لك دائما محاوراتك الممتعة حول المسائل العامة . أتمنى لك كل السعادة . الجنة — كما قلت لك من قبل — تناسب أذواق بعض النـاس . لا تنسى — اذا غيرت رأيك — ان الأبواب هنـا سـتظل مفتوحـة للمرتدين التائبين . فاذا ساورك هذا الشعور يوما ما ، وساورتك الرغبة الحارة ، وأرقتك العاطفة التلقائية الخاصة ، والمتعة البريئة، والدفء ، والحقيقة الحية ..

دون جوان : (باستنكار) قل بصراحة : «اللحم والدم» .. هذان الشيئان الشائعان المقززان اللذان تركناهما من ورائنا فى الحياة الدنيا .

الشيطان : (بغضب) هكـذا ! ترد على وداعى اياك بصـفعة على وجهى يا « دون جوان » .

دون جوان : أبدا .. ولكن اذا كان الانسان يستطيع أن يتعلم شيئا ما من الشيطان الساحر .. فاننى لا أطيق أن أتعلم منك أى شىء يتعلق بالعاطفة . سيدى القائد .. انت تعرف الطريق الى حدود الجنة .. خذنى الى هناك من فضلك .

التمثال : أوه .. الحدود هى مجرد الفرق بين طريقتين فى التطلع الى الأشـياء . كل الطرق تؤدى بك اليها مادمت راغبا فى الذهاب .

دون جوان : حسن .. (يحيى آنا) خادمك يا سنيورا .

آنا : أنا ذاهبة معك .

دون جون : لكننى سأذهب الى الجنة على طريقتى أنا ، وليس على طريقتك أنت يا « آنا » !

آنا : شىء مزعج !

التمثال : (مودعا) رحلة سعيدة يا « جوان » (يطلق خلفه عدة جمل موسيقية كتعبير عن الوداع ، فتسمع نغمة أخرى كرد على تحيته) آه .. يذهب الى هناك !! أوف .. ياله من متحدث بارع .. لن يحتلمونه فى الجنة .

الشيطان : (بحزن) بالعكس .. ذهابه يعتبر هزيمة سياسـية لى .. لم أفلح فى الاحتفاظ هنا بعباد الحياة هؤلاء . كلهم يذهبون . هذه أكبر هزيمة منيت بها بعد ذهاب ذلك الرسـام الهولندى ، الذى كان يرسم المرأة العجوز التى فى سن السبعين بنفس المتعة التى يرسم بها « فينوس » وهى فى سن العشرين .

التمثال : آه ·· جاء الى الجنة ·· تذكرته ·· « رمبرانت » ·

الشيطان : آه ! · « رمبرانت » ·· هؤلاء الرفاق فيهم شيء غير طبيعي ·· لا تسمعهم يرتلون الانجيل أبدا يا سيادة القائد ·· شيء خطير ·· احذر السعي وراء «السوبرمان» ، لأنه يصل بك الى احتقار البشرية ·· يرى أن الخيل والكلاب والقطط لا تزيد عن كونها مجرد أصناف تقف خارج حدود العالم الأخلاقي للانسان · وهكذا يصبح الانسان الاسمى والرجال والنساء مجرد أصناف هي الأخرى . وأصناف تقف خارج حدود العالم الأخلاقي · « دون جوان » هذا كان لطيفا مع النساء ومهذبا مع الرجال ·· بالضبط كما كانت ابنتك هذه عطوفة مع قططها وكلابها ·· لكن عطفها هذا يعتبر انكارا للسمة البشرية المطلقة للروح ·

التمثال : ومن هو « السوبرمان » يا ابليس ؟

الشيطان : آخر صيحة في أوهام قوة الحياة · ألم تقابل ـ وانت في الجنة ـ ذلك الألماني البولندي المجنون الذي وصل مع الوافدين الجدد ؟ هل تذكر اسمه ؟ ·· آه ·· « نيتشه » ؟

التمثال : لم أسمع به مطلقا ·

الشيطان : حسن ·· كان هنا في البداية ، وقبل أن يكتشف مواهبه · وكنت أعقد عليه آمالا كبارا ، لكنه كان من عشاق « قوة الحياة » ·· هو الذي أعاد الى الأذهان فكرة « السوبرمان » ، وهي فكرة قديمة جدا قدم فكرة «برموميثيوس» · وعندما يتبرم القرن العشرون من العالم والجسد ومني أنا ـ خادمك المطيع ـ فان أبناءه سيلهثون وراء فكرة « السوبرمان » ، أو الانسان الأعلى ، أو الانسان الأسمى هذه ·

التمثال : « سوبرمان » !! ·· صرخة مدوية ، والصرخة المدوية نصف معركة · ليتني أرى « نيتشه » هذا ·

الشيطان : للأسف قابل « فاجنر » هنا وتشاجر معه ·

التمثال : بالضبط ، كما فعل « موزار » معي ·

الشيطان : أوه ·· لم يتشاجرا بسبب الموسيقى · المسألة أن « فاجنر » كان قد وقع ، فترة من عمره ـ في تقديس « قوة الحياة » وابتكر انسانا أسماه « سيجفريد » · لكنه عاد الى رشده وتاب ، ولذلك اتهمه « نيتشة » ـ عندما التقيا هنا ـ بأنه مرتد ، وكتب مقالا

يثبت فيه أن « فاجنر » كان يهوديا ، بل وضابىء أيضا · والآن هيا بنا يا صديقى ، دعنا نسرع الى قصرى ونستعد لاقامة حفل موسيقى كبير احتفالا بمقدمك الينا فى جهنم ·

التمثال : بكل سرور ·· انت لطيف جدا ·

الشيطان : تعالى من هذا الطريق يا سيدى · دعنا نهبط فى المركبة القديمة (يركب فوق مركبة القبر) ·

التمثال : حسن ·· (بتأمل) ·· « سوبرمان » ·· فكرة رائعة ·· فيها شىء من السحر (يركب مركبة القبر بجوار الشيطان وتهبط ببطء · تظهر نار حمراء متوهجة من جهنم) آه ·· هذه النار تذكرنى بالماضى المحيق ·

الشيطان : وأنا أيضا ·

آنا : قف ! (تتوقف المركبة) ·

الشيطان : لا يا سنيورا ·· لن تحضرى معنا ·· دعينا نصل الى المجد ·· أما انت فستظلين فى القصر من بعدنا ·

آنا : أنا لم أعطلكما لهذا السبب · اخبرنى ·· أين أجد «السوبرمان» ؟

الشيطان : لم يخلق بعد يا سنيورا ·

التمثال : وقد لا يخلق بالمرة · دعينا نمضى لسبيلنا · النار تزكم أنفى (يهبطان) ·

آنا : لم يخلق بعد ! ·· اذن لم يتحقق هدفى بعد (ترسم علامة الصليب على صدرها) أنا أومن بالحياة القادمة (تصرخ مخاطبة الكون) أريد أبا ·· أب للسوبرمان ·

(تختفى « آن » فى الفضاء ، ويخلو المسرح مرة أخرى ·· يسمع صوت آدمى يهتف من بعيد · ترى قمة جبل تهتز فى مواجهة سطح الأرض · تعود السماء من جديد ·· ينير المكان الذى يعبر عن المشهد · يتضح الصوت ويمكن التعرف عليه ·· يقول «اوتوموبيل ·· اوتوموبيل» ·· يعود الواقع من جديد · أخيرا نحن أمام منظر الصباح فى منطقة « سييرا » · قطاع الطريق يهبون من نومهم واقفين ، والراعى يهبط من أعلى التل راكضا ومنذرا اياهم باقتراب سيارة أخرى · ينهض « تانر » و « مندوزا » مذعورين ويحملقان فى أحدهما الآخر · أما « ستريكر » فيتثاءب وهو جالس ، ثم ينهض

واقفا ، وكأنه لا يعنيه شيء مما يهتم به أفراد العصابة · يتلفت « مندوزا » ليتأكد من أن رفاقه قد استمعوا الى الأنذار ، ثم يتبادل حديثا خاصا مع « تانر » :)

مندوزا : هل حلمت وانت نائم ؟

تانر : يا للعنة ! ·· وهل حلمت انت الآخر ؟

مندوزا : أجل ·· لكنني نسيت ·· رأيتك في الحلم ·

تانر : وأنا رأيتك في حلمي ·· شيء غريب !

مندوزا : لقد حذرتك (يسمع صوت عيار نارى من جهة الطريق) الأغبياء ! ·· يلعبون بالبندقية (يدخل أفراد العصابة راكضون) من أطلق هذه الطلقة ؟ (يخاطب دوفال) أنت ؟

دوفال : (لاهثا) لا ·· بل هم الذين بادروا باطلاق الرصاص ·

الفوضوى : قلت لكم مرارا ان هدفنا الأول هو القضاء على الدولة ·· لكننا بهذه الطريقة نضل الطريق ·· نضيع ··

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : (يقفز الى عرض المسرح) كله يجرى ·

مندوزا : (يمسكه من ياقة سترته ويطرحه على الأرض ويخرج من جيبه سكينا) سأذبح من يتحرك من هنا (يسد الطريق لئلا يهرب أحد) ماذا حدث ؟

الاشتراكي الديمقراطي العابس : سيارة ··

الفوضوى : ثلاثة رجال ·

دوفال : وسيدتين ·

مندوزا : ثلاثة رجال وسيدتين ! لماذا لم تحضروهم هنا ؟ ·· خائفون منهم ؟

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : (ينهض من الأرض) معهم اناس آخرون · دعنا نراهم يا « مندوزا » ·

العابس : فى نهاية الوادى سيارتين مسلحتين مملوءتين بالعساكر ·

الفوضوى : الطلقة اطلقت فى الهواء ·· اشارة ·

(ستريكر يصفر بلحنه المفضل الذى يقع من العصابة موقع الموسيقى الجنائزية)

تانر : اذن فهم ليسو مرافقين ، بل حملة للقبض عليكم · لقد نصحونا بالانتظار لمرافقتهم فى الطريق ، لكننى كنت متعجلا ·

العابس : (خائفا) يا الهى ·· ولماذا ننتظر ؟ ·· دعونا نهرب الى الجبال ·

مندوزا : أيها الأبله ، ماذا تعرف عن الجبال ؟ أأسبانى أنت ؟ سيقبض عليك أول راعى يصادفك هناك ، الى جانب اننا أصبحنا فى مرمى مسدساتهم ·

العابس : لكن ··

مندوزا : سكوت ·· اترك هذه لى · (يخاطب تانر) أيها الزميل ·· لن تخوننا ·· أليس كذلك ؟

ستريكر : تقول : « زميل » ؟

مندوزا : بالأمس كنت أنا سيد الموقف ·· سارق الفقراء كان تحت رحمة سارق الأغنياء ·· ولقد مددت لى يدك ، وأنا صافحتك ·

تانر : لكننى لم أعدك بشىء يا زميلى · قضينا معك ليلة لطيفة ·· هذا هو كل شىء ·

ستريكر : أنا لم أصافح أحدا ·· فاهم ؟

مندوزا : (يخاطبه بتأثر) أيها الشاب ·· أنا لو حوكمت سـأدان ·· سأتكلم عن سبب هروبى من انجلترا ومن بيتى ومن عملى · هل تريد أن امرغ اسم عائلتكم المحترمة « ستريكر » فى الوحل عندما أبوح به فى محكمة الجنايات فى أسبانيا ؟ البوليس سوف يفتشنى ·· سوف يعثرون معى على صـورة « لويزا » ، وسينشرونها فى المجلات المصورة ·· تراجع ، والا جنيت على نفسك ·· تذكر هذا ·

ستريكر : (غاضبا) أنا لا يهمنى المحكمة · كل ما أرفضه هو ذكر اسمنا مقرونا باسمك ، أيها النصاب الخنزير ·

مندوزا : ألفاظ لا يليق بأخ «لويزا» التفوه بها ! لا يهم ·· انت مرتبك ، وهـذا يكفينا · (يواجه رجاله الذين يتراجعون عبر المسرح فى اتجاه الكهف للاختفاء وراءه · فى نفس الوقت يدخل جماعة من الناس يرتدون ملابس السفر بالسيارات وهم : « آن » التى تتجه مباشرة الى « تانر » ، ثم « فيوليت » التى يسـاعدها « هكتور » على الخطو على الأرض المليئة بالحصى وهو يمسـك يدها اليمنى ، بينما يمسك « ريمسدن » بيدها اليسرى · يجلس « مندوزا » على

الحجر ـ الذى يعتبره كرسى الرئاسة ـ ومن خلفه رجاله واقفون وهم : «دوفال» والفوضوى على يمينه ، والاشتراكيان الديمقراطيان عن يساره) .

آن : هذا « جاك » .

تانر : آه .. « كبسة » .

هكتور : صحيح .. ها أنت يا «تانر» . توقفنا لأن اطار السيارة انفجر . الطريق مملوء بالمسامير .

فيوليت : ماذا تفعلان مع هؤلاء الناس ؟

آن : لماذا سافرتما بدون استئذان ؟

هكتور : الآن أعطنى باقة الورد يا آنسة « واتيفيلد » . (يخاطب تانر) عندما عرفنا انك سافرت ، راهنتنى الآنسة « آن » على باقة ورد اذا لحقنا بسيارتك قبل أن تصل الى مونت كارلو .

تانر : لكن هذا ليس طريق مونت كارلو .

هكتور : لا يهم .. الآنسة « آن » كانت تبحث عنك فى كل مكان توقفت فيه .. « شرلوك هولمز » بالضبط .

تانر : قوة الحياة !! .. أنا ضعت والحمد لله .

اوكتافيوس : (يدخل المسرح من جهة الطريق ويقف بين تانر وستريكر) يسعدنى انك بخير أيها الولد العجوز . خفنا أن تكون قد وقعت فى أيدى قطاع الطريق .

ريمسدن : (يحملق فى مندوزا) يهيأ لى اننى رأيت صديقك هذا من قبل (ينهض مندوزا وهو يبتسم ويقف) .

هكتور : وأنا كذلك .

اوكتافيوس : أنا أعرفك جيدا يا سـيدى ، لكننى لا أذكر أين التقينا .

مندوزا : (يخاطب فيوليت) أتذكرين انك رأيتنى يامدام ؟

فيوليت : طبعا .. لكننى غبية جدا فى تذكر الأسماء .

مندوزا : فى فندق « سافوى » .. (يخاطب هكتور) كنت تحضر مع هذه السيدة يا سيدى (لاوكتافيوس) وانت يا سيدى ، جئت مرارا للغداء مع هذه السيدة وأمها وأنتم فى طريقكم الى مسرح «ليسيام»

(ل : ريمسدن) أما أنت يا سيدى فكنت تتناول العشاء مع (يخفض صوته فيصبح همسا مسموعا) سيدات كثيرات من كل نوع ·

ريمسدن : وما شأنك انت بذلك ؟

اوكتافيوس : اوه ·· « فيوليت » كنت أظن انك لم تتعرفى على «هكتور» الا فى هذه الرحلة ·

فيوليت : (بارتباك) أعتقد أن هذا الشخص هو مدير الفندق ·

مندوزا : بل « الجارسون » يا سيدتى · يسرنى الالتقاء بكم جميعا · لقد جمعت مالا وفيرا من الطريقة الكريمة التى كنتم تعاملوننى بهـا ، والتى جعلت زياراتكم للفندق متعة كبيرة ·

فيوليت : يا للوقاحة ! (تدير ظهرها له وتتجه الى التل بمصاحبة هكتور)

ريمسدن : هـذا يكفى يا صـديقى · لا نحاول معاملة هؤلاء السـيدات كصديق لهن ، لمجرد أنك خدمتهن كجارسون على المائدة ·

مندوزا : معذرة ·· لكن أنتم الذين ادعيتم معرفتى ·· انت بدأت بذلك ، ثم حـذت السيدات حـذوك · على أية حال ، قفلنا الموضـوع ·· لن أستطيع الكلام معكم ، مادمتم تتحدثون بهذا الأسلوب الشائق كغيركم من أبنـاء طبقتكم · أما بعد ذلـك ، فأرجـو أن تخاطبنى بالاحترام الذى يليق بانسان غريب عنك ورفيق لك فى السـفر (يستدير باحتقار له ، ويذهب ليجلس على كرسى الرئاسة) ·

تانر : الرجل قابلته فى الطريق صدفة ، ولديه قدرة هائلة على الحوار العاقل ·· لكنكم تسبونه كلكم بدون أى تعقل ·· حتى « الرجل الجديد » لا يقل سوءا عن أى فرد منكم · « هنرى » · تصرفك هذا لايصدر الا عن « جنتلمان » مسكين جدا ·

ستريكر : أنا لست « جنتلمان » ·

ريمسدن : « تانر » ·· الواقع أن هذه اللهجة ··

آن : لا تأبه به يا « جرينى » ·· حاول أن تفهمه على هذه الحال من الآن فصاعدا (تتأبط ذراعه وتصحبه تجاه التل ويلفان ب : فيوليت وهكتور · أما أوكتافيوس فيمشى وراءهما خاضعا كالكلب الوفى) ·

فيوليت : (تصيح بهم) عساكر الشرطة قادمون ·· ينزلون من سياراتهم ·

دوفال : اوه ·· اسم الله !

الفوضوى : أيها الأغبياء ! الدولة ستقضى عليكم لأنكم أبقيتم عليها لحساب البورجوازية الطفيلية ·

الاشتراكى الديمقراطى العابس : (لا يزال على قدرته الجدالية حتى النهاية) بالعكس ·· هذا ممكن بشرط السيطرة على جهاز الدولة ··

الفوضوى : ـبل الدولة هى التى ستقبض عليكم ·

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : يا للعنة ! · لماذا نقف هنـا ؟ ماذا ننتظر ؟

مندوزا : (بغيظ) أكمل ·· تكلموا فى السياسة يا أغبياء ·· يجب أن يبدو كل شىء عاديا ومثيرا للاحترام ·· اســكتوا ·· أقول لكم اسكتوا ·

(الجنود يحاصرون الطريق ويسيطرون على المسرح بمسدساتهم · يحاول أفراد العصابة الاختباء وراء بعضهم البعض · ينهض مندوزا بشجاعة وملامح ثابتة · يدخل الضابط الى المسرح من جهة الطريق وينظر الى أفراد العصابة بوحشية . ثم يخاطب تانر متسائلا) ·

الضابط : من هؤلاء الرجال يا سنيور « انجلز » ؟ ·

تانر : بطانتى ·

(ينحنى مندوزا وعلى شــفتيه ابتســامة تشــبه ابتســامة ميفوستوفيليس ، وتسمع همهمات بين أفراد العصابة ، ويلمسون أطراف قبعاتهم احتراما ·· ماعدا الفوضوى الذى يضم ذراعيه الى بعضهما البعض وكأنه بذلك يتحدى الدولة) ·

الفصل الرابع

حديقة فيلا بمنطقة « سييرا »

على من يريد معرفة منظر هذه الحديقة ان يذهب الى «جرانادا» ويراها ، بحيث يعتبر من نافلة القول ان يقدم المرء وصفا لمجموعة التلال المحيطة بالفيلات ، والتى يقف قصر « الهمبرا » فوق واحد منها ٠ اما فى الوادى فيتهجع مدينة جميلة تحف بها بعض الطرق الرمادية الترابية التى يلهو فيها الأطفال بطريقة آلية دون وعى بما يصدر عنهم من أفعال أو ما يدور برءوسهم من أفكار ويرتفع صياحهم تسولا لنصف بنس او يمدون الأيدى طلبا لبعض التمرات الرطبة ٠ على أن أهم مافى هذه المنطقة هو « الهمبرا » وفيما عدا ذلك لا يرى المرء هناك غير التسول ولون الطرقات ٠٠ وهما الشيئين اللذين لا يتفقان مع سمعة منطقة مثل « سييرا » ٠ ولا مع مكانة دولة كاسبانيا ٠ والفرق بين الاثنين هو أن تلال « سييرا » تعتبر ـ بالمقارنة ـ ضئيلة وكئيبة ، ومن ثم يجب تسميتها «أورام سييرا» ، وهو عكس الحال فى التلال الأسبانية التى تتكون من كتل جبلية هائلة ٠ ولا غرو ، فالجمال الذى تتسم به هذه المنطقة بالنسبة لحجمها الصغير لا تتناسب أبدا مع ما فيها من بهاء ٠

أما الحديقة الخاصة بهذه الفيلا فتقع فوق أحد التلال المواجهة للهمبرا ٠ وأما الفيلا ذاتها فتجسد حجم التكاليف الباهظة والمظهرية اللتين تتصف بهما اى فيلا تأجيرها مفروشة لمدة أسبوع للسياح الأمريكان والانجليز الأثرياء ٠ واذا وقفنا بالممر الواقع عند أعتاب الحديقة وتوجهنا ببصرنا الى أعلى التل فاننا نرى السور الحجرى والرصيف المخطط عند حافة الفراغ المحدود الواقع أعلى التل ٠ وفى المساحة الواقعة بين موقفنا عند الممر وهذا الرصيف ، توجد حديقة زهرية تضم حمام سباحة مستديرا وفى وسطها نافورة تحيط بها أحواض زهرية بأشكال هندسية وممرات مفروشة بالحصى واشجار الطقوس المرصوصة على أروع ما يكون الترتيب ٠ هذا ، وتجدر الاشارة الى ان مستوى ارض الحديقة يرتفع فوق مستوى الممر الذى نقف عليه ، ولذلك يمكننا الوصول اليها عبر عدد من درجات سلم يقع فى منتصف الجسر ٠ كذلك نلاحظ أن الرصيف ، هو الآخر ، أعلى من الحديقة ، ومنه نصعد درجتى سلم اضافيتين

نستطيع منهما النظر فوق مستوى السور فيطالعنا مشهد بالغ الجمال للمدينة الواقعة فى نهاية الوادى ، وللتلال الممتدة وراءها والتى تتحول ـ بعد مسافات شاسعة ـ الى جبال ساحقة ٠

على يسارنا تقع الفيلا ، وهى مزودة بعدد من درجات السلم عند الركن اليسارى للحديقة ٠ واذا عدنا من الرصيف مرورا بالحديقة هابطين الى الممر (وهى الخطوات التى تصبح بها الفيلا خلفنا الى اليمين) فاننا نكتشف اشارة الى اهتمامات أدبية من جانب المقيمين بالمنطقة نتيجة عدم وجود شبكة تنس هناك أو مجموعة من أطواق الكروكيه ٠ وعلى يسارنا أيضا نرى منضدة معدنية عليها بعض الكتب ـ معظمها ذات غلاف أصفر ـ وبجانبها كرسى ، الى جانب كرسى آخر على اليمين وأمامه كتابين مفتوحين على المنضدة ٠ ليس على المنضدة جرائد يومية ، وهو موقف قد يؤدى بالمشاهد الذكى الى التوصل ـ مع غياب الألعاب الرياضية ـ الى أكثر الأحكام تطرفا فيما يتعلق بنوعية المقيمين بالفيلا ٠ على أية حال ، فان مثل هذه التأملات لا يكبح جماحها ـ فى أمسية صافية كهذه ـ غير ظهور « هنرى ستريكر » عند البوابة الصغيرة . وقد ارتدى زيه الرسمى ٠ يفتح البوابة ليمرق منها « جنتلمان » عجوز ثم يسير وراءه على الممر ٠

يبدو أن هذا « الجنتلمان » العجوز يتحدى شمس أسبانيا بارتدائه « فراك » اسود ، وقبعة حريرية عالية ، وبنطلونا ذى خطوط متقاربة يمتزج فيها اللونين : الرمادى الداكن والليلاك فينتجان لونا راقيا ومحترما ، وربطة عنق سوداء ٠ على أن الانسان الذى يفرض وضعه الاجتماعى نوعا من تأكيد الذات المستمر والمتوجس معا ، دون أن يبذل أى اهتمام بالجو الذى يعيش فيه ، هو ذاك الانسان الذى يرتدى مثل هذه الملابس ، سواء فى منطقة صحراوية كهذه أو على قمة جبل مثل « مون بلان » ٠ وحيث أنه لا يضع على صدره الشارة الدالة على طبقته ، والذى يؤدى هدف وجودها بالاعلان والدعاية عن الطبقة الأولى من الخياطين وصناع القبعات النسائية الذين يتعامل معهم ، فانه يبدو ـ عند ارتدائه أفخر ما عنده من ثياب ـ خشنا ومبتذلا ، رغم انه اذا ارتدى ملابس من أى نوع كانت فانه يبدو ـ معها ـ أكثر وقارا واحتراما ٠ وهو منتفخ الوجنتين ، احمر البشرة ، قصير الشعر ، ضيق العينين ، ضخم الفم تحيط بركنيه تجعدات واضحة . وله لحية مدببة ٠ أما الجلد المترهل ، الذى يجىء بفعل عامل السن ، فقد زحف ليغزو رقبته وركنى وجنتيه ٠ ومع ذلك لا يزال بدنه متماسكا كما التفاحة قبل أن تقضمها الأسنان ، ومن ثم يبدو النصف العلوى لوجهه أكثر شبابا وحيوية من نصفه الأسفل ٠ انه يملك من الثقة بالنفس ذلك القدر الذى يتوفر لدى انسان استطاع جمع الثروة ، وقدر من الضراوة التى يتصف بها انسان جمع تلك الثروة بقدر كبير من النضال المتهافت ٠ ولذلك يختفى تحت مظهره المتمدين قدر واضح من التوجس يبدو انه دفعه

الى ادخار الكثير من الوسائل وكانها رصيد احتياطي يلجأ اليه عند الحاجة .

على اية حال ، فان مثل هذا الانسان يثير فينا قدرا كبيرا من الاشفاق عليه ، خصوصا عندما لا يعمد الى اثارة مخاوفنا منه . وذلك لأنه يتصف احيانا بقدر من العطف على الآخرين .. بالضبط كما لو كانت الآلة التجارية الضخمة ـ التى مكنته من ارتداء «الفراك» ـ قد تركت له قدرا ضئيلا يستطيع به الحياة على سجيته . بينما ازاحت عواطفه جانبا فامست جائعة حائرة .

يتضح من اول لفظ يفلت من شفتيه انه ايرلندى لا تزال لهجته الأولى تتردد اصداؤها فى صوته برغم التغييرات الجمة التى فرضها موطن اقامته الحالى ووضعه الاجتماعى . ان كل ما يستطيع المرء الحدس به هو ان لهجته ايرلندية قح . لكن افساد طريقة النطق فى كل من لندن وجلاسجو ودبلن وغيرها من المدن الكبرى قد فعلت فعلها فى لهجته الى الحد الذى لا يستطيع معه احد ـ باستثناء الشخص المتشرد من احياء لندن الفقيرة (كوكنى) ـ ان يتخيل انها لا تزال هى هى لهجته الوطنية حتى الآن . والسبب انها قد فقدت رنينها ـ رغم ان خشونتها لا تزال واضحة . اما « ستريكر » الذى يبدو « كوكنيا » بشكل واضح جدا ـ فيثير فيه قدرا من الازدراء لا يطاق ويعتبره انجليزيا غبيا لا يستطيع ولو مجرد النطق السليم بلغته الأم . وعلى الطرف الآخر يعتبره « ستريكر » مجرد انسان يتحدث بلهجة « جنتلمان » عجوز ، وكأنه نكتة اطلقتها العناية الآلهية بعد تفكير عميق لكى تثير السخرية بالجنس البريطانى وتجعلنا نعامله بذلك النوع من المعاملة المنعمة بالازدراء والتى تليق بالكائنات المنحطة النكدة ، مع استثناء واحد ، وهو ان هذا الازدراء لا يستثيره الا احتقار هذا « الجنتلمان » العجوز لانتمائه الايرلندى وكأنه هواء لا يمكن مناقشته بجدية .

ستريكر : سأخبر الآنسة بقدومك . قالت انك نحب الاقامة هنا .
(يستدير ويمشى فى الحديقة باتجاه الفيلا)

الأيرلندى : (يتلفت حوله باعجاب ودهشة) الآنسة ؟ .. «مس فيوليت» . هه ؟

ستريكر : نعم .. هل تعرفها ؟

الأيرلندى : وهل تعرفها انت ؟

ستريكر : (بشىء من الانفعال) تعرفها أم لا تعرفها ؟

الأيرلندى : وما دخلك في ذلك ؟

(يعود ســـتريكر ، ويقف فى مواجهته وقد اعتلى وجهه تعبير عن الازدراء)

ستريكر : أقول ما هو دخلى فى ذلك ٠٠ « مس روبنسون » ٠٠

الأيرلندى : (مقاطعا) اوه ٠٠ اذن فهى من أسرة « روبنسون » ، أليس كذلك ؟ ٠٠ شكرا

ستريكر : ماذا ؟ الا تعرف اسمها بالكامل ؟

الأيرلندى : اعرفه ٠٠ ولكن بعد ان سمعته منك ٠

ستريكر : اسمع ! اذا لم تكن أنت الشخص الذى حملت الخطاب اليه ، فما معنى ركوبك معى فى السيارة وحضورك الى هنا ؟

الأيرلندى : اذن ٠٠ لمن حملت الخطاب ؟

ستريكر : حملت الخطاب ل « مســـتر اكتورمالون » كى يحضر لمقابلة « مس روبنسون » ، فهمت ؟ أنا لا أعمل عند « مس روبنسون » ، لكننى حملت الخطاب بناء على رغبتها ٠ أنا أعرف « مستر مالون » وانت لست « مستر مالون » ـ أبدا ٠٠ لكنهم أخبرونى فى الفندق انك أنت « مستر اكتور مالون » ٠٠

مالون : « هكتور مالون » ٠

ستريكر : « هكتور » ٠٠ حسب نطق بلادكم ٠ هذه هى نتيجة الاقامة فى المناطق المتطرفة مثل ايرلندا وأمريكا ٠٠ أما هنا ، فأنت «اكتور» ٠٠ اذا لم تكن قد عرفت ذلك من قبل ، فستعرفه الآن ٠

(تنتهى المناقشة بدخول فيوليت التى تهرع من الفيلا الى الحديقة وتهبط درجات السلم وتقف بين مالون وستريكر) ٠

فيوليت : هل أوصلت الرسالة يا « ستريكر » ؟

ستريكر : نعم يا آنسة ٠ حملتها الى الفندق وأعطيتها لهم هناك وانتظرت هبوط المستر « مالون » من غرفته فهبط الى هذا الشخص وقال انه هو ، وأنه مستعد للرحيل معى ، فأحضرته معى ٠٠ والآن يسحب كل ما قال ٠ ولكن اذا لم يكن هو الانسان الذى تطلبين ، فأرجو أن تقولى ذلك وسأعود به الى حيث كان ٠

مالون : ستسدين الى معروفا اذا سمحت لى بالتحدث معك قليلا يا سيدتى

.. أنا والد « هكتور » .. وهو ما أرجو أن يفهمه هذا البريطانى بعد ساعة من الآن .

ستريكر : (ببرود) لا .. بل قل بعد سنة أو أكثر .. كنا نتوقع منك أن تكون انسانا مهذبا مثل « هكتور » .. وكان يجدر بك أن تمعن النظر قليلا فى الرسالة التى تلقبتها منى . أما الآن ، فأعتقد أنك قد انحدرت كثيرا عن المكانة التى كنا نضعك فيها ، وللأسف .. فان كل ما تحرص عليه هو اضافة حرف « هـ » الى الكلمات . (يخاطب فيوليت بحنان) لا بأس . هل تريـدين التحـدث معه يا آنسة ؟ .. حسن .. سأترككما وحدكما . (ينحنى احتراما لمستر مالون ويخرج) .

فيوليت : (بلباقة) معذرة يا « مستر مالون » اذا كان هذا الرجل قد أساء معاملتك . لكن ليس باليد حيلة .. انه سائق سـيارتنا .

مالون : سائق ماذا ؟

فيوليت : سائق سيارتنا . يستطيع قيادة السيارة بسرعة سبعين ميلا فى الساعة ، ويستطيع اصلاحها عندما تتعطل .. نحن الآن نعتمد على سياراتنا كل الاعتماد ، وسـيارتنا تعتمد عليه تماما وبذلك فاعتمادنا عليه كلى ومطلق .

مالون : سيدتى .. لقد لاحظت أن كل ألف دولار زيادة فى دخل المواطن الانجليزى ، يتبعها اضافة شخص آخر الى الأفراد الذين يعتمد عليهم هذا المواطن . ومن ثم فلست بحاجة الى الاعتـذار عما بدر من سائقك .. أنا الذى جعلته يتحدث فيما أريد أنا ، لأننى بذلك علمت انك تقيمين هنا فى « جرانادا » مع مجموعة من الانجليز ، من بينهم ابنى « هكتور » .

فيوليت : (مستعدة للجدال) . فعلا .. كنا ننوى السفر الى «نيس» ، لكننا اضطررنا للحضور الى « جرانادا » للحاق بشخص غريب الأطوار من أعضاء المجموعة ، وكان قد سبقنا الى السفر .. هلا جلست ؟ (تحمل كتابين كانا موجودين على الكرسى القريب منه وتشير اليه بالجلوس) .

مالون : (متأثرا بهذا التصرف الرقيق) شكرا .. (يجلس ويحملق فيها أثناء ذهابها الى المائدة الحديدية لتضع الكتابين عليها . وعندما تستدير عائدة اليه يبادرها بقوله) « مسز روبنسون » ، أليس كذلك ؟

فيوليت : (تجلس) نعم ·

مالون : (يخرج رســـالة من جيبه) خطابـــك « لهكتـــور » يقول ·· (تفاجأ فيوليت بشروعه في قراءة الرسالة ، فتقف ســـاكتة ·· يصمت مالون قليلا ، ثم يضع نظارته ذات الأطار الذهبي على عينيه ويقرأ) : « عزيزى » ·· خرج الجميع لقضاء فترة المســـاء فى « الهمبرا » ، وقد ادعيت اننى مصابة بالصـــداع وجلســـت وحدى في الحديقة ·· اسرع بركوب ســـيارة « جاك » ، وســـيحضرك « ستريكر » الى فى غمضة عين ·· بسرعة · بسرعة · بسرعة ·· حبيبتك «فيوليت» · (يتطلع اليها ، لكنها تكون قد اســـتعادت سيطرتها على نفسها ، فتقابل نظراته بنظرات ثابتة واثقة ·· يتكلم ببطء)·· لا أفهم على أى أساس يتعرف الناس على بعضهم البعض في المجتمع الانجليزى · لكن ما أعرفه هو أن هذا الخطاب يعنى ، فى أمريكا ، أن هنـــاك علاقـــة حميمة وقوية بين الطرفين اللذين يتبادلان ارساله لأحدهما الآخر ·

فيوليت : بالضـــبط ·· « مســـتر مالون » · أنا أعرف ابنك جيدا ·· هل لديك اعتراض على ذلك ؟

مالون : (يفاجأ بالسؤال) لا ·· لا ·· لست أعترض لأجل الاعتراض فحسب ·· بل أرجو أن تفهمى أن «اكتور» يعتمد على فى كل شيء ، ولذلك يجب عليه أن يأخذ رأيى فى أى خطوة هامة يعتزم الاقدام عليها ·

فيوليت : أعتقد أنك لن تكون قاسيا معه ·

مالون : أرجو ذلـــك يا « مس روبنســـون » · لكن الأمر يختلف ، لأن ما تعتبرونه أنتم ، معشر الشـــباب ، قاســـيا ، لا يعتبر كذلك بالنسبة لى ·

فيوليت : (بانتفاضة بسيطة) اوه ·· حسن ·· أعتقد أنه من الأفضل أن ندخل فى الموضوع مباشرة · « مستر مالون » ·· « هكتور » يطلب يدى للزواج

مالون : فهمت هذا من رسالتك · حسن ·· هـــذا قراره هو يا « مس روبنسون » ·· لكنه اذا تزوج منك فلن يحصل منى على بنس واحد · (يخلع نظارته ويضعها مع الخطاب فى جيبه)

فيوليت : (بشيء من الحدة) هذه قسوة منك يا « مستر مالون » ·

مالون : أنا لم أقل شيئا يسيء اليك يا « مس روبنسون » اسمحى لى بالقول بأنك شابة جميلة وودودة لكننى أفكر فى أشياء أخرى بالنسبة « لهكتور » .

فيوليت : لكن « هكتور » نفسه لا يفكر فى غير ذلك .

مالون : ربما لا .. اذن فليفعل ما يريد ، ولكن دون مساعدة منى ، واعتقد انك مستعدة لذلك انت الاخرى .. عندما تكتب آنسة لشاب بأن يحضر اليها بسرعة بسرعة بسرعة ، فهذا معناه ان النقود لا قيمة لها وأن الحب هو كل شيء عندها .

فيوليت : (بحدة) معذرة يا « مستر مالون » . أنا لا أفكر بهذه الحماقة . « هكتور » محتاج للنقود .

مالون : (بذهول) ممتاز .. ممتاز .. يعمل ليحصل على النقود !!

فيوليت : وما فائدة الحصول على النقود اذا كان سيعمل من أجلها ؟ (تنهض نافذة الصبر) هذا كلام فارغ يا « مستر مالون » .. يجب أن تساعد ابنك فى المحافظة على مستواه .. هذا حقه .

مالون : (بغضب) واستنادا لهذا الحق أنصحك بعدم الزواج منه يا « مس روبنسون » .

(تحاول فيوليت السيطرة على نفسها ، فتفرك أصابع يديها وتجلس متظاهرة بالثبات والهدوء) .

فيوليت : ما هو اعتراضك على شخصى ؟ مركزى الاجتماعى - على الأقل - يكافيء مستوى « هكتور » .. هو بنفسه يعترف بذلك .

مالون : (بغضب) قلت له ذلك كثيرا .. هه ؟ « مس روبنسون » .. المستوى الاجتماعى الذى يعيش به « هكتور » فى انجلترا هو المستوى الذى اخترته أنا له . لقد قدمت له عرضا معقولا . دعيه يختار أعظم قصر تاريخى أو قلعة أو أبرشية فى انجلترا كلها .. وفى اليوم الذى يخبرنى فيه أنه قد اختار لنفسه زوجة على مستوى التقاليد التاريخية لهذا القصر أو القلعة أو الابرشية ، فاننى ساشتريه فورا وأوفر له امكانات الاقامة فيه .

فيوليت : ماذا تعنى بقولك : زوجة على مستوى تقاليده التاريخية ؟ ألا تستطيع أى امرأة جيدة التربية والأخلاق أن توفر له اقامة طيبة فى هذا القصر ؟

مالون : لا يمكن ٠٠ يجب أن تكون مولودة أساسا لتعيش فيه ٠

فيوليت : ولكن « هكتور » لم يولد ليعيش على هـذا المســتوى ، أليس كذلك ؟

مالون : أبدا ٠٠ جدته فتاة ايرلندية حافية القدمين ، وكانت تنظف لى المدفأة ٠٠ دعيه يتزوج فتاة أخرى مثلها ولن أبخل عليه بشيء ٠ دعيه يستخدم نقودى فى رفع مستواه الاجتماعى أو رفع مستوى أى شــخص آخر ٠٠ وحيث تتاح الفرصة لتحقيق أى كســب اجتماعى ، فان ما أنفقه للحصول عليه يعتبر مكســبا هو الآخر ٠ يجب أن يكون هناك شيء ما يسعى الانسان لكسبه ٠ أما الزواج منك فســيجعل الأمور تستقر حيث هى دون أن يحقق أى تقدم ٠

فيوليت : معظم أقاربى سيعارضون كثيرا فى زواجى من حفيد سيدة عادية يا « مستر مالون » ، وهذا تعصب ٠٠ لكن هذه هى رغبتك ٠٠ تريده أن يتزوج من فتاة تحمل لقبا مرموقا ٠٠ لا لشيء الا لتتفاخر انت به ٠

مالون : (ينهض ويقترب منها بشيء من الاحترام الســاخر) يبدو انك انسانة صريحة بكل ما تحمله الكلمة من معان ٠

فيوليت : لا أفهــم ٠٠ لماذا اعتبر فتاة بائســة لمجرد اننى لا أحاول أن أستفيد منك بشيء ٠٠ لماذا تريد جلب التعاسة الى « هكتور » ؟

مالون : هو الذى يجلب التعاسة لنفسه ٠٠ الناس يتعذبون اذا فشــلوا فى الحصول على الحب أكثر من عذابهم اذا فشلوا فى الحصول على المال ٠ أعتقد انك تعتبرين هذه خســة منى ٠٠ لكننى أعى جيدا ما أقول ٠٠ لقد مات أبى جوعا فى ايرلندا فى طاعون سنة ١٨٤٧ ٠٠ هل سمعت عنه ؟

فيوليت : المجاعة ؟

مالون : (بانفعال مكبوت) لا ٠٠ بل الموت جوعا ٠٠ البــلد التى تنتج الطعام بوفرة وتصدره الى الخارج لا تحدث فيها مجاعة ٠٠ أما الذى حدث لأبى فهو أنه مات من الجوع ٠٠ وأما أنا فقد هربت الى أمريكا وأنا طفل على ذراع أمى ٠٠ القانون الانجليزى طردنى أنا وأمى من ايرلندا ٠٠ أما أنت فتستطيعين الاقامة فى ايرلندا ٠٠ وأنا وأشباهى نعود الآن لشراء انجلترا ٠٠ وسنشترى أحسن ما فيها ٠٠ لا أريد ممتلكات الطبقة المتوسطة ، ولا أريد نســاء الطبقة المتوسطة من

أمثالك ان يتزوجن من « هكتور » .. هذه هي الصراحة ، أليس كذلك ؟

فيوليت : « مستر مالون » .. أنا مندهشة جدا أن أسمع رجلا فى مثل سنك وأخلاقك الطيبة يتكلم بهذه الطريقة الرومانتيكية . هل تعتقد أن النبلاء الانجليز سيبيعون لك ممتلكاتهم بمجرد أن تطلب منهم ذلك ؟

مالون : قوبلت بالرفض من اثنين من أعرق العائلات في انجلترا . والغريب أن أحدهما لا يستطيع الانفاق على جميع غرف بيته التاريخى ، رغم أن التراب يغطيها كلها .. والثانى لا يملك نفقات جنازته بعد أن يموت .. ما رأيك في ذلك ؟

فيوليت : شيء مخجل . لكنك تعلم أن الحكومة ستضطر ــ ان عاجلا أو آجلا ــ الى وضع حد لهذه التعديات الاشتراكية على الملكية الخاصة .

مالون : (يتمتم غاضبا) وهل تتعقدين ان هذه الاجراءات ستتصور قبل أن أشترى البيت أو الأبرشية ؟ نعم أبرشية ، لأن اللذان رفضا البيع يملك كل منهما أبرشية .

فيوليت : (تحاول تجنب الكلام فى هذا الموضوع) حسن .. دعنا نتكلم بهدوء يا « مستر مالون » . انت ترى أننا لم نتحدث بالعقل حتى الآن .

مالون : لا أدعى اننى أتكلم بهدوء .. لكننى أعى كل ما أقول .

فيوليت : اذن انت لا تعرف « هكتــور » كما أعرفه أنا . انه انســان رومانسى .. « فادى » .. وهذه « الفادية » ورثها عنك .. وهو يحتاج الى زوجة من نوع معين كى ترعى شئونه .. لكنه ــ كما ترى ــ لا يحتاج لانسان « فادى » ..

مالون : شخص مثلك .. هه ؟

فيوليت : (بهدوء) طبعا .. لكن لا تطلب منى القيام بهذه المهمة قبل أن توفر له ما يساعده على الحفاظ على مستواه .

مالون : (بانزعاج) حاسبى .. حاسبى .. ! ماذا تريدين أن تقولى ؟ أنا لا أنوى أن أطلب منك القيام بأى شيء .

فيوليت : « مستر مالون » .. اذا صممت على اساءة فهمى ، فلن أستطيع استئناف الكلام معك .

مالون : (بغضب) أنا لا أنوى الاساءة اليك بأى حال ·· لكننى أعتقد انفا خرجنا عن الموضوع الأصلى ·

(يدخل سنتريكر متظاهرا بالاستعجال ، ويفتح الباب ليدخل منه هكتور منزعجا فتسرع اليه فيوليت) ·

فيوليت : اوه ·· يا للحظ التعس ·· « هكتور » ، لا تقل شـيئا من فضلك ·· اخرج حتى انتهى من الكلام مع والدك ·

هكتور : (بدون تردد) لا يا «فيوليت» ·· انما أريد اخراج هذا الشخص من هنا ، وفورا · (ينحيها جانبا ويخطو لمواجهة أبيه الذى يضطرب من هول المفاجأة) بابا ·· انت لم تتصرف كانسان شريف ·

مالون : ماذا تعنى ؟

هكتور : فتحت خطابا مرسـلا لى ·· أحرجتنى وأحرجت هذه السـيدة وهذا تصرف غير شريف ·

مالون : (مهددا) « هكتور » ·· انتبه لما تقول ·· احذر ·· فاهم ؟

هكتور : حرصت بما فيه الكفاية ، ولا أزال حريصا ·· أحرص على كرامتى ووضعى فى المجتمع الانجليزى ·

مالون : (غاضبا) وضعك هذا حققته بنقودى أنا ·· هل تعرف ذلك ؟

هكتور : آه ·· لكنك أفسدت كل شىء بفتحك للخطاب يا أبى · رسالة من سيدة انجليزية ، ليست مكتوبة لك ·· رسالة سرية ·· رسالة حب ·· رسالة خاصة ·· يفتحها أبى !! تصرف لا يقره انسـان فى المجتمع الانجليزى · هيا ننصرف من هنا ، وبأقصى سرعة ممكنة هذا أفضل ·

فيوليت : (تزجره لسلوكه هذا) «هكتور» ·· كن عاقلا ·· شىء طبيعى أن يفتح «المستر مالون» رسالتى ·· اسمه مكتوب على المظروف ·

مالون : آه ·· انت ولد قليل الذوق يا « هكتور » · شكرا لك يا « مس روبنسون » ·

هكتور : شكرا لك ·· هذا كرم منك يا « فيوليت » ، لكن أبى لا يفهم الى هذا الحد ·

مالون : (يفرك أصابع يديه بعصبية) « هكتور » !

هكتور : اوه ·· لا فائدة من الصياح باسمى بهذا الالحاح · الرسـالة الخاصة رسالة خاصة يا بابا · لا تنكر ذلك ·

مالون : (غاضبا) أنا لا أسمح لك بأن تكلمنى بهذه الطريقة ·· سامع ؟

فيوليت : اش ·· ارجوكما ·· اسكتا ·· الجميع قادمون ·

(يسكتان ويحملقان فى أحدهما الآخر · يدخل تانر وريمسدن واوكتافيوس وآن)

فيوليت : عدتم بسرعة !

تانر : « الهمبرا » مغلق هذا المساء ·

فيوليت : يا للحظ السىء !!

(يفاجأ تانر بوجوده بين هكتور والعجوز الذى لا يعرفه ، وعلى كليهما تبدو آثار العراك ·· ينتقل بعينيه بينهما متسائلا ، فيتجنبان نظراته ويكبتان انفعالاتهما) ·

ريمسدن : « فيوليت » ·· هل من الحكمة أن تخرجى الى الشمس وانت مصابة بالصداع ؟

تانر : وأنت يا « مالون » ·· هل شفيت ؟

فيوليت : اوه ·· نسيت ·· لم تتعرفا على بعضكما البعض ·· « مستر مالون » ·· قدم والدك للأصدقاء ·

هكتور : (بثبات كالرومان القدماء) لا ·· لن أفعل ·· ليس أبى ·

مالون : (بغضب شديد) تحرج أبوك أمام أصدقائك الانجليز يا ولد ؟

فيوليت : أرجوك ·· لا داعى للفضائح ·

(يتباطأ اوكتافيوس وآن فى السير عند البوابة ، ويتبادلان نظرات متسائلة ثم يعبران درجات السلم الى الحديقة حيث يشهدان ما يحدث دون تدخل منهما) ·

هكتور : آسف جدا يا « مس روبنسون » ·· أنا أدافع عن مبدأ ·· انا ابن ··وأرجو أن أكون ولدا بارا ·· لكننى ــ قبل كل شىء ــ « رجل » !! وعندما يتصرف أبى فى رسائلى الخاصة وكأنها خاصة به هو ، ويعتبر أن من حقه الحكم بعدم زواجى منك ، رغم اننى اعتبرت نفسى سعيدا ومحظوظا جدا عندما حصلت على موافقتك على الزواج منى ، فليس أمامى غير أن أعض على أصابعى وأمضى ·

تانر : تتزوج « فيوليت » ؟!

ريمسدن : هل انت فى كامل قواك العقلية ؟

تانر : هل نسيت ما أخبرناك به ؟

هكتور : (بشجاعة) لا يهمنى ما أخبرتمونى به ٠

ريمسلن : (باشمئزاز) اوب ٠٠ اوب ٠٠ اوب ٠٠ سيدى ! هذه فضيحة ٠٠ مصيبة (يندفع تجاه بوابة الحديقة وهو ينتفض اشمئزازا) ٠

تانر : مجنون آخر ٠٠ هؤلاء الرجال المحبـون يجب وضعهم فى زنزانة (ينظر الى هكتور وكأنه انســان ميئوس منه ويتجه الى البوابة ، ويلحق به مالون ، ثم يتوقف فجأة)

مالون : أنا لا أفهم شيئا ٠٠ أليس « هكتور » على مستوى هذه السيدة ؟

تانر : يا سيدى العزيز ، هذه السيدة متزوجة فعلا ٠٠ « هكتور » يعرف ذلك ٠٠ ومع ذلك يصر على جنونه هذا ٠ عدبه الى البيت وأغلق عليه الباب ٠

مالون : (بمرارة) اذن فهذه هى النغمة الاجتماعية العليا التى أفســدتها بسلوكى الشائن الجاهل ؟ تحب امرأة متزوجة ؟ (يمشى ويقف بين هكتور وفيوليت ويشده من أذنه اليسرى) ٠٠ عادة تعلمتهـا من الأرستقراطية البريطانية ، أليس كذلك ؟

هكتور : هذا صحيح ٠ لا تزعج نفسك بهذا الموضوع ٠ أنا المسئول عن الجانب الأخلاقى فى كل ما أفعل ٠

تانر : (يتحرك ويقف عن يمين هكتور) أحسنت يا « مالون » ٠ انت الآخر تعتقد أن قوانين الزواج المجردة ليســت لها قيمة أخلاقية ٠ أنا معك ٠٠ لكن من سوء الحظ أن « فيوليت » لن تكون معنا هى الأخرى ٠

مالون : اسمح لى أن أشك فى ذلك يا ســيدى (يتحول الى فيوليت) اسمحى لى أن أقول لك يا « مسز روبنسون » ، أو مهما يكن اسمك الحقيقى ، أنه اذا كنت فعلا زوجة لرجل آخر ، فليس من حقك كتابة هذه الرسالة وارسالها الى ابنى ٠

هكتور : (بغضب شديد) هذه هى القشة التى قســمت ظهر البعير ٠ بابا ٠٠ انت تهين زوجتى ٠

مالون : زوجتك !

تانر : ها ٠٠ اذن أنت الزوج المفقود ٠٠ رجل أخلاقى ٠

مالون : تتزوج بدون موافقتى !!

ريمسدن : بصراحة أنت خدعتنا يا سيدى ٠

هكتور : كفى ٠٠ كفاكم تعذيبا فى ٠ « فيوليت » وأنا متزوجان فعلا ٠٠ هذه هى القضية من الألف الى الياء ٠ والآن ، ما قولكم ؟

مالون : أنا أعرف ما أريد أن أقول ٠٠ أقول انها قد تزوجت من شحاذ ٠

هكتور : لا ٠٠ بل تزوجت من «عامل» ٠٠ بدأت ــ منذ عصر هذا اليوم ــ آكسب رزقى من عرق جبينى ٠

مالون : (بغضب) تمام ٠٠ هذه هى الجرأة والا فلا ٠٠ لأنك حتى الأمس ، أو ربما صباح اليوم حسب ما اذكر ، كنت تأخذ مصروفك منى ٠

هكتور : (يخرج من جيبه مظروفا) ها هو ٠٠ خذه ٠٠ خذ مصروفك وخذ نفسك واخرج من حياتى ٠٠ لسـت محتاجا لأى مصروف ٠ مللت منك ٠ لا أقبل اهانة زوجتى ولو بألف دولار ٠

مالون : (يشعر بالاهانة ويتأثر لذلك) « هكتور » ٠٠ انت لا تعرف ما هو الفقر يا ولدى ٠

هكتور : (بانفعال) حسن ٠٠ اذن دعنى أتعرف عليه ٠ أريد أن أكون « رجلا » ٠ « فيوليت » ٠٠ تعالى معى الى بيتك ٠٠ سأصحبك اليه ٠

اوكتافيوس : (يقفز من الحديقة الى المساحة الخضراء ويمسك هكتور من يده اليسرى) « هكتور » ٠٠ صافحنى قبل أن تذهب ٠ كيف أعبر لك عن اعجابى بك واحترامى لشـخصك ؟! (يتأثر فتدمع عيناه ويصافح هكتور) ٠

فيوليت : (بتأثر وتكاد تبكى) اوه٠٠ لا تكن أبلها يا «تيفى» ٠ «هكتور» سيصبح « عامل » مثلك تماما ٠

تانر : (يقف على الجانب الآخر من هكتور) اطمئنوا ٠٠ لا تخافوا ٠٠ لن يعمل فى البحرية يا « مستر مالون » ٠ (يخاطب هكتور) لن تجد صعوبة فى الحصول على رأس المال الذى تبدأ به ٠ اعتبرنى صديقا لك ٠٠ اعتمد على ٠

اوكتافيوس : (بحماس) أو على أنا ٠

مالون : (بحسـد) من الـذى يحتاج لنقودكم القذرة ؟ على من غير أبيه

يعتمد ؟ (تانر واوكتافيوس يسعدان بهذا الحل • تتطلع فيوليت الى الجميع بسعادة وتفاؤل) « هكتور » •• لا تتهور يا ولدى •• أعتذر لك عن كل ما قلت •• لم أقصـــد اهانة « فيوليت » •• سأسحب كل ما قلت •• انها نعم الزوجة يا ولدى •

هكتور : (يربت على كتف أبيه) أحسنت يا أبى •• لا تقل أكثر من ذلك • الآن أصبحنا صديقين من جديد • لكننى لن آخذ نقودا من أحد •

مالون : (يعتذر بخضوع) لا تكن قاسيا معى يا « هكتور » • تشاجر معى ثم خذ منى النقود ولكن لا تكن صديقا لى ثم تموت من الجوع • انت لا تعرف الدنيا يا ولدى •• أنا أعرفها •

هكتور : لا •• لا •• لا •• انتهى •• لن أغير رأيى • (يترك والده ويتجه الى فيوليت) تعالى يا « مسز مالون » •• هيا معى الى الفندق •• آن الأوان كى تتبوأى مكانك اللائق بك أمام العالم أجمع •

فيوليت : سأدخل الى الفيلا أولا كى أطلب من «ديفيس» أن يحزم حقائبى ••اسبقنى انت واطلب منهم أن يحجزوا لى غرفة تطل على الحديقة ، وسألحق بك خلال نصف ساعة •

هكتور : لا مانع •• بابا •• ستتناول غداءك معنا ، أليس كذلك ؟

مالون : (آملا فى مجاملته) طبعا • طبعا •

هكتور : نراكم على خير • (يصافح آن وتانر واوكتافيوس وريمسدن ، ويغادر الحديقة مرورا بالبوابة الصغيرة ، تاركا والده مع فيوليت)

مالون : ستحاولين اعادة عقله الى رأسه يا « فيوليت » ، أعرف انك قادرة على ذلك •

فيوليت : لم أكن أتصور انه عنيد بهذا الشــكل • واذا اصر على موقفه هذا ، فما باليد حيلة !

مالون : حاولى يا ابنتى •• ربما تكون احتياجات البيت بسيطة فى بداية الزواج •• لكنكما لن تستطيعا مواجهتها بعد ذلك • ســـتحاولين اقناعه •• هذا وعد منك ، أليس كذلك ؟

فيوليت : سأبذل كل جهدى • لا شك ان الاصرار على الحيــاة مع الفقر يعتبر دربا من الجنون •

مالون : بالتأكيد •

فيوليت : (بعد لحظة تأمل) أعطنى المصروف ·· سيحتاجه لدفع فاتورة الفندق ، وسأحاول اقناعه بقبوله ·· ليس الآن ، ولكن بعد فترة ·

مالون : (بشوق) طبعا · طبعا · طبعا ·· هذا هو الحل السـليم · (يعطيها ورقة بألف دولار · ثم يخاطبها بدهاء واضح) هذا مصروف شاب عازب كما تعلمين ·

فيوليت : (ببرود) اوه ·· طبعا (تأخذ النقود) شكرا · على فكرة ·· ما أخبار البيتين اللذين تكلمت عنهما ؟ ·· الابروشيتان ·

مالون : ماذا عنهما ؟

فيوليت : لا تشترى أيهما قبل أن أراه · الانسان لا يعرف عيوب هذه الأماكن الا اذا رآها بنفسه ·

مالون : وهو كذلك · اطمئنى ·· لن أفعل شيئا قبل أن آخذ رأيك ·

فيوليت : (بأدب ، ولكن دون أن تبدى أى احساس بالامتنان) شكرا ·· هذا هو أحسن شيء · (تتجه الى الفيلا بهدوء ومعها مالون) ·

تانر : (يلفت انتباه ريمسدن الى خضوع مالون ل : فيوليت) هذا الوغد البائس بليونير ! واحد من أشهر أبناء عصره ! ·· أسـلم رقبته كالكلب الضال لأول فتاة احتقرته ، فوضعت السلسلة حول رقبته وقادته من ورائها (يمشى على السطح الأخضر) ·

ريمسدن : كلما أسرعت الى خوض هذه التجربة كلما كان ذلك خيرا لك (يمشى وراءه) ·

مالون : (يفرك يديه وهو عائد الى الحديقة) امرأة عظيمة تلك التى ظفر بها «مالون» · لن أسمح له بتركها ولو دفعوا لذلك عشرة دوقيات·

(يهبط الى السطح الأخضر ويقف بين ريمسدن وتانر) ·

ريمسدن : (بأدب) « مستر مالون » ·· يسعدنى جدا أن تشرف هذا المكان من العالم · هل أتيت لشراء « الهمبرا » ؟ ·

مالون : لا أنكر ذلك · أعتقد اننى أستطيع خدمته أكثر مما تسـتطيع الحكومة الأسبانية · لكننى لم أحضر من أجله وحده ·· بصراحة ، سمعت منذ شهر مضى عن رجلين يتساومان على عدد من الأسهم ، وأنهما اختلفا على الثمن ·· شابان صغيران جشعان · لم يفهما أنه اذا كانت الأسهم تساوى كل هذا الجدل الـذى فعلاه من أجلها ، فانهما يجب أن يكونا على مستوى الشيء المطلوب منهما ، خصوصا

وأن فرق السعر الذى اختلفنا حوله لم يكن كبيرا ٠٠ ولكى اريح نفسى ، حسمت الأمر واشتريت الأسهم ٠ وللآن لم أعرف الشركة التى أصدرت هذه الأسهم ٠ عرفت ان مكتب الشركة هنا ٠٠ فى هذه المدينة ، وأن اســـمها « مندوز اليمتد » ٠٠ لكننى لا أعرف ان كانت هذه الشركة شركة مناجم أو خطوط بواخر أو بنك ٠٠ حتى لا أعرف ان كانت مسجلة أم لا ٠٠

تانر : بل هو اســـم رجل ٠٠ أنا أعرفه ٠٠ رجل له مبادىء « تجارية » أساسا ٠ تفضل معنا نقوم بنزهة حول المدينة بسيارتى ، وستقابله فى الطريق العام ٠

مالون : لا مانع ٠ هذا عطف كبير منك ٠ هل لى أن أســأل عن اســـم سيادتك ؟

تانر : هذا هو « مستر روبيك ريمسدن » ٠٠ صديق قديم جدا لزوجة ابنك ٠

مالون : يسعدنى لقاؤك يا « مستر ريمسدن » ٠

ريمسدن : شكرا ٠٠ « المستر تانر » هو الآخر واحدا من أصحابنا ٠

مالون : يسعدنى التعرف عليك يامستر تانر ٠

تانر : شكرا ٠ (يخرج مالون وريمسدن من البوابة الصغيرة ٠ أما تانر فيستدعى اوكتافيوس وآن اللذان كانا يتنزهان فى الحديقة) ٠ تيفى ٠٠ هل عرفت ؟ صهر «فيوليت» يمول قطاع الطريق (يسرع تانر بالخروج للحاق بـ : مالون وريمسدن) ٠

آن : ألن تذهب معهم يا « تيفى » ؟

اوكتافيوس : (تدمع عيناه فجأة) أنت تحطمين قلبى يا « آن » ٠٠ دائما تريدين ابعادى عنك ٠

آن : مسكين يا « ريكى تيكى تيفى » ! ٠ حساس ٠٠ قلبك ضعيف !

اوكتافيوس : انه قلبى أنا يا آن » ٠٠ معذرة ٠٠ يحب أن أفصح عما يكنه لك ٠ احبك ٠٠ وانت تعرفين أننى أحبك ٠

آن : وما الفائدة يا تيفى » ؟ انت تعلم ان أمى مصممة على تزويجى من « جاك » ٠

اوكتافيوس : (بانزعاج) « جاك » !

آن : شيء مضحك ، أليس كذلك ؟

اوكتافيوس : (بازدراء) أتقصدين أن « جاك » كان يلعب بى طوال هذه المدة ؟ وبأنه كان يحذرنى من الزواج منك حتى يخلو له الجو ويتزوجك هو ؟

آن : (بانزعاج) لا ·· لا ·· أرجوك لا تبلغه اننى قلت لك ذلك · أنا لم أفكر ، ولو للحظة واحدة ، فى أن « جاك » يعرف ما يريد بالضبط · لكننى فهمت من وصية أبى أنه يريدنى أن أتزوج من « جاك » ، وأن أمى مصممة على ذلك ·

اوكتافيوس : لكنك لست مجبرة على التضحية بنفسك دائما لمجرد الاستجابة لرغبات والديك ·

آن : أبى كان يحبنى ·· وأمى تحبنى · ومن المؤكد ان رغباتهما تعتبر مؤشرا جيدا لى ، وأفضل كثيرا من الانسياق وراء رغباتى الذاتية الأنانية ·

اوكتافيوس : اوه ·· أعرف كم تضحين من أجل الآخرين يا آن · لكن صدقينى ·· ورغم أننى أتكلم لمصلحتى الشخصية ـ صدقينى ان لهذه المسألة جانب آخر · هل من الانصاف ان تتزوجى « جاك » اذا كنت لا تحبينه ؟ وهل من الانصاف أن تحطمى سعادتى وسعادتك انت فى الوقت الذى تستطيعين فيه مبادلتى حبا بحب ؟

آن : (ترمقه بنظرات ملؤها الاشفاق) « تيفى » يا عزيزى ·· انت مخلوق رقيق ·· ولد طيب ·

اوكتافيوس : (احساس بالاحباط) أهذا هو كل شيء ؟

آن : صدقنى ·· هذا يكفى · ستظل دائما تعبد الأرض التى أمشى عليها ، أليس كذلك ؟

اوكتافيوس : أجل · شيء مضحك ·· لكنه ليس غريبا · سأفعل ·· ودائما سأفعل ·

آن : « دائما » ·· كلمة طويلة يا « تيفى » · سأعيش دائما على فكرة تقديسك لحبى ، وهذا هو ما لا أضمن تحقيقه لو أننا تزوجنا · لكننى اذا تزوجت « جاك » ، فلن أخدعك ·· على الأقل الى أن أصبح امرأة عجوز محطمة ·

اوكتافيوس : أنا الآخر سأصبح عجوزا يا « آن » · سأظل حتى أبلغ الثمانين من عمرى أرتجف لشعرة بيضاء واحدة من رأس المرأة التى

أحبها ، أكثر مما تحركني أكبر خصلة ذهبية من شعر أجمل امرأة أخرى غير التي أحببتها ·

آن : (بتأثر بالغ) اوه ·· هذا شعر يا « تيفى » ·· شـــعر حقيقى · كلامك يجسد عندى احساسا غريبا يتردد فى ذاكرتى وكأنه أصداء لأشياء سمعتها من عالم سابق كان بالنسبة لى مثل «بروفة» عشتها فى عالم الأرواح الخالدة ·

اوكتافيوس : هل تصدقين هذه الأشياء ؟

آن : « تيفى » ·· اذا كانت هذه الأشياء صحيحة ، فانه يستوى عندى أن تحبنى وأن تفقدنى ·

اوكتافيوس : اوه ! (يسارع بالجلوس الى المائدة ويغطى وجهه بيديه) ·

آن : (متعاطفة معه) « تيفى » ·· لن أحطم آمالك ولو مقابل الكون كله · لن آخذك ، ولن ادعك تضيع منى · ستكون معشوق النســـاء ، وستذهب الى الاوبرا كثيرا · القلب الكسير يعتبر ميزة كبيرة فى يد الرجل الذى يعيش فى لندن ، خصوصا اذا كان ماله وفيرا ·

اوكتافيوس : (يهدأ وقد ظن أنه يسيطر على نفسه) « آن » ·· أعرف انك تحاولين أن تكونى لطيفة معى · لقد استطاع « تانر » اقناعك بأن العـــلاج الناجح لحـــالتى هو التهكم · (يقف وعلى وجهه تعبير بالازدراء) ·

آن : (تتفحصه بهدوء) اراك تتهمنى بأننى أخيب آمالك فى · هذا هو ما يؤرقنى ·

اوكتافيوس : ولا يؤرقك أن تخدعى « جاك » ؟

آن : (يعلو وجهها تعبير بالسرور فتهمس) لا يمكن ·· لأنه لا يعلق أية آمال على سافأجئه بطريقة أخرى · الايحاء للناس بانطباع سىء عن المرء يعتبر أسهل كثيرا من التصرف أمامهم وكأنه مثل أعلى · اوه ·· أحيانا أحس أننى سأسعد « جاك » ·

اوكتافيوس : لا شك فى ذلك · بل ستدخلين السعادة الى قلبه دائما ، بينما يظن الغبى انك ستجلبين اليه التعاسة ·

آن : نعم · هذا هو الشىء الصعب فعلا ·

اوكتافيوس : (بشىء من البطولة) هل أخبره بانك تحبينه ؟

آن : (بسرعة) اوه . لا .. والا هرب منى مرة أخرى .

اوكتافيوس : (بألم) « آن » .. أتتزوجين من رجل لا يحبك ؟

آن : أى مخلوق غريب أنت يا « تيفى ؟ ليس هناك أروع من الحصول على الرجل المحب ، خصوصا اذا سعيت اليه بنفسك . (تضحك بدلال) أعتقد أننى أصدمك بموقفى هذا . لكننى أعتقد أنك تحس بشىء من الرضا لأنك تنجو بنفسك من هذه الأخطار .

اوكتافيوس : (بدهشة) الرضا ! . (باحتقار) تقولين لى ذلك ؟

آن : حسنا .. موقفى يسبب لك شيئا من العذاب ، فهل تريد منه المزيد ؟

اوكتافيوس : وهل سألتك المزيد من العذاب ؟

آن : حسبنا .. انت عرضت على التطوع باخبار « جاك » بحبى له . أعتقد أن هذه تضحية كبيرة منك ، وهذا يعلن عن شىء من الاحساس بالرضا .. ربما لأنك شاعر .. نعم .. انت كالطائر الذى يفرك صدره فى الأشواك الحادة ، وكأن وخز الشوك يستثير فيه قدرته على الغناء .

اوكتافيوس : بسيطة.. أنا أحبك وأتمنى لك السعادة. وانت لا تحبيننى .. ولذلك لن أستطيع تحقيق السعادة لك . لكننى أستطيع مساعدة الرجل الآخر على تحقيقها لك .

آن : أجل .. هكذا يبدو الأمر بسيطا . لكننى أشك فى قدرتنا فعلا على فهم الدوافع التى تجعلنا نتصرف بهذه الطريقة . لذلك يصبح التصرف الواقعى البسيط هو أن تذهب مباشرة الى الشىء الذى تريده ثم تنتزعه لنفسك . « تيفى » .. أنا لا أحبك .. هذا صحيح .. لكننى أشعر أحيانا أن واجبى يفرض على أن أجعل منك رجلا . نعم .. انت غبى جدا مع النساء .

اوكتافيوس : (ببرود) أنا قانع بمستواى فى هذه الأمور .

آن : اذن ابعد عنهن .. ويكفيك أن تحلم بهن . «تيفى» .. لن أتزوجك ، حتى ولو كسبت العالم كله بهذا الزواج .

اوكتافيوس : هذا شىء ميئوس منه يا « آن » . أنا راض بسوء حظى . وأعتقد انك لا تعلمين كم يؤذينى ذلك .

آن : انت طيب القلب . غريب جدا أن تكون مختلفا عن « فيوليت » الى هذا الحد . « فيوليت » حادة كالمسامير .

اوكتافيوس : لا ·· لا ·· أنا متأكد أن « فيوليت » انثى من كل قلبها ·

آن : (نافذة الصبر) لماذا تقول ذلك ؟ عندما تكون المرأة مفكرة وعملية وعاقلة ، ألا يكون هذا من الانوثة فى شىء ؟ · هل تتمنى أن تكون « فيوليت » غبية أو تتصف بأى صفة شائنة مثلى ؟

اوكتافيوس : أى صفة شائنة مثلك ؟ ماذا تقصدين يا « آن » ؟

آن : لا أقصد ما يجول بخاطرك · أنا أحترم « فيوليت » جدا لأنها تشق طريقها بنفسها دائما ·

اوكتافيوس : (يتأوه) وانت كذلك ·

آن : صحيح ·· لكنها تحقق رغباتها بطريقة أو بأخرى وبدون تملق ·· وبدون أن تستجدى تعاطف الناس معها ·

اوكتافيوس : أعتقد ان الناس لا يمكن أن يتعاطفون مع « فيوليت » بمثل هذا الشعور الذى يبدون تجاهها ·

آن : صحيح ·· ولكن اذا سمحت هى لهم بذلك ·

اوكتافيوس : لكن الواقع ان أى امرأة رقيقة فعلا لا يمكن أن تتصرف بهذا الأسلوب العملى الواعى ازاء عواطف الرجال ·

آن : (تلوح بيدها غضبا) « تيفى » ·· اوه ·· « ريكى تيكى تبفى » ليكن الله فى عون المرأة التى تتزوج منك ·

اوكتافيوس : (تثور عاطفته) اوه ·· لماذا ·· لماذا تقولين هذا الكلام ؟ لا تمعنى فى تعذيبى · لم أعد قادرا على فهمك ·

آن : افرض أنها تكذب ، وأنها تضع الفخاخ لاصطياد الرجال !

اوكتافيوس : وهل تصدقين أننى يمكن أن أتزوج من امرأة كهـذه ، وأنا الذى عرفتك وأحببتك ؟

آن : هيه حسن ·· اذا كانت عاقلة فلن تتخلى عنك · اتفقنا ·· دعنا الآن ننهى الكلام فى هذا الموضوع · قل انك سامحتنى وأن موضوعنا قد انتهى عند هذا الحد ·

اوكتافيوس : ولماذا أسامح والموضوع قد انتهى ؟ لئن كان جرحى لا يزال داميا ، فعلى الأقل لن تربنه وهو ينزف ·

آن : ستظل شـاعريا الى الابد يا « تيفى » · وداعا يا عزيزى · (تربت

بيدها على خده ، وتميل الى تقبيله ثم تمنع نفسها عن ذلك ، وتخرج من الحديقة بسرعة متجهة الى الفيلا) ·

(يعود اوكتافيوس للجلوس الى المنضدة وقد دفن رأسه بين كفيه · تدخل مسز واتيفيلد من البوابة الصغيرة) ·

مسز واتيفيلد : (مسرعة الى اوكتافيوس) « تيفى » ! ماذا حدث ؟ هل انت مريض ؟

اوكتافيوس : كلا · لا شىء ·· لا شىء ·

مسز واتيفيلد : (تمسك رأسه بقلق) لكنك تبكى ·· هل بسبب زواج « فيوليت » ؟

اوكتافيوس : لا · لا · من أخبرك بموضوع « فيوليت » ؟

مسز واتيفيلد : (ترفع يديها عن رأسه) قابلت « روبيك » ومعه ذلك العجوز الايرلندى المخيف · أمتأكد انك لست مريضا ؟ اذن ماذا حدث ؟

اوكتافيوس : (بتأثر) لا شىء ·· مجر· ـجل محطم القلب · ألا يبدو الأمر مضحكا ؟

مسز واتيفيلد : لم كل هذا الانفعال ؟ هل أساءت آن اليك ؟

اوكتافيوس : ليست الغلطة غلطة « آن » · ولا تظنى ، ولو لحظة واحدة ، أننى أعتب عليك لما حدث ·

مسز واتيفيلد : (بانزعاج) تعاتبنى ؟ لماذا ؟

اوكتافيوس : أبدا ·· أبدا · أقول أننى لا أعتب عليك ·

مسز واتيفيلد : أنا لم أفعل شيئا · ماذا حدث ؟

اوكتافيوس : (يبتسم بحزن) ألم تفهمى قصدى ؟ أستطيع القول بأن لك الحق فى تفضيل « جاك » على فى الزواج من « آن » · لكننى أحب « آن » ، وزواجها من « جاك » ليس فى صالحها · (ينهض ويخطو بعيدا عنها تجاه المسطح الأخضر) ·

مسز واتيفيلد : (تلحق به مسرعة) هل قالت « آن » اننى فرضت عليها الزواج من « جاك » ؟

اوكتافيوس : أجل · قالت لى ذلك ·

مسز واتيفيلد : (تفكر بعمق) اذن ، معذرة يا «تيفي» · بل هى طريقتها فى التعبير عن رغبتها فى الزواج من « جاك » · أما أنا ، فلا يهمها ما أريد ولا ما أقول !

اوكتافيوس : لكنهـا لن تقول ذلك الا ما اذا كانت واثقة من قولها · طبعا انت لا تشكين فى أن « آن » يمكن أن ·· تخادع ·

مسزواتيفيلد : حسن ·· لا يهم يا « تيفى » ·· لا يهم · أنا لا أعرف من منكما هو الشاب المثالى : أهو قليل الخبرة مثلك انت أم واســع التجربة مثل « جاك » !

(**يعودتانر**) ·

تانر : حســن ·· تخلصت من العجوز « مالون » · قدمته الى « مندوزا ليمتد » ، وتركت اللصين لمناقشة موضوعهما معا · هاللو « تيفى » ·· ماذا بك ؟

اوكتافيوس : أنا ذاهب لأغسل وجهى · (يخاطب مسز واتيفيلد) حدثيه على راحتك · (ل : تانر) اسمعها منى يا « جاك » · «آن» وافقت وانتهى كل شىء ·

تانر : (ينزعج من طريقة كلام اوكتافيوس) وافقت ؟ على أى شىء ؟

اوكتافيوس : على ما تريده « مسز واتيفيلد » (يخرج متجها الى الفيلا) ·

تانر : (لمسز واتيفيلد) منتهى الغموض · ما هو الذى وافقت عليه ؟ سأخضع لارادتك مهما كان الثمن ·

مسز واتيفيلد : (تتظاهر بالبكاء) شكرا يا « جاك » · (تجلس ، بينما يحمل تانر الكرسى المجاور للمنضدة ويجلس بجوارها وقد أسند مرفقيه على ركبتيه وكله انتباه لسماع ما تقول) · لسـت أعرف لـماذا أحب أطفـال الآخرين ، فى حين أن ابنتى أنا لا تعمل لى أى حساب · لا تندهش عندما ترانى مهتمة بأمورك انت و « تيفى » و « فيوليت » أكثر من قدرتى على الاهتمام بـ : «آن» و «رودا» ·· دنيا عجيبة ·· تبدو غاية فى الوضوح والبساطة ، ومع ذلك ترى الناس لا يفكرون ولا يحسون بأمور الدنيا كما يجب أن تكون · لقد اهتزت الأفكار فى رأسى منذ سماعى لتلك الخطبة التى ألقاها البروفسور « يتذال » فى « بلفاست » ·· الصحيح لم يعد صحيحا ·

تانر : فعلا · الحياة أكثر تعقيدا مما نظن · لكن ، بماذا تأمرين ؟

مسز واتيفيلد : هذا هو ما أريد مصارحتك به ‥ ستتزوج « آن » ، سواء برضائى أو عدم رضائى ·

تانر : (بانزعاج) يبدو أننى سأزف الى « آن » ، وفورا ، سواء رضيت أم أبيت ·

مسز واتيفيلد : (بهدوء) اوه ‥ عين العقل · انت تعرفها عندما تصمم على شيء · كل ما أرجوه ألا تحملنى أنا مسئولية ذلك · أخبرنى « تيفى » الآن أنها قالت له أننى أنا التى ادفعها الى الزواج منك ، والمسكين محطم ‥ يحبها من كل قلبه ، رغم تصرفاتها الغريبة ‥ يعلم الله اننى لا علم لى بأى شيء · لا فائدة من اخبار « تيفى » بأن « آن » اذا أرادت شيئا فانها توحى للآخرين بأننى أنا التى أريد هذا الشيء فى حين أكون أنا خالية الذهن تماما من هذا الشيء كل ما هنالك أنها تحمل « تيفى » الى مناصبتى العداء · لكنك ‥ انت تفهم الموقف جيدا ، ولذلك أرجوك ‥ اذا تزوجتها لا تلق على أى مسئولية ·

تانر : (باصرار) ليست لدى أى نية للزواج منها ·

مسز واتيفيلد : (بدهاء) لماذا ؟ ‥ ستكون مناسبة لك أكثر من صلاحيتها ل : «تيفى » · معك تستطيع تحقيق أهدافها ، وأنا أحب أن أراها تسعى لتحقيق أهدافها ·

تانر : لا يمكن أن يكون الرجل هدفا للمرأة ، الا فى لعبة البوكر أو فى الأحذية ذات المسامير ، تلك التى تستعمل فى تسلق الجبال · على أى حال لن أكون ورقة بوكر فى يدها ، بل مجرد عبد ذليل ·

مسز واتيفيلد : لا · لا ‥ انها خائفة منك · أرها حقيقة نفسها وعندئذ لن تستطيع التهرب منها كما تفعل معى ·

تانر : اذا فعلت ذلك قال عنى الجميع اننى فظ غليظ القلب ، خصوصا اذا صارحتها بحقيقة نفسها وبأحكام من واقع دستورها الأخلاقى الخاص بها ·

مسز واتيفيلد : يسعدنى أن أسمع واحدا منَ الناس لا يعاملها معاملة الملائكة ·

تانر : خذيها منى فى كلمة واحدة . بصفتى زوج مضطر للجهر بحقيقة زوجته ‥ انها كاذبة · وحيث أنها قد أغرقت « تيفى » من قمة رأسه الى اخمص قدمه فى حبها ، ودون أن تكون لديها أية نية

في الزواج منه ، فانني أستطيع القول بأنها داعرة ·· هـــذا اذا اعتبرنا أن المرأة الداعرة هي تلك التي تثير مشـــاعر الناس دون أن يكون لديها استعداد لاحترام هذه المشـــاعر والتجاوب معها · وحيث أنها قد انحدرت الى الحد الذي جعلك تودين التضحية بي ككبش فداء لمجرد أنني أسـتطيع الجهر في وجهها بأنهـا كاذبة ، فانني أضيف الى ذلك أنها « قوادة » ·· وانها لن تستطيع افسادي كما تفعل مع النساء · ولذلك ستظل تحاول ـ مع سبق الاصرار والترصد ـ استخدام جمالها كسلاح يجعل الرجال يعطونها كل ما تريد ·· وهذا يضعها في موقف لا أستطيع التعبير عنه بأي لفظ مهذب ·

مسز واتيفيلد : (باعتراض بسـيط) اوه ·· لا تتوقع من الناس بلوغ الكمال يا « جاك » ·

تانر : أنا لا أتوقع الكمال من أحد · لكن يزعجني أن « آن » تظن أنهـا وصلت الى الكمال · انني أعلم تمام العلم بأن حكمي عليها بأنهـا امرأة كاذبة ولعوب ومنحلة وغيرذلك من الصفات الرذيلة انما يعتبر نوعا من الاتهام الأخلاقي الأجوف الذي يمكن توجيهه لأي انســان آخر · كلنا كاذبون ·· كلنا منحلون ·· كل حسب طاقته ·· كلنا نلهث وراء اثارة اعجاب الناس بنا دون أن نبذل أي جهد من جانبنا للاحتفاظ به ·· كلنا نحاول ـ قدر الامكان ـ الحصول على أكبر ثمن ممكن مقابل ما تملكه من طاقات ساحرة مغرية · واذا اعترفت « آن » بهذه المسائل فلن اختلف معها · لكنها لن تعترف · حتى اذا أصبحت أما ولها أطفال كثيرين ، فلن تتوانى عن تحقيق أكبر استفادة ممكنة من حشو رءوسهم بالأكاذيب · لا لشيء الا لتسلية نفسها بتعذيبهم ·· اذا أبدت أي امرأة اهتمامها بي ، فسترفض التعرف عليها لأنهـا تصبح ـ في رأيها ـ انســانة منحلة · انها لا تفعل الا ما يرضيها هي ، في الوقت الذي تصر فيه على أن يكون تصرف المحيطين بها متمشيا مع التقاليد الأخلاقية الراســخة ·· باختصار ·· أستطيع احتمال أي شيء منها الا قدرتها الخارقة على الخداع ·· هذا هو ما يزعجني ·

مسز واتيفيلد : (يسعدها أن تسمع رأيها يعبر عنه بهذه الفصاحة) اوه ·· فعلا ·· هي منافقة ·· فعلا ·· فعلا ·· أليس كذلك ؟

تانر : اذن ·· لماذا توافقين على زواجي منها ؟

مسز واتيفيلد : (بحزن) أبدا ·· تحملني المسئولية ، أليس كذلك ؟

هـذه الفكرة لم ترد بخاطرى مطلقا ، حتى أخبرنى « تيفى » انها قالتها له . انت تعرف أننى معجبة بـ : « تيفى » .. أعتبره ابنا لى ، ولا أرضى له الضياع أو الذل .

تانر : أما أنا فلا يهم .. لا بأس .

مسز واتيفيلد : اوه .. لا .. انت شىء مختلف الى حد ما .. انت تستطيع حماية نفسك .. تستطيع تحريرها من أفكارها هـذه . وفى النهاية يجب على أى انسان أن يتزوج أى انسان آخر .

تانر : آها .. ! .. غريزة الحياة تتكلم .. انت تمقتينها ، ومع ذلك تريدين لها أن تتزوج .

مسز واتيفيلد : (تنهض وقد صدمت بكلامه) أتعنى اننى أكره ابنتى ؟ لا أتصور انك تظننى انسانة شريرة وشاذة الى هذا الحد ، لمجرد اننى أكشف لك عن أخطائها .

تانر : (بدهاء) اذن .. هل تحبينها ؟

مسز واتيفيلد : ماذا ؟ طبعا أحبها . « جاك » .. ما هذه الأشياء الغريبة التى تقول ؟ كيف لا نحب فلذات اكبادنا ؟

تانر : حسن .. مجرد كلام نتهرب به من الخوض فى أمور حرجة . أما من ناحيتى فأعتقد أن أواصر القربى هذه لها أساس طبيعى يصل بنا الى النفور الطبيعى من أقاربنا . (ينهض) .

مسز واتيفيلد : لا تقل ذلك يا « جاك » . أرجوك لا تبلغ « آن » أننى حدثتك فى هـذه الأمور . كل ما أريده هو أن أصـحح موقفى بالنسبة لكما : انت « وتيفى » .. لا أستطيع الوقوف مشلولة هذا وقد استسلمت لكل شىء .

تانر : (بأدب) صحيح ..

مسز واتيفيلد : (بعدم ارتياح) أعتقد أننى زدت الموضوع تعقيدا . «تيفى» غاضب منى لأننى لا أقدس « آن » كتقديسه لها .. وحينما علمت أن « آن » قد صممت على الزواج منك ، ترى ماذا أستطيع قوله غير أن هذا الزواج سيكون كسبا لها .

تانر : أشكرك .

مسز واتيفيلد : لا تكن سـخيفا . لا تغير كلامى الى معان لا أقصدها . كل ما أتمناه هو أن أكون محايدة و ..

(تعود آن من الفيلا ووراءها فيوليت وقد ارتدت ملابس السفر) ·

آن : (تقف على يمين أمها) عزيزتى ماما ·· يبدو انك استمتعت بحديث مشوق مع « جاك » · صوتكما عال ·· سمعناه من بعيد ·

مسز واتيفيلد : (تهمس لتانر بانزعاج) أو تراها سمعت ؟

تانر : لا تخافى ·· كل ما هنالك أن « آن » ·· حسنا ·· كنا نتحدث عن تصرفاتها السخيفة ·· هونى عليك ·· لم تسمع ولا كلمة ·

مسز واتيفيلد : (بشجاعة) لا يهمنى ان كانت قد سمعت أو لم تسمع · من حقى أن أقول كل ما أريد ·

فيوليت : (تصل الى المكان وتقف بين مسز واتيفيلد وتانر) جئت أودعكما ·· أنا ذاهبة لقضاء شهر العسل ·

مسز واتيفيلد : (تبكى) أوه ·· لا تقولى ذلك يا « فيوليت » ·· لا تقولى زفاف ولا افطار ولا ملابس ولا أى شىء آخر ·

فيوليت : (تطيب خاطرها) لن أغيب عنك طويلا ·

مسز واتيفيلد : لا تذهبى معه الى أمريكا ·· عدينى بذلك ·

فيوليت : (بتصميم) لا أعتقد · صدقينى ·· لا تبك يا عزيزتى ·· أنا ذاهبة الى الفندق ·· هذا هو كل ما هنالك ·

مسز واتيفيلد : لكن ذهابك بهذه الملابس ، وبالحقائب المربوطة يجعلنى اظن أن (تنفجر باكية) كم تمنيت أن تكونى انت ابنتى يا«فيولت» ·

فيوليت : (تهدىء روعها) لا بأس · لا بأس · اذن فأنا ابنتك · ألا تخافى أن تغار منى « آن » ؟

مسز واتيفيلد : « آن » لا يهمها امرى مطلقا ·

آن : يا للعار يا أمى ·· تعـــالى ·· لا تبك يا أمى ·· انت تعرفين ان فيوليت لا تحب البكاء ·

(مسز واتيفيلد تكفكف دموعها وتسكت)

فيوليت : وداعا يا « جاك » ·

تانر : مع السلامة يا « فيوليت » ·

فيوليت : كلما عجلت بالزواج كلما كان ذلك افضل ، والا أساء الناس فهمك ·

تانر : (بارتياح) أتوقع أن يتم تزويجى فى عصر اليوم · يبدو انكم قد قررتم ذلك ·

فيوليت : وربما قبل ذلك · (تخاطب مسز واتيفيلد وقد لفت ذواعها حول خصرها) تعالى معى الى الفندق · ستكون الرحلة متعة لطيفة لك · ادخلى وارتدى معطفا · (تصاحبها فى اتجاه الفيلا) ·

مسز واتيفيلد : (وهما تسيران فى الحديقة) ماذا أفعل بعد ذهابك ، وليس فى البيت غيرى أنا و « آن » ·· وهى دائما مشغولة بالرجال ليس من المعقول أن يحتمل زوجك ازعاج امرأة عجوز مثلى · لا تقولى ذلك يا « فيوليت » ·· الأدب شىء جميـــل ، لكننى أعلم ما يقوله الناس ان أنا ذهبت معك ·

(آن وتانر وحدهما فى الحديقة ·· آن تراقبه وهى صامته · يحاول ان يخطو تجاه البوابة لكنها تجذبه اليها فيقف بجوارها مستسلما)

آن : « فيوليت » على حق ·

تانر : (ينفجر غاضبا) « آن » ··: لن أتزوج منك ·· أتسمعين ؟ لن ، لن ، لن ، لن أتزوج منك ·

آن : (بهدوء وثقة) حسن ·· هى الأخرى تقول يا سيدى ·· تقول ·· تقول يا ســـــيدى ·· ان أحدا لم يســـــتجد الزواج منك · انتهى الموضوع ·

تانر : فعلا ، لم يطلبنى أحد للزواج ·· لكن الجميع يتصرفون معى وكأن الموضوع منتهى ، رغم أنه لا يزال « كلام فى الهواء » ·· عنـــدما نلتقى يختلق الجميع أعذارا واهية كى يتركوننا معا ·· «ريمسدن» لم يعد يكشر فى وجهى ·· أصبحت عيناه تلمعان ، كما لو كان يودعنا معا قبل الذهاب للكنيسة لعقد قراننا هناك · « تيفى » يزكينى أمام أمك ويبارك لى ·· « ستريكر » يعاملنى جهرا وكأننى سأصبح سيدا له عما قريب ·· لقد كان هو أول من حدثنى فى الموضوع ·

آن : ألهذا السبب هربت منى ؟

تانر : أجل ·· لم يوقفنى غير راعى غنم من قطاع الطريق ·· ففررت كالتلميذ الهارب من المدرسة ·

آن : حسن ·· اذا كنت لا تريد الزواج ·· لا تتزوج · (تدير ظهرها له وتجلس بارتياح)

تانر : (يلحق بها) هل يسعى أحد برجليه الى المشنقة ؟ الناس يسلمون رقابهم لحبل المشنقة دون أى مقاومة ، لا لشىء الا للحفاظ على الحياة ، رغم أنهم يستطيعون ، على الأقل ، القاء نظرة أخيرة على القس الواقف بجوار المشنقة · اننا نحقق ارادة الكون فينا دون أن نحقق ارادتنا نحن فى أنفسنا · ان شعورا رهيبا يساورنى بأننى أسلم نفسى الى الزواج لأن ارادة الكون تحتم عليك أن يكون عندك زوج ·

آن : وهذا هو ما سيحدث ذات يوم ·

تانر : لكن لماذا أنا بالذات ؟ أنا من بين جميع الرجال ؟ الزواج عندى هو ارتداء عن العقيدة ·· تلويث لطهارة روحى ·· انتهاك لرجولتى ·· مصادرة لحقى فى الحياة خضوع ذليل ·· استسلام حقير ·· قبول بالهزيمة ·· يجعلنى أتلاشى كأى شىء أدى وظيفته ثم ألقى به الى عرض الطريق ·· يحولنى من رجل له مستقبل الى رجل له ماض ·· يجعل غيرى من الأزواج ذوى العيون الذابلة يرمقوننى بنظرات ملؤها الشماتة لأن سجينا جديدا قد وفد اليهم يشاركهم ذلهم ومهانتهم ·· يلعننى الشباب كواحد منهم خان العهود ·· أما النساء اللاتى كنت عندهن اللغز المحير والأمل المرتقب ، سأصبح مملوكا لشخص آخر ·· فى أفضل الأحوال سأكون « رجل مستهلك » « سكند هاند » ·

آن : اذا ·· يجب على زوجتك أن ترتدى البرقع ، وأن تجعل نفسها قبيحة المنظر ــ مثل جدتى ــ وبذلك تبدو فى المظهر الذى يليق بك ·

تانر : آه ·· لكى تحقق انتصارها الرخيص ·· تضع الطعم ، عيانا بيانا . فى اللحظة التى يقع فيها الصيد فى الفخ ·

آن : افرض ان هذا كله صحيح ·· ما الفرق فى الموضوع ؟ الجمال ــ من الوهلة الأولى ــ شىء رائع جدا ·· لكن من ذا الذى يحتمل التطلع الى الجمال ولو بعد ثلاثة أيام فقط من وجود صاحبته فى البيت ؟ فى البداية ·· عندما أحضر والدى الصور التى التقطناها معا ، كانت فى نظرى جميلة جدا ·· بعد ذلك مضت سنوات طويلة لم ارها ·· انت نفسك ، لم تكلف نفسك عناء النظر فى وجهى ·· اعتدت على شكلى ·· أصبحت عندك مثل عصا الشمسية ··

تانر : يا لك من لعوب ·· انت تكذبين ·· تكذبين ·

آن : انت منافق ·· اذن لماذا حاولت تضليلى مادمت لا تنوى الزواج منى ؟

تانر : قوة الحياة ٠٠ أنا واقع فى قبضة قوة الحياة ٠

آن : لا أفهم شيئا مما تقول ٠ يهيأ لى أنك تقول شيئا كقولهم « حراس الحياة » ٠

تانر : لماذا لا تتزوجين من « تيفى » ؟ انه يريدك ٠٠ ألا تقنعين الا اذا رأيت ضحيتك تتعذب بمحاولة الهروب منك ؟

آن : (تقترب منه وكأنهـا تهمس اليه بسر) لأن «تيفى » لن يتزوج ٠ ألا تفهم أن هذا النوع من الرجال لا يتزوج أبدا ؟

تانر : ماذا ؟ الرجل الذي يقدس النســاء ؟ الذى لا يرى فى الدنيا غير المناظر الرومانسية للاحباء ! « تيفى » ٠٠ ذلك الفارس ٠٠ المخلص ٠٠ الطيب القلب ٠٠ الصادق ! « تيفى » لن يتزوج ؟ لماذا ؟ لقد ولد أساسا لكى يقع فى أسر أول عينين زرقاوتين تصــادفانه فى الطريق :

آن : هذا صحيح ٠ أعلم ذلك ٠ لكن « تيفى » ، كغيره من هذا النوع من الرجال ، يستمتع بحياته فى صحبة « العزوبية » المريحة ، والقلب الجريح ٠٠ يحب أن تعشقه صاحبات هذه القلوب لكنه لا يتزوج من احداهن ٠ اما الرجال الذين من نوعك فهم الذين يتزوجون ٠

تانر : شيء فظيع ٠٠ فظيع ! ٠ لقد كانت تقرأ تعبيرات وجهى ٠٠ تفهم مشاعرى طوال أيام حياتى ، بينما لم أتطلع أنا الى وجهها ولو لمرة واحدة ٠

آن : اوه ٠٠ هكذا يفعل النساء دائما ٠٠ إسمح لى أن أقول ان المزاج الشعرى شيء رائع جدا ٠٠ ودود ٠٠ طيب ٠٠ شاعرى ٠٠ لكنه لا يناسب الا المرأة العجوز ٠

تانر : لكنه مزاج عقيم ، وقوة الحياة تتجاوزه دائما ٠

آن : هذا صحيح اذا كان هو ما تعنيه بقوة الحياة ٠

تانر : ألا يهمك « تيفى » ؟

آن : (تتلفت حولها لتتأكد أن اوكتافيوس لا يسمعها) لا ٠

تانر : وتهتمين بى أنا ؟

آن : (تنهض بهدوء وتشير اليه باصبع يدها) « جاك » ٠٠ تصرف معى بحساب من الآن فصاعدا ٠

تانر : امرأة فاضحة ٠٠ ملعونة ٠٠ شيطانة !

آن : بل أفعى رقطاء ٠٠ فيل ٠٠ هه ؟

تانر : ومنافقة !

آن : (بهدوء) واجبى ٠٠ على الأقل تجاه زوجى المنتظر ٠

تانر : تجاهى أنا ؟ (يحاول السيطرة على انفعاله) أقصد ٠٠ من أجله هو ؟

آن : (تتجاهل هـــذا التصحيح الذى أبداه) نعم ٠٠ من أجلك أنت يا « جاك » ٠٠ من مصلحتك أن تتزوج تلك التى تسميها منافقة ٠ النساء اللاتى لسن منافقات ، واللاتى يرفلن فى أردية من العقلانية ٠٠ هؤلاء النسوة لا يلقين من الناس غير السب والوقوع فى خضم المشاكل الساخنة على اختلاف أنواعها ٠ ومن ثم يورطن أزواجهن معهن فى المشاكل ، ويعشن دائما فى سلسلة متلاحقة من التعقيدات التى لا تنتهى ٠٠ ألا تريد زوجة تستطيع الاعتماد عليها ؟

تانر : كلا ، وألف مرة أقول كلا ٠٠ المشاكل الساخنة هى وقود الانسان الثورى ٠ انك تغسلين الرجال بالماء المغلى ٠٠ بالضبط كما تفعلين فى وعاء اللبن ٠

آن : صحيح ٠٠ لكن لا تنكر أن للماء البارد استعمالاته هو الآخر ٠٠ لأنه صحى ٠

تانر : (يائسا) أوه ٠٠ انت ذكية ٠٠ تعيشـــين أروع لحظات حياتك بالهام من قوة الحياة ٠٠ حسن ٠٠ أنا الآخر أستطيع أن أكون منافقا ٠٠ اذن ضـــعى فى اعتبارك أن وصـــية أبيك جعلتنى لك كفيلا ، ولم ترشحنى خاطبا لك ، ولذلك يجب أن أظل وفيا للثقة التى وضعها « المرحوم » فى ٠

آن : (بنبرات جادة هادئة) صـــحيح ٠٠ لكنه قبل أن يكتب وصـــيته سألنى أن أختار كفيلى بنفسى ٠٠ وأنا اخترتك !

تانر : اذن كانت الوصية تعبيرا عن ارادتك انت ٠٠ آه ! ٠ الفخ منصوب منذ البداية ٠

آن : (تركز عليه كل سحرها) منذ البداية ! منذ طفولتنا المبكرة ٠٠ من أجلنا معا ٠٠ قوة الحياة ٠

تانر : لن أتزوجك ٠٠ لن أتزوجك ٠

آن : اوه ٠٠ بل ستفعل ٠٠ ستفعل ٠

تانر : قلت لك لا ‥ لا ‥ لا ·

آن : وأنا أقول لك نعم ‥ نعم ‥ نعم ·

تانر : لا ·

آن : (بانزعاج) بل نعم ‥ وقبل فوات الأوان ، حيث لا ينفع الندم ‥ نعم ·

تانر : (يتذكر صدى هذه الكلمات من الماضى) هل عشت موقفا كهذا من قبل ؟ ‥ هل نحن فى حلم ؟

آن : (تفقد سيطرتها على نفسها) لا ‥ بل نحن فى صحونا ‥ لا نحلم ‥ كل ما هنالك انك تقول لا ·

تانر : (بشراسة) وماذا بعد ؟

آن : حسن ‥ أنا مخطئة ‥ انت لا تحبنى ·

تانر : (يمسكها من ذراعها) لا تصدقى ‥ أنا أحبك ‥ قوة الحياة هى التى تحفزنى ‥ عندما أضمك بين ذراعى أحس كأننى أمتلك العالم كله ‥ كل ما هنالك اننى أناضل دفاعا عن حريتى وشرفى ونفسى والكل الذى لا يتجزأ ·

آن : سعادتك معى تساوى هذه الأشياء جميعا ·

تانر : اتضحين بالحرية والشرف والنفس من أجل السعادة ؟

آن : طبعا ‥ لأن هذه الأشـــياء لن تحقق لى الســـعادة ‥ بل ربما أو وصلتنى الى الهلاك ·

تانر : (يصرخ) أوه ‥ هذه هى القبضة التى تأسر المرء وتوصـله الى الهلاك · ماذا تظنين بى ؟ أو تؤمنين بأن للأب قلبـا كما أن للأم قلبا ؟

آن : « جاك » ‥ احترس !· اذا رآنا أحد وانت فى هذه الحالة فلن تملك غير الزواج منى ·

تانر : لو أننا كنا الآن على شفا الوقوع فى الهاوية ، فسأمسك بك جيدا كى نسقط معا ·

آن : (تنتحب ، وقد ازداد لديها الاحساس بالضيق) « جاك » ‥ دعنى ‥ لقد تجاوزت حدى ‥ مشوارك أطول مما أظن · دعنى اذهب ‥ لا أطيق ذلك ·

تانر : ولا أنا .. دعيها تقتلنا .

آن : ولم لا ؟ لا يهمنى .. تكاد قوتى أن تخوننى . لا يهمنى .. أحس انني سيغمى على .

(يدخل فيوليت واوكتافيوس من ناحية الفيلا ، ومعهما مسز واتيفيلد وقد ارتدت ملابس السفر . ثم يدخل مالون وريمسدن ومن خلفهما مندوزا وستريكر . يترك تانر يد آن وقد بدا عليه الخجل ، بينما ترفع آن يدها وتفرك بها وجهها) .

مالون : أترون ؟ . يبدو أن السيدة قد أصيبت بمكروه .

ريمسدن : ماذا تعنى ؟

فيوليت : (تجرى لتقف بين آن وتانر) أمتعبة أنت ؟

آن : (تترنح ثم تتماسك بصعوبة) لقد صممت على الزواج من « جاك » (تسقط مغشيا عليها فتحاول فيوليت انقاذها من السقوط ، بينما يجرى تانر لامساكها من يدها الأخرى محاولا حملها عن الأرض . أما اوكتافيوس فيهرع لمساعدة آن دون أن يدرى ماذا يفعل . وأما مسز واثيفيلد فتسرع الى الفيلا . يهرع اوكتافيوس ومالون وريمسدن ويحيطون بـ : آن . أما ستريكر فيتحرك عند قدمى آن ببرود ، بينما يقف مندوزا عند رأسها وكليهما هادىء رابط الجأش) .

ستريكر : والآن ، سيداتى سادتى ، أرجوكم لا تتزاحموا فوق رأسها هكذا .. ما تحتاجه هو الهواء .. كل الهواء الذى يمكن أن يصل اليها . أيها السادة .. افسحوا من فضلكم . (ريمسدن ومالون يرافقانه فى الابتعاد عن آن ، ويتجهون الى المسطح الأخضر ، ويلحق بهم اوكتافيوس بعد احساسه بعدم جدوى وقوفه عند قدمى آن . أما ستريكر فيخاطب تانر قبل أن يغادر مكانه قائلا) : « مستر تانر » .. لا تتركها وحدها .. أرقدها على ظهرها كى يتحرك الدم فى جسمها .

مندوزا : كلامه صحيح يا « مستر تانر » .. اطمئنوا .. الخير كل الخير فى هواء منطقة « سيرا » (ينسحب تجاه سلم الحديقة) .

تانر : (يقف) أنا مذعن لخبرتك الرائعة بالفسيولوجى يا « هنرى » . (ينسحب تجاه المسطح الأخضر فيهرع اليه اوكتافيوس)

تيفى : (يمسك بيد تانر وينتحى به جانبا) مبروك عليك يا « جاك » .

تانر : أنا لم أطلب منها أي شيء · هذا فخ منصوب لى (يسير فى المسطح الأخضر تجاه الحديقة وَيظل اوكتافيوس واقفا مكانه كالصخر) ·

مندوزا : (يعترض طريق مسز واتيفيلد أثناء عودتهـا من الفيلا ومعها زجاجة ويسكى) ما هذا يا مدام ؟
(يأخذ منها الزجاجة) ·

مسز واتيفيلد : قليل من الويسكى ·

مندوزا : أسوأ ما يمكن أن تقدميه لها · عن اذنك (يصب الويسكى فى حلقه) هواء « سييرا » فيه البركة يا مدام · (يحملق الرجال فى مندوزا وقد نسوا موضوع آن) ·

آن : (تلف يدها حول رقبة فيوليت وتهمس فى أذنها) « فيوليت » ·· هل قال « جاك » شيئا عندما كنت مغمى على؟

فيوليت : لا ·

آن : آه ·· (تترك فيوليت ولديها احساس عميق بالارتياح) ·

مسز واتيفيلد : أوه ·· لقد أغمى عليها مرة أخرى !
(الرجال على وشك أن يهرعوا اليها مرة ثانية ، لكن مندوزا يعترض طريقهم) ·

آن : لا يا أمى ·· لم يغم على ·· أنا فى منتهى السعادة ·

تانر : (يتجه اليها ويخطف يدها من فيوليت ويتحسس نبضها) ماذا ؟ ·· نبضها طبيعى جدا ·· هيا ·· قومى ·· ما هذا العبث ؟ ·· قومى (يجذبها لتقف) ·

آن : فعلا ·· أشعر الآن بتحسن ·· كدت تقتلنى يا « جاك » ·

مالون : مغازل شرس ·· اليس كذلك ؟ن الاثنان لائقان لبعضهما البعض يا « مسز واتيفيلد » · اهنئك يا « مستر تانر » وأرجو أن اراكما فى ضيافتى بالابرشية ·

آن : شكرا · (تترك مالون وتتجه الى اوكتافيوس) « ريكى تيكى تيفى » ·· بارك لى · (تنتحى به جانبا) دعنى ابكيك لآخر مرة ·

تيفى : دموعى جفت · أنا سعيد لسعادتك ، ورغم كل شيء لا أزال قانعا بحبـك ·

ريمسدن : (يقف بين مالون وتانر) « جاك » ·· انت رجل محظوظ ·· أنا أغار منك ·

مندوزا : (يتقدم ليقف بين فيوليت وتانر) سـيدى ·· ان فى الحياة مأساتان ·· أولاهما هى أن تفقد شهوتك العاطفية ، وثانيهما هى أن تكتسبها · وهاتان المأساتان هما مأساتى ومأساتك يا سيدى ·

تانر : « مستر مندوزا » ·· أنا لا أمتلك أى شهوات عاطفية ·· وانت يا « مستر ريمسدن » ·· سهل جدا أن تقول اننى رجل محظوظ ·· انت مجرد متفرج وأنا واحد من شخصيات المسرحية التى تتفرج عليها « آن » ·· كفى عن العبث مـع « تيفى » ·· عودى الى هنا (يمد يده اليها) ·

آن : (بخضوع) انت غريب يا « جاك » (تتأبط ذراعه)

تانر : بمنتهى الهدوء والجدية أقول لكم اننى لست رجلا سعيدا ·· «آن» تبدو عليها السعادة ، لكن الواقع أنها تحس بالانتصار ·· بالنجاح ·· بالتفوق ·· وليست هذه هى السعادة ، بل هى الثمن الذى يدفعه الأقوياء ثمنا لسعادتهم ·· ان ما فعلناه عصر اليوم هو أننا نبذنا السعادة ·· نبذنا الحرية ·· نبذنا الهدوء ·· وفوق كل ذلك نبذنا الاحتمالات الواعدة بالمسـتقبل الرومانسى المجهول · مقابل الحصول على متاعب البيت والأولاد ·· اننى أرجو ألا ينتهز أحدكم هذه الفرصة كى يغيب عن وعيه ويطلق أحكامـا والفاظا حمقاء · وأحاسيس سـعيدة خرقاء تعبيرا عن حالتى الحالية · اننا ننوى تأثيث بيتنا على مزاجنا الخاص ·· وأنا أعلن أمامكم هنا أن الساعات السبع أو الثمانية التى قضيتها فى السفر بالسيارة ·· وأن الأربع أو الخمس حقائب المملوءة بالملابس ·· وأن النحاتون ·· وشرائح السمك ·· وتلك النسخ من كتاب « ملاك باتمور فى البيت » فى مراكش النائية ·· وأن كل الأشياء التى تستعدون لتكديسها فوق رءوسنا ·· كلها ستباع حالا ثم يرصد ثمنها لطبع النسخ الدورية المجانية من «كتاب الانسان الثورى» ·· سيكون الزفاف بعد عودتنا الى انجلترا بثلاثة أيام ·· وباذن خاص ·· كل واحد بتذكرته ·· عند موظف مكتب التسجيل بالحى ·· وبحضور محامى الخاص وكاتبه ، وسيرتدى *الملابس العادية كما* يفعل عملاؤه و ··

فيوليت : (بشدة) « جاك » .. انت انسان فظيع .

آن : (تنظر اليه بافتخار وتدعك يده بدلال) لا عليك من اتهامها يا عزيزى .. اكمل .. تكلم .

تاتر : أتكلم !! .

(الجميع يضحكون) .

(تمت)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٤/١٠٤٦٣

I . S . B .N 977-01-9192-2

مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاءت بنور المعرفة جنبات البيت المصرى بأكثر من ٨٠مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفى عبر السنوات العشره الماضية لتلهب فى تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البداية أن المعرفة هى سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفوق فيه المعرفة على القوة والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلومات وسرعة تدفقها عبر كل وسائل الإتصال ولم يكن منطقيا أن نقف مكتوفى الأيدى.. فكانت مكتبة الأسرة بكل ما قدمت إسهامة أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد، عصر المعرفة وإنا لنتطلع فى الأعوام القادمة أن تو[illegible] الأسرة ثمارها اليانعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر لتفسح المجا[illegible] يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لنكون امتدادا حضاريا معاصرا للحضارة المصر[illegible] التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

سوزان مبارك



الثمن : ١,٥ جنيه

